رواية

# إقناع

PERSUASION

جين أوستن

ترجمة:

الأمجد العثماني

كتوباتي
kotobati

# إقنـــاع

# PERSUASION

## جين أوستن

ترجمة:

الأمجد العثماني

**الكتاب: إقناع PERSUASION**

**تأليف: جين أوستن**

**ترجمة وتدقيق: الأمجد العثماني**

**النوعية: رو اية**

**الإصدار: 2024**

**تصميم وتنسيق: مكتبة كتوباتي**

**النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي**

**support@kotobati.com**

**www.kotobati.com**

**كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن آراء مكتبة كتوباتي**

**وكل الحقوق محفوظة لدى المترجم.**

# الفهرس

الفصل: 1 ..... 8
الفصل: 2 ..... 18
الفصل: 3 ..... 25
الفصل: 4 ..... 35
الفصل: 5 ..... 41
الفصل: 6 ..... 54
الفصل: 7 ..... 66
الفصل: 8 ..... 75
الفصل: 9 ..... 86
الفصل: 10 ..... 93
الفصل: 11 ..... 104
الفصل: 12 ..... 112
الفصل: 13 ..... 125
الفصل: 14 ..... 132
الفصل: 15 ..... 140
الفصل: 16 ..... 147
الفصل: 17 ..... 154
الفصل: 18 ..... 165
الفصل: 19 ..... 177
الفصل: 20 ..... 183
الفصل: 21 ..... 191
الفصل: 22 ..... 206
الفصل: 23 ..... 219
الفصل: 24 ..... 235

# PERSUASION

**Ecrit en 1803 et édité en 1818**

**Par**

## Jane Austen

**Roman Traduit de l'anglais par Mme Letorsay en 1882**

**Persuasion Édition de référence : Paris, Librairie Hachette et Cie, 1882.**

**Traduit en arabe par Al Amjed Al Othmani**

# Persuasion

Édition de référence :

Paris, Librairie Hachette et Cie, 1882.

# جين أوستن

## ولدت في 16 ديسمبر 1775 وتوفيت في 18 جويلية 1817

هي كاتبة كلاسيكيّة، عاشت في إنجلترا في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، اشتهرت بذكائها الحاد وملاحظاتها الدقيقة الثاقبة للمجتمع، وقد تركت إرثًا أدبيًا خالدًا لا يزال يأسر القرّاء من جميع الأعمار والأقطار والأنحاء.

# إقنـــاع

تستكشف روايتها هذه التي تدور أحداثها في إنجلترا في بدايات القرن التاسع عشر وتتحدّث عن موضوعات حارقة وهامّة لكلّ مجتمع مثل الحبّ والزواج ومكانة المرأة، وكل ذلك بلمسة من الفكاهة الراقية والنثر الرائع والسّرد الممتع.

## ترجمها من الفرنسيّة إلى العربية الأمجد العثماني

# إقنـــاع

# الفصل: 1

السّيروالترإليوت[1]، من كيلينش هول[2]، في مقاطعة سومرست[3]، لم يلمس كتاباً للتسلية إلا كتاب الشّعارات. .

فقد كان يجد فيه ما يشغله في ساعات الكسل، وما يواسيه في ساعات الحزن. وكان يشعر أمام هذه المخطوطات القديمة بشعور من الاحترام و الإعجاب. وهناك تحوّلت كل الأحاسيس غير السّارة النّاجمة عن الشّؤون المنزلية إلى شفقة و ازدراء. و عندما كان يتصفّح هذه المؤلّفات التي لا حصر لها والتي أنتجت و وضّبت في القرن الماضي، كانت كل ورقة منها لا تهمّه إلا ورقة واحدة فقط كانت تثير اهتمامه باستمرار، وهي الصّفحة التي كان يفتح فيها المجلّد المفضّل دائماً:

عائلة إليوت، من كيلينش هول.

والتر إليوت، المولود في 1 مارس 1760؛ تزوج في 15 يوليو 1874 من إليزابيث ابنة جاك ستيفنسون، صاحب المراتب العليا في ساوث بارك، مقاطعة جلوكستر، الذي توفي في عام 1800؛ و أنجبا الأطفال

[1] Walter Elliot

[2] Kellynch-Hall

[3] e Somerset

**التالية أسماؤهم: إليز ابيث، المولودة في 1 يونيو 1785، وآن، المولودة في 9 أغسطس 1787، وهي ابنة توفيت في 5 نوفمبر 1789، وماري، المولودة في 20 نوفمبر 1791.**

**هذه هي الفقرة التي جاءت على يد الطابع، ولكن السّير والتر أضاف لها لتعليمه هو وعائلته بعد تاريخ ميلاد ماري: (تزوّجت في السّادس عشر من ديسمبر سنة 1810 من تشارلز ماسجروف[4]، صاحب المقام الرفيع في أبركروس[5] بمقاطعة سومرست .)**

**ثم جاءت قصّة العائلة العريقة والمحترمة: أوّل أفرادها استقرّ في تشيشير[6]، وتقلّد منصب المأمور الأعلى؛ ومثل إحدى المقاطعات في ثلاثة برلمانات متتالية، وجعل منه باروناً في السّنة الأولى من عهد تشارلز الثاني. وقد ذكر الكتاب أيضاً النّساء؛ وبشكل كلّه بأكمله صفحتين من ورقة، مصحوباً بشعار النبالة وينتهي بالإشارة التالية: "محل الإقامة الرئيسي: كيلينش هول، مقاطعة سومرست ."**

**ثم، بخط يد السّير والتر: "الوريث الظاهر: ويليام والتر إليوت، المحترم، حفيد السّير والتر الثاني."**

[4] Musgrove

[5] Uppercross

[6] Cheshire

**كان الغرور هو بداية شخصيّة السّير إليوت ونهايتها: الغرور الشّخصي والغرور بالرتبة.**

**لقد كان مديناً لوسامته ونبله بالزواج من امرأة تفوقه في الجمال والنّبل. فقد كانت اللّيدي إليوت امرأة ممتازة عاقلة وطيّبة لم يخدعها حكمها وعقلها قط، إلاّ حين وقعت في حبّ السّير والتر.**

**فقد كان في شبابه وسيماً بشكل ملحوظ، وكان في الرّابعة والخمسين من عمره وهو في غاية الحسن، وكان له من ادّعاء الجمال ما لم يكن لكثير من النساء، وكان أكثر قناعة بمكانته في المجتمع من خادم لورد حديث العهد. ولم يكن الجمال في نظره أقل شأن من النبل، وكان السّير والتر إليوت[7] الذي جمع كل هذه المواهب في نظره موضع احترامه وتبجيله الدائم.**

**لقد تحمّلت عيوبه و أخفتها، وجعلته طوال سبعة عشر عاماً يحترمها. ولم تكن سعيدة جدّا، ولكن واجباتها وأصدقاءها وأطفالها ربطوها بالحياة بما يكفي لأن تتركها مع الأسف.**

[7] r Walter Elliot

ثلاث بنات، أكبرهنّ في السّادسة عشرة من عمرها والثّانية في الرّابعة عشرة، وكان ذلك ميراثاً رهيباً وعبئاً ثقيلاً على أب ضعيف لا حول له ولا قوّة .

ولكن كان لها صديقة، امرأة عاقلة ومحترمة، قرّرت بدافع من المودّة لها أن تعيش بالقرب منها في قرية كيلينش. وقد اعتمدت اللّيدي إليوت عليها في الحفاظ على المبادئ الصّالحة التي حاولت غرسها في بناتها.

ولم تتزوّج هذه الصّديقة من السّير والتر، على الرّغم من أن تعارفهما كان يمكن أن يدفع المرء إلى افتراض ذلك .

وقد مرّت ثلاث عشرة سنة على وفاة اللّيدي إليوت وبقيا على قربهما جيران وأصدقاء حميمين، ولكن ليس أكثر من ذلك.

وليس من المستغرب أن السيّدة راسل لم تفكّر في الزّواج الثّاني، فقد كانت ذات ثروة جيّدة، وكانت في سنّ النّضج وذات شخصيّة جادّة، ولكن عزوبة السّير والتر أقلّ سهولة في تفسيرها.

والحقيقة أنّه كان قد رُفض عدّة مرّات بسبب عروض زواج غير معقولة للغاية. ومنذ ذلك الحين، تظاهر بأنّه أب صالح يكرّس نفسه لبناته. والواقع أنّه كان مستعداً لفعل شيء ما من أجل الابنة الكبرى وحدها،

ولكن بشرط ألا يُعترض طريقه. كانت إليز ابيث، وهي في السَّادسة عشرة من عمرها، قد حصلت على كلِّ حقوق والدتها واحترامها.

وكانت جميلة جدّا وتشبه والدها الذي كان لها تأثير كبير عليه، لذلك كان قد اتَّفقا دائماً على ذلك. وكانت ابنتا السّير والتر الأخريان، في رأيه، أقلّ قيمة. وكانت ماري قد اكتسبت بعض الأهميّة حين أصبحت السيّدة ماسجروف؛ ولكن "آن" ذات العقل المميّز والخلق الرفيع الذي يعرف كلّ ذكيّ كيف يقدّره، لم تكن شيئًا بالنّسبة لوالدها ولا لأختها .

ولم يكن أحد يعير أي اهتمام لما تقول، وكان عليها دائماً أن تتراجع إلى الوراء؛ وفي النّهاية لم تكن سوى آن .

كانت اللّيدي راسل تحبّ أخواتها، ولكنّها لم تستطع أن ترى في آن إلّا صديقتها التي كانت تعيش من جديد.

كانت آن قبل سنوات قليلة فتاة جميلة جدّا، ولكن سرعان ما اختفت نضارتها؛ ولم يعد والدها معجبا كما كان معجباً بها عندما كانت في ريعان شبابها، لأنّ ملامحها الرّقيقة وعينيها البنيّتين النّاعمتين كانتا مختلفتين جدّا عن ملامحه، لم يعد يجد فيها شيئاً يثير تقديره بعد أن بهتت ونحفت .

ولم يكن يتوقّع أبداً أن يرى اسم آن في صفحة أخرى من صفحات كتابه المفضّل. أما إليزابيث، فقد كانت من أسرة ريفيّة مرموقة وثريّة؛ وكذلك ماري الّتي كانت من أسرة ريفيّة مرموقة وثريّة أيضا فقد كان لها من الشرف أكثر مما نالت. وفي يوم أو آخر كانت إليزابيث ستتزوج حسب مرتبتها.

أحيانا تكون المرأة في التاسعة والعشرين من عمرها أجمل مما كانت عليه قبل عشر سنوات. وعندما تكون في العاشرة لم يصبها حزن ولا مرض، فغالباً ما يكون ذلك الوقت من العمر الذي لم يفقد فيه الجمال شيئاً من سحره.

أما في منزل إليزابيث فكانت لا تزال الآنسة إليوت الجميلة، وكان السّير إليوت معذوراً في نسيان سنّ ابنته، واعتقاده أنّه لا يزال شاباً كما كان دائماً وسط الأطلال التي تحيط به. وكان يراقب بأسى آن وهي تخبو، وماري وهي تسمن، و جيرانه وهم يشيخون، والتّجاعيد حول عيني اللّيدي راسل وهي تنمو بسرعة.

لم تكن إليزابيث راضية مثل والدها. فقد كانت على مدى ثلاثة عشر عاماً عشيقة "كيلينش هول"، وكانت تترأس وتدير الأعمال بثقة وحزم لم تجعلها أصغر سنّاً.

وعلى مدى ثلاثة عشر عاماً كانت تتولّى شرف البيت، وتضع القوانين المنزليّة، وتجلس في مكان الشّرف، وتتّبع خطى اللّيدي راسل في كلّ غرف الرّسم وفي كلّ حفلات العشاء. ثلاثة عشر شتاءً شهدت افتتاحها لكلّ حفلة رسميّة تقام في الحيّ، وزهور ثلاثة عشر ربيعا كانت قد أزهرت منذ أن كانت هي ووالدها ذاهبين للاستمتاع بملذّات لندن لبضعة أسابيع. وتذكّرت كلّ ذلك، ومعرفتها أنّها في التّاسعة والعشرين من عمرها جعلها متخوّفة ونادمة إلى حدّ ما .

وكانت تعرف أنّها لا تزال جميلة كما كانت دائماً، ولكنّها شعرت أنّ السّنوات الخطرة قد اقتربت، وأنّها تريد أن يطلبها أحد البارونات قبل نهاية العام. وكان بوسعها بعد ذلك أن تتصفّح الكتاب بامتياز بنفس البهجة الّتي كانت تتصفّحها من قبل؛ ولكن مع ذلك فإنّ رؤيتها لتاريخ ميلادها وليس فيه تاريخ زواج كما أختها الصّغرى جعل الكتاب بغيضاً إليها؛ وفي أكثر من مرّة عندما رأته مفتوحاً دفعته بعيداً لتتجنّبه عيناها. وعلاوة على ذلك، كانت قد عانت من خيبة أمل لطالما ذكّرها بها هذا الكتاب. فقد كان وليّ العهد، وهو نفس وليام والتر إليوت الذي اعترف والدها بحقوقه بسخاء، قد رفض طلب يدها للزّواج. وكانت قد فكّرت في الزّواج من ويليام عندما كانت طفلة صغيرة، وكانت تتمنّى ألّا يكون لها أخ، وكان ذلك أيضاً هو ما كان ينويه والدها. وبعد وفاة زوجته، سعى السّير والتر إلى التعرّف على إليوت. ولم تُستقبل عروضه بلهفة، لكنّه

ثابر على ذلك، ملقياً اللّوم في كلّ شيء على خجل الشّاب. وفي إحدى رحلاتهم إلى لندن، عندما كانت إليزابيث في أجمل حالاتها وأكثرها نضارة، لم يستطع ويليام أن يرفض دعوة. كان طالباً شاباً في كليّة الحقوق في ذلك الوقت، ووجدته إليزابيث مقبولاً للغاية، ممّا يؤكد خططها. وتمّت دعوته إلى كيلينتش. تحدّث الناس عنه و انتظروه لبقيّة العام، لكنّه لم يأتِ أبداً. وفي الرّبيع التالي، شوهد مرّة أخرى في لندن. وتكرّرت نفس المحاولات معه، ولكن دون جدوى. وأخيراً عُلم إنّه كان متزوّجاً.

وبدلاً من أن يسعى إلى تحقيق ثروته على الطّريق الذي رسمه السّير والتر لوريثه، اشترى استقلاله بالزّواج من امرأة غنيّة من طبقة دنيا .

وكان السّير والتر غاضباً؛ فقد كان يودّ أن يستشيره أحد بصفته ربّ الأسرة، خاصّة بعد أن تقدّم إلى الشّاب علناً؛ لأنّهما شوهدا معًا في تاترسال[8] وفي مجلس العموم. وأعرب عن استيائه .

ولكن السيّد إليوت لم يكترث لذلك، ولم يحاول حتّى أن يعتذر، ولم يكن راغباً في أن يحسب في العائلة كما كان السّير والتر يعتقد أنّه لا يستحقّ، و انقطعت كلّ العلاقات.

[8] Tattersall

وتذكّرت إليزابيث هذه القصّة بغضب؛ فقد كانت تحبّ الرّجل لشخصه بل وأكثر من ذلك لأنّه كان وريث السّير والتر؛ وكانت ترى فيه وحده زوجاً مناسباً لها وكانت تراه أيضا كفؤاً لها. ولكنّه كان قد أساء التصرّف لدرجة أنّه استحقّ أن يُنسى. وكان من الممكن أن يغفر له زواجه، لأنّه لم يكن من المتوقّع أن ينجب أطفالاً، ولكنّه كان يتحدّث باستخفاف بل وبازدراء عن عائلة إليوت وعن الشّرف الّذي كان من المقرّر أن يكون لهم. لا يمكن أن يغفر له ذلك. هكذا كانت أفكار إليزابيث، وهكذا كانت شواغلها وانشغالاتها الّتي قصدت بها تنويع رتابة حياتها الأنيقة المترفة الباذخة، ولسد الثغرات التي لا توجد، عادة، مفيدة في الخارج، لتملأها، ولا هناك مواهب في الدّاخل تشغل الوقت وتملأ الفراغات .

ولكن سرعان ما أضيفت إلى تلك الهموم هموم أخرى: فقد كان والدها يعاني من مشاكل مالية. وكانت تعرف أنّه جاء ليعيش في البارونية ليسدّد ديونه الثّقيلة، وليضع حدّاً لتلميحات رجل أعماله السيّد شيبرد غير السّارة. كانت ملكيّة كيلينتش جيّدة، ولكنّها لم تكن كافية للتّمثيل الذي كان السّير والتر يعتقد إنّه ضروري. وطالما عاشت اللّيدي إليوت، فقد كان النّظام والاعتدال والاقتصاد في الإنفاق في حدود الدّخل؛ ولكن هذا الرصيد كان قد اختفى معها: فالدّيون كانت تتزايد؛ وكانت معروفة، وأصبح من المستحيل إخفاؤها تماماً عن إليزابيث. وفي

الشّتاء الماضي، كان السّير والتر قد اقترح بالفعل بعض التّخفيضات في النّفقات، وإنصافاً لإليزابيث، فقد أشارت بإصلاحين: التخلّص من بعض الأعمال الخيريّة غير المفيدة، وعدم تجديد أثاث غرفة الرّسم. كما كانت لديها فكرة سعيدة بعدم إعطاء آن أيّ هدايا بعد الآن. لكن هذه التّدابير لم تكن كافية واضطر السّير والتر إلى الاعتراف به، ولم تجد إليزابيث علاجاً آخر أكثر فعالية. فقد وجدت نفسها مثله تعيسة مع سوء معاملة القدر لها.

لم يستطع السّير والتر أن يتصرّف إلّا في جزء صغير من ممتلكاته، وحتّى هذا الجزء كان مرهوناً. لم يكن ليرغب في البيع، حتّى لا يلحق به كلّ هذا العار. كان لابدّ من توريث تركة كيلينتش سليمة لورثته. واستدعى الصّديقان المقرّبان، السيّد شيبرد والسيّدة راسل، لإسداء النّصيحة؛ وكان عليهما أن يجدا طريقة ما لتقليل النّفقات دون أن يجرحا كبرياء السّير والتر وابنته أو خيالهما.

# الفصل: 2

كان السيّد شيبرد[9] رجلاً داهية وحكيماً. ومهما كان رأيه في السّير والتر، فقد كان يرغب في أن يترك الدّور غير السّار لشخص آخر غير نفسه؛ غير أنّه اعتذر عن ذلك مع انّه كان يوصي باحترامه المطلق لحكم السيّدة راسل الممتاز.

لقد اهتمّت بالموضوع اهتماماً كبيراً وأضفت عليه غيرة قلقة. كانت امرأة ذات حسّ سليم أكثر من كونها امرأة خياليّة. وكانت الصّعوبة الّتي كان يجب حلّها كبيرة: فقد كانت اللّيدي راسل تتمتّع بنزاهة صارمة وحسّ مرهف بالشّرف؛ ولكنّها كانت ترغب في الحفاظ على مشاعر السّير والتر وعلى مكانة الأسرة .

وكانت إنسانة طيّبة ومحسنة ومحبّة للخير وقادرة على الصّداقة المتينة؛ وكانت مستقيمة في سلوكها، صارمة في أفكارها عن اللياقة والتهذيب، ونموذجاً للأخلاق.

وكان عقلها عمليّاً ومثقّفاً جدّا؛ ولكنّها كانت تعطي الرتبة والنبل قيمة مبالغاً فيها، ممّا جعلها تتعامى عن عيوب أصحاب هذه الخيرات.

[9] Shepherd

كانت أرملة فارس بسيط، وكانت تكنّ للبارون احتراماً كبيراً، وكان السّير والتر يستحقّ عطفها واهتمامها، لا لأنّه صديق قديم، وجار مطيع، وسيّد ملزم، وزوج صديقتها، ووالد آن وأخواتها فحسب، بل لأنّه السّير والتر.

وكانت الإصلاحات ضروريّة بلا شكّ، ولكنّها كانت تعذّب نفسها لتسبّب لأصدقائها أقلّ قدر ممكن من المتاعب. فوضعت خطط الاقتصاد، وأجرت حسابات دقيقة، وأخيراً أخذت بنصيحة آن التي لم يروا من المناسب استشارتها، وعانت من نفوذها. ركّزت إصلاحات آن على الشّرف على حساب التّباهي. وأرادت تدابير أقوى، وسرعة سداد الدّيون، وزيادة اللامبالاة بكل ما هو غير عادل ومنصف.

قالت اللّيدي راسل وهي تعيد قراءة ملاحظاتها: "إذا استطعنا أن نقنع والدك بكلّ هذا" إذا تبنّى هذه الإصلاحات، فسيكون حرّاً بعد سبع سنوات، وآمل أن أقنعه بأنّ احترامه لن يتزعزع، وأنّ كرامته الحقيقيّة لن تتضاءل في نظر العقلاء.

"في الواقع، ما الّذي سيفعله إن لم يكن ما فعله أوكان ينبغي أن يفعله الكثير من أسرنا الأولى؟ لن يكون هناك شيء فريد من نوعه، والتفرّد هو أكثر ما نعانيه".

وعلى كلّ حال، من كان عليه ديون فعليه أن يسدّدها، ومع مراعاة أفكار الرّجل النّبيل فإنّ شخصيّة الرّجل الأمين تأتي في المقام الأوّل".

كان هذا هو المبدأ الذي أرادت آن من والدها أن يتصرف على أساسه. فقد رأت إنّه من الواجب الذي لا غنى عنه إرضاء الدائنين بإجراء جميع الإصلاحات الممكنة بسرعة، ولم ترأيّ كرامة في القيام بغير ذلك.

وقد اعتمدت على نفوذ اللّيدي راسل في إقناعها بالإصلاح الكامل؛ فقد كانت تعلم أن التّضحية بجوادين لن تكون أقلّ إيلاماً من التّضحية بأربعة، وكذلك كل التّخفيضات الطّفيفة الّتي اقترحتها صديقتها. كيف يمكن أن تكون إصلاحات آن القاسية قد قُبلت بما أن إصلاحات اللّيدي راسل لم تنجح؟

ماذا! تخلّصوا من كلّ شيء مريح! السّفر، ولندن، والخدم والخيول، والمائدة، والتّخفيضات من كلّ جانب !

وليس العيش بشكل لائق كرجل محترم بسيط لا!

نحن نفضّل أن نغادر كيلينتش على أن نبقى في مثل هذه الظّروف الغير مشرّفة.

نغادر كيلينتش! و استغل شيبرد هذه الفكرة على الفور و كان مهتمّاً بإصلاحات السّيروالتروالذي كان مقتنعاً بأنّه لا يمكن فعل أيّ شيء دون تغيير مكان الإقامة.

ومنذ أن خطرت له هذه الفكرة، لم يجد غضاضة في أن يعترف بأنّه كان يرى نفس الرّأي. ولم يكن يعتقد أن السّير والتر يستطيع حقّاً أن يغيّر طريقته في العيش في منزل كان عليه أن يدعم هذا الطابع من الشرّف والتّمثيل. وفي أيّ مكان آخر كان يستطيع أن يفعل ما يشاء، وكان منزله يتّخذ دائماً نموذجاً يحتذى به. وبعد أيّام قليلة من الشّك والتردّد، حسمت المسألة الكبرى المتعلّقة بتغيير محلّ الإقامة .

فقد تكون لندن، أو باث، أو مسكن آخر في جوار كيلينتش ولا يبعد عنها. لقد كان طموح آن أن تمتلك منزلاً صغيراً في جوار اللّيدي راسل بالقرب من ماري، وأن ترى ظلال ومروج كيلينتش من وقت لآخر. ولكن قدرها كان دائماً أن تحصل على عكس ما كانت تطمح إليه. فهي لم تكن تحبّ باث، ولكن باث كانت ستكون مقرّ إقامتها.

وكان السّير والتر يميل إلى لندن، ولكن مستر شيبرد لم يكن يريدها لنفسه، وكان من الذكاء بحيث يثنيه عن ذلك ويجعله يفضل باث: فهناك يستطيع أن يقدّم عرضاً جيّداً نسبيّاً بتكلفة قليلة.

وقد روعيت في باث ميزتان عظيمتان: بُعدها عن كيلينش، فهي لا تبعد عنها سوى خمسين ميلاً ، و إقامة اللّيدي راسل هناك في جزء من الشّتاء .

وممّا أثلج صدر اللّيدي راسل كثيراً أن السّير والترو إليز ابيث قد اقتنعا بأنّهما لن يخسرا شيئاً في باث من حيث الاعتبار و من حيث المتعة. واضطرّت اللّيدي راسل للذّهاب ضدّ رغبة عزيزتها آن.

. لقد كان الأمر يتطلّب الكثير من السّير والتر للإقامة في منزل صغير في الحيّ. فآن نفسها كانت ستجد أنّ الإهانات أكبر ممّا كانت تتوقّع، وبالنّسبة للسّير والتر كانت ستكون فظيعة. واعتبرت اللّيدي راسل كراهية آن لباث تحيزاً خاطئاً ناشئاً من إقامتها هناك لمدّة ثلاث سنوات بعد وفاة والدتها، وثانياً من حقيقة أنّها لم تكن في حالة ذهنيّة جيّدة خلال الشّتاء الوحيد الّذي قضته معها هناك.

كانت اللّيدي راسل تحبّ باث وتصوّرت أنّ الجميع يجبّ أن يفكّر مثلها. يمكن لصديقتها الشّابة أن تقضي الأشهر الأكثر دفئاً معها في نزل كيلينتش سيكون التّغيير مفيداً لصحّتها وعقلها. لقد رأت آن القليل جدّا من العالم؛ ولم تكن مبتهجة: فالمزيد من الاختلاط سيكون مفيداً لها.

ثم إن السّير والتر الذي كان يعيش على مقربة من كيلينتش كان سيعاني من رؤية منزله في يد غيره؛ فقد كانت ستكون محنة قاسيّة جدّا. كان لابدّ من استئجار قاعة كيلينتش ولكن هذا كان سرّاً عميقاً محفوظاً داخل دائرتهم الصغيرة .

السّير والتر كان سيشعر بالمهانة لو عرفه أحد .

لقد قال السيّد شيبرد كلمة "تحذير" مرّة واحدة، لكنّه لم يجرؤ على قولها مرّة أخرى .

كان السّير والتر يحتقر الفكرة ذاتها ويمنع أي إشارة إليها. كان يو افق على التّأجير فقط إذا طُلب منه ذلك بشكل غير متوقّع، من قبل مستأجر استثنائي قبل جميع شروطه كخدمة عظيمة.

نحن نتسرّع في المو افقة على ما نحبّ. اللّيدي راسل كان لديها سبب آخر للسّرور برحيل السّير والتر المقترح. كانت اليز ابيث[10] قد كوّنت علاقة حميمة كان من المرغوب قطعها.

وكانت ابنة السيّد شيبرد، قد تزوجت زواجاً سيّئاً، وعادت إلى منزل والدها مع طفلين. كانت امرأة ذكيّة تعرف كيف ترضي، على الأقلّ في كيلينتش هول. وقد جعلت نفسها معروفة لدى الآنسة إليوت لدرجة

[10] Élisabeth

أنّها أقامت هناك عدّة مرات، على الرّغم من التّلميحات الحذرة من اللّيدي راسل الّتي وجدت هذه الصّداقة غير مناسبة.

ولم يكن للّيدي راسل تأثير يذكر على إليز ابيث، وبدا إنّها كانت تحبّها بدافع الواجب أكثر من ميلها إليها. . كانت تشعر بالأسف الشّديد لرؤية آن مستبعدة ظلماً من جولات لندن، وقد أصرّت مراراً وتكراراً على أن يتمّ إشراكها. لقد سعت مراراً إلى إعطاء إليز ابيث فرصة الاستفادة من حكمها وخبرتها، ولكن دون جدوى دائماً. فقد كانت للآنسة إليوت إرادتها الخاصّة، ولم تكن معارضتها للّيدي راسل أكثر تصميماً من معارضتها للسيّدة راسل في اختيارها للسيّدة كلاي وتركها لأختها المتميّزة لتمنحها المودّة والثّقة حيث لا يجب أن يكون هناك أكثر من مخالطة مهذّبة.

كانت اللّيدي راسل تعتبر السيّدة كلاي صديقة خطيرة، وذات مكانة متدنيّة؛ وكان تغييرها لمكان إقامتها، الذي سيجعلها جانباً ويتيح للآنسة إليوت أن تختار صديقة أكثر ملاءمة لها، يبدو لها أمراً ذا أهميّة قصوى.

# الفصل: 3

اسمح لي أن أشير لك يا سير والتر"، قال السيّد شيبرد ذات صباح في قاعة كيلينتش هول وهو يفتح الجريدة: "اسمح لي أن أشير لك يا سير والتر أن الوضع الحالي مواتٍ جدّا لنا. هذا السّلام [11] سيجلب جميع الضبّاط البحريين الأغنياء إلى الشّاطئ. سيحتاجون إلى منازل أليس أفضل وقت لاختيار مستأجرين جيّدين؟ ماذا لو جاء أميرال غنيّ يا سير والتر؟

- "سيكون هالكاً سعيداً شيبرد" أجاب السّير والتر. "هذا كل ما لدي لأقوله في الحقيقة، إن "كيلينتش هول" ستكون بالنسبة له أفضل من أي مكان، أليس كذلك شيبرد!"

فابتسم السيّد شيبرد كما كان من واجبه أن يبتسم لهذا التّلاعب بالكلمات، وأضاف: (أجرؤ على القول يا سير والتر إنّه عندما يتعلّق الأمر بالعمل، فإنّ ضبّاط البحريّة يجيدونه ويستوعبونه. أعرف كلّ شيء عنهم. لديهم أفكار متحرّرة، وهم أفضل المستأجرين الذين رأيتهم في حياتي. دعني أقترح، إذن، إنّه إذا أصبحت نيّتك معروفة، وهو أمر ممكن جدّا (لأنّه من الصّعب جدّا على السّير والتر أن يخفي أفعاله ومقاصده

[11] يشير إلى معاهدة باريس الموقعة في عام 1814

عن فضول العامّة؛ بينما أنا، جون شيبرد، أستطيع أن أخفي أموري، لأنّ أحداً لا يضيع الوقت في مر اقبتي) ; لذلك أقول إنّني لا أستغرب، على الرّغم من تعقّلنا، أن تظهر بعض الشّائعات عن الحقيقة في الخارج، وفي هذه الحالة ستقدّم العروض، وأعتقد أنّ بعض القادة البحريين الأغنياء سيكونون جديرين باهتمامنا، ودعني أضيف أنّ ساعتين تكفيني للإسراع إلى هنا، وأوفّر عليك عناء الإجابة".

فما كان من السّير والتر إلا أن أومأ برأسه في الردّ، ولكنّه سرعان ما نهض من مكانه وألقى نظرة على الغرفة وقال ساخراً: (إن قلّة من ضبّاط البحريّة لا يندهشون، كما أتصوّر، من العيش في مثل هذه الضّيعة .)

- سوف يباركون حظّهم الجيد". قالت السيّدة كلاي (كان والدها قد أحضرها معه، فلا شيء مفيد لصحّتها مثل التنزه في كيلينتش) ولكني أعتقد، مثل أبي، أن البحار سيكون مستأجراً مرغوباً فيه جدّا. لقد عرفت الكثير منهم. إنّهم دقيقون جدّا، وواسعون جدّا في العمل! إذا تركت لهم لوحاتك الجميلة، سير والتر، فسيكونون بأمان: كل شيء سيكون معتنى به تماما. الحدائق و أحواض الزّهور ستكون تقريباً كما هي الآن. لا تقلقي آنسة اليوت[12] من إهمال أزهارك الجميلة.

[12] Elliot

- فأجابه السّيروالتربيرود: "أما وقد قرّرت التّأجير، فإنّني سأتردّد في منح بعض الامتيازات؛ ولست مستعدّاً لأن أقدّم للمستأجر أيّ خدمة. لا شكّ في أنّ الحديقة ستكون مفتوحة له، ولن يجد الكثيرمن الامتيازات الواسعة."

"أمّا بالنّسبة للقيود التي قد أفرضها على استخدام محميّات الصّيد، فهذه مسألة أخرى. فأنا لا أحبّذ فكرة السّماح للنّاس بالوصول إليها، وأوصي الآنسة إليوت بأن تكون على أهبة الاستعداد لحراسة أحواض الزّهورالخاصة بها."

وبعد صمت قصير، غامر السيّد شيبرد قائلاً: "في هذه الحالة، هناك عادات راسخة تجعل كل شيء سهلاً وبسيطاً بين المالك والمستأجر. إن مصالحك يا سيروالترفي أيدٍ أمينة: يمكنك الاعتماد عليّ في عدم التعدّي على حقوقك. فليقال أنّني أغارعلى حقوق السّيروالترأكثرمن غيرته على حقوقه .

هنا تحدّثت آن.

"يبدولي أنّ الجيش البحري، الّذي قدّم لنا الكثير، له الحقّ مثل أيّ فئة أخرى في منزل مريح. حياة البحّارة صعبة بما فيه الكفاية لذلك، يجب أن نعترف بذلك .

-ما تقوله الآنسة "آن" صحيح جدّا"، أجاب السيّد "شيبرد ."

- بالتأكيد"، أضافت ابنته.

ولكن ما لبث السّير والتر أن قال: (إنّ لهذه المهنة فوائدها، ولكنّي سأكون منزعجاً جدّا إذا انتمى إليها أحد أصدقائي .

- حقاً؟" وجاء الردّ بنظرة استغراب.

-نعم؛ من ناحيتين لا أحبّها .

أوّلاً، إنّها وسيلة لرجل مغمور المولد للحصول على امتيازليس من حقّه، لنيل شرف لم يحلم به أسلافه قطّ؛ وثانياً، إنّها تقضي تماماً على الجمال والشّباب. ففي البحار الواحد يشيخ أسرع من الآخر. لطالما لاحظت ذلك. إنّ قبحه يخاطربأن يجعله موضع رعب لنفسه، ويخاطر بأن يرى ابن أحد خدم أبيه يرتقي إلى مرتبة أعلى من مرتبته.

"إليك مثالاً يدعم ما أقوله .

في الربيع الماضي كنت في صحبة رجلين: "اللّورد سان إيف الّذي كان أبوه وزيراً في الرّيف، يكاد يكون بلا خبز. وكان عليَّ أن أفسح المجال للّورد سان إيف والأميرال بالدوين، وهو أقبح شخصيّة يمكن أن يتصوّرها العقل. كان وجهه مطروقاً بلون الماهوجني؛ وكان كلّ شيء فيه خطوطاً وتجاعيد: ثلاث شعرات رماديّة في أحد جانبيه، ولا شيء سوى لمحة من

البودرة. قلت لصديق كان و اقفاً هناك: من هذا الفتى العجوز بحقّ السّماء؟

- يا عزيزي، إنّه الأدميرال بالدوين. كم عمره بر أيك؟

- قلت ستّون.

- أربعون"، أجابني. لا أكثر من ذلك .

"تخيّل دهشتي. لن أنسى بسهولة الأدميرال بالدوين. لم أرفي حياتي مثل هذا المثال البائس للحياة في البحر، وهو نفسه بالنّسبة لهم جميعاً، مع بعض الاختلافات القليلة. تتقاذفهم كلّ الأجواء، وفي كل المناخات، وينتهي بهم الأمر إلى أن لا يعود لهم وجه إنساني. ومن المؤسف أنّهم لا يموتون فجأة قبل بلوغهم سنّ الأدميرال بالدوين.

-آه، حقّاً، سيروالتر، أنت شديد جدّا" قالت السيّدة كلاي. أشفق قليلاً على المساكين نحن لم نولد جميعا جميلين، والبحر بالتأكيد لا يجعلنا جميلين. لقد لاحظت في كثير من الأحيان أن البحّارة يعيشون وقتا طويلا. يفقدون مظهرهم الشّبابي في وقت مبكّر .

ولكن أليس هذا هو الحال في العديد من المهن الأخرى؟ وليس الجنود بأحسن حال، وحتّى في أكثر المهن هدوءاً هناك إرهاق للرّوح إن لم يكن للجسد، وهو إرهاق يضاف إلى وجه الرّجل من جراء كدح الزّمن.

فالعالم الشّرعي مستهلك، والطّبيب يخرج في كلّ السّاعات وفي كلّ الأجواء، وحتّى الكاهن مضطرّ لدخول الغرف النّتنة وتعريض صحّته وشخصه للأوساخ السّامة. في الواقع، إنّ المزايا الجسديّة هي فقط لأولئك الّذين لا يُجبرون على أن تكون لهم دولة، والّذين يعيشون على ملكيّتهم الخاصّة، ويستخدمون أوقاتهم كما يشاؤون، دون أن يعذّبوا أنفسهم في سبيل الحصول عليها. فهؤلاء وحدهم هم الذين لهم مواهب الصحّة وأعظم المزايا البدنيّة.

ويبدو أن السيّد شيبرد في مساعيه الرّامية إلى إبعاد السّير والترلصالح أحد البحّارة قد وهب له نظرة ثانية، فقد جاءه العرض الأوّل من الأدميرال كروفت[13] الذي أخبره عنه مراسله في لندن.

ووفقاً للتّقرير الّذي سارع بإبلاغه إلى كيلينتش، فإنّ الأدميرال، وهو من مواليد سومرستشير[14] ويمتلك ثروة طائلة، كان يرغب في أن يستقرّ في بلده، وقد جاء إلى تاوتون[15] ليبحث في الإعلانات عما إذا كان يجد شيئاً مناسباً في الجوار؛ ولم يجد شيئاً مناسباً، وسمع أنّه يمكنه الاستئجار

[13] Croft

[14] Somersetshire

[15] Tauton

في كيلينتش وكان قد أبدى رغبة شديدة في الاستئجار، وقدّم دليلاً على إنّه مستأجر جدير بالتزكية .

وسأل السّير والتر بلهجة باردة ومرتابة : "من هو الأدميرال كروفت؟".

فأجاب السيّد شيبرد بأنّه من النبلاء، وأضافت آن: "إنّه نائب أميرال: لقد كان في تر افالجار[16]؛ ومنذ ذلك الحين وهو في الهند، وقد بقي هناك على ما أعتقد عدّة سنوات .

- (ثم قال السّير والتر: إن وجهه أصفر كصفرة وجهي وأطواق كسوتي) .

وسارع السيّد شيبرد إلى أن يؤكّد له أنّ الأميرال كان ذا وجه ودوداً وضيّئاً، وكان وجهه بشوشاً، صحيح إنّه كان مسمر الوجه ومتعباً بعض الشّيء؛ ولكنّه يتمتّع بأخلاق رجل محترم مثالي؛ و إنّه على الأرجح لن يجد صعوبة في الشّروط؛ و إنّه قبل كل شيء، يبحث عن منزل مريح؛ و إنّه سيدفع ما يناسبه، ولم يكن ليفاجأ لو أن السّير والتر طلب أكثر من ذلك. كان السيّد شيبرد بليغاً، وأعطى كلّ تفاصيل عائلة الأدميرال الّتي جعلت منه مستأجراً مرغوباً فيه. لقد كان متزوّجاً و ليس لديه أطفال و هو أفضل ما يتمنّاه المرء وكان قد رأى السيّدة "كروفت" الّتي كانت حاضرة في محادثتهما.

[16] Trafalgar

"إنّها سيّدة حقيقيّة ورائعة ومتحدّثة جيّدة .

لقد سألت أسئلة عن المنزل والأحوال والضّرائب أكثر من الأميرال نفسه .

ويبدو أنّها أكثر دراية بالعمل منه. وقد علمت أيضاً أنّها ليست غريبة عن هذه المنطقة، وكذلك زوجها. إنّها أخت رجل نبيل عاش في مونتفورت قبل بضع سنوات .ماذا كان اسمه يا عزيزتي بينيلوبي؟[17] عزيزتي، ساعديني شقيق السيّدة كروفت؟"

السيّدة كلاي[18] كانت تتحدث مع الآنسة إليوت بحيوية شديدة لدرجة إنّها لم تسمع. .

قال السّير والتر: ليس لديّ فكرة عمّا تعنيه يا شيبرد. لا أتذكّر أيّ رجل نبيل يعيش في مونتفورت[19] منذ الحاكم العجوز ترينت.[20]

- على سبيل المثال، إنّه قوي جدّا، أعتقد أنني سأنسى إسمي قريبًا. اسم كنت أعرفه جيداً؛ وكذلك الرجل المحترم، فقد رأيته مئات المرّات. لقد جاء يستشيرني في جناية أحد جيرانه، وقد ضبط متلبّساً: أحد خدم

17 Pénélope

18 Clay

19 Montfort

20 Trent.

المزارع يقتحم حديقته، وقد إنهار جدار، وسرق بعض التّفاح؛ ثم تمّت الصفقة رغم نصيحتي. إنّه أمر غريب حقًا.

" -أفترض أنك تقصد السيّد وينتورث"[21] قالت آن .

-نعم أقصده كان كاهن الرعيّة في مونتفورت لمدّة عامين. لابدّ انك تتذكرينه !

- وينفورث؟ آه! نعم، الوزير دي مونتفورت لقد اختلطت علي كلمة رجل نبيل اعتقدت أنّك تقصد الرّجل الذي يملك ممتلكات. السيّد وينتورث لم يكن يملك شيئا على ما اعتقد إنّه اسم غير معروف وليس له علاقة بآل ستر افورت[22] "يتساءل المرء كيف أصبحت أسماء النبلاء لدينا شائعة جدّا؟

ولما أدرك السيّد شيبرد أن قرابة آل كروفت لم تنفعهم في نظر السّير والتر لم يتحدث عن ذلك وركز كلّ حماسه على ما كان في صالحهم: عمرهم، وثروتهم، والفكرة السّامية التي كونوها عن كيلينتش؛ مضيفاً إنّهم لم يرغبوا في شيء أكثر من أن يكونوا مستأجرين لدى السّير والتر .

[21] Wenvorth

[22] Straffort

كان سيبدو لهم ذوقاً خارقاً للعادة لو أنّهم عرفوا واجبات المستأجرين لدى السّير والتر. تمّت الصفقة، على الرّغم من أن السّير والتر كان ينظر بريبة إلى أيّ شخص يريد أن يعيش في منزله، وكان يعتقد أنّهم سعداء للغاية للحصول عليه، حتّى ولو بأقسى الشّروط.

وقد فوّض السيّد شيبرد بالتفاوض على عقد الإيجار ومقابلة الأميرال لعرض العقار. لم يكن السّير والتر قاضياً عظيماً، لكنّه أدرك أنّه من الصّعب العثور على مستأجر أفضل منه. كان الغرور يغريه بمكانة الأدميرال. "لقد أجّرت منزلي للأميرال كروفت" سيبدو أفضل بكثير من "السّير فلان"، الذي يطلب. "لقد أجرت منزلي للأميرال كروفت". وهو ما يتطلّب دائماً كلمة من الشّرح أن أهميّة الأميرال بديهيّة، لكنّه لا يطغى أبداً على البارون. في علاقاتهما المتبادلة، سيكون للسّير إليوت دائماً اليد العليا. أرادت إليزابيث التّغيير بشدّة لدرجة أنّها لم تقل شيئاً لتأخير القرار. وغادرت آن الغرفة لتبرد وجنتيها المحترقتين، وذهبت إلى زقاقِها المفضّل وقالت لنفسها بتنهيدة لطيفة: "ربّما بعد بضعة أشهر سيكون هنا."

# الفصل: 4

لم يكن السيّد وينتورث الوزير، بل كان أخوه فريدريك وينتورث الذي عين قائداً بعد الحرب في سانت دومينجو، وكان قد استقر في صيف سنة 1806 في مقاطعة سومرست، وهو ينتظر التعيين، واستأجر لمدة ستة أشهر في مونتفورت. وكان في ذلك الحين شاباً وسيماً وذكياً وبارعا جدّا، وكانت آن فتاة جميلة جدّا، لطيفة ومتواضعة ورشيقة وعاقلة. وقد تعرفا على بعضهما البعض وسرعان ما وقعا في الحب ولم يستمتعا بهذه السعادة الرائعة إلا قليلاً جدّا. وأظهر السّير والتر، دون أن يرفض رفضاً قاطعاً موافقته، دهشة كبيرة وبروداً وعزماً أكيداً على ألا يفعل شيئاً لابنته. لقد رأى أن هذا التحالف مهيناً، واعتبرته اللّيدي راسل بكبرياء أكثر اعتدالاً وعذراً أمراً مؤسفاً للغاية. آن إليوت، بجمالها، ومولدها، وروحها المعنوية، أن تتزوج في التاسعة عشرة من شاب لم يكن له من تزكية غير نفسه، ولا أمل في الثروة غير حظوظ مهنته غير المشكوك فيها، ولا أقارب يمكن أن يساعدوه على الترقية! كان مجرد التفكير في هذا الزواج يزعجها؛ وكان عليها أن تمنعه إذا كان لها أي سلطة على آن.

كان القبطان وينتورث محظوظاً وكسب الكثير من المال كقبطان، ولكنه كان ينفق ما يأتيه بسهولة ولم يكن قد حصل على شيء. كان مفعماً بالحماس والثقة، وكان ينوي الحصول على سفينة قريباً. لقد كان سعيداً دائماً، وسيكون سعيداً مرة أخرى. وكانت هذه الثقة التي عبر عنها بمثل هذا الدفء مغرية جدّا لدرجة إنّها كانت كافية لآن، ولكن اللّيدي راسل كانت ترى غير ذلك. فقد بدت لها شخصيته النارية وروحه الجريئة شرًا بالنسبة لها .

فقد كان ذكياً ومتهوراً؛ وكانت هي لا تتذوق الطر افة إلا قليلاً، وكانت تكاد تروعها الطيش والتهور. لقد أدانت العلاقة من كل النواحي.

كانت مقاومة مثل هذه المعارضة مستحيلة بالنسبة لآن الجميلة. لقد كان في وسعها أن تقاوم سوء نية أبيها، حتى دون أن تشجعها نظرة أو كلمة طيبة من أختها؛ ولكن اللّيدي راسل! التي طالما أحبتها واحترمتها، والتي كانت دائماً تحبها، والتي كانت حازمة جدّا وحنونة جدّا في نصحها، لم تكن لتبذله عبثاً. إن معارضتها لم تكن نابعة من حكمة أنانية: فلو لم تكن تعتقد إنّها كانت تبحث عن مصلحة الشاب أكثر من مصلحة ابنتها الربانية لما منعت الزواج.

كان هذا الإحساس بالواجب الذي تم الوفاء به هو عزاء اللّيدي راسل الرئيسي في هذا الانفصال فقد كانت في حاجة ماسة إليه، إذ كان عليها أن تحارب ضد الرأي العام وضد وينتورث. لقد غادر البلاد .

وكانت بضعة أشهر قد شهدت بداية علاقتهما الغرامية ونهايتها، ولكن حزن آن كان طويل الأمد. لقد أظلمت الذكرى شبابها، وفقدت نضارتها وبهجتها.

وقد مرت سبع سنوات منذ ذلك الحين، وقد محا الوقت وحده إلى حد ما تلك الانطباعات الأربعين الحزينة. لم تكن قد انشغلت بأي سفر أو أحداث خارجية. ولم تكن قد رأت في دائرتهم الصغيرة أي شخص يمكن أن تقارنه بوينتورث؛ ولم يكن عقلها المرهف وذوقها الرفيع قادرين على إيجاد النسيان في ارتباط جديد.

وكانت في الثانية والعشرين من عمرها عندما تقدم لخطبتها شاب قبلته أختها بعد ذلك بفترة وجيزة. وقد ندمت اللّيدي راسل على رفض آن، لأن تشارلز ماسجروف كان الابن البكر لرجل لا يدانيه في الأهمية والملكية إلا السّير والتر. وكان يتمتع بشخصية طيبة وأخلاق حسنة، وكانت اللّيدي راسل ستسعد برؤية آن متزوجة من رجل قريب منها ومتحرر من تحيز والدها.

ولكن آن لم تقبل النصيحة، وكادت عر ابتها أن تيأس، دون أن تندم على ما مضى، حين رأتها ترفض هذا الزواج، من رؤيتها تدخل في حالة تناسب قلبها المحب وعاداتها المنزلية .

ووضعت موضوع الحديث هذا جانباً إلى الأبد، ولم يستطع أي منهما أن يعرف ما إذا كانتا قد غيرتا رأيهما؛ ولكن آن, في السابعة والعشرين، فكرت بشكل مختلف عما كانت تفكربه وهي في التاسعة عشرة. لم تكن تلوم اللّيدي راسل، ولكن لو أن فتاة شابة في وضع مماثل طلبت نصيحتها، لما فرضت عليها الحزن العاجل مقابل خير مستقبل غير مؤكد.

وكانت تعتقد إنّه على الرغم من عدم مو افقة أسرتها؛ وعلى الرغم من كل الهموم المرتبطة بمهنة البحار؛ وعلى الرغم من كل التأخيرات وخيبات الأمل، فإنّها كانت ستكون أسعد بزواجها منه من رفضه، على الرغم من إنّها كانت ستحصل على نصيب أكثر من المعتاد من الهموم والمشاغل، ناهيك عن وضع وينتورث الحالي الذي كان بالفعل فوق ما كان يمكن توقعه.

كانت ثقته بنفسه مبررة. فقد كانت عبقريته وحماسه هما اللذان يوجهانه ويلهمانه. وكان قد برز وترقى في رتبته وأصبح يملك الآن ثروة

طائلة؛ وقد عرفت ذلك من الصحف، ولم يكن لديها سبب للاعتقاد بأنّه متزوج.

كم كانت آن بليغة في نصيحتها! كم كانت تفضل الميل المتبادل والثقة المبهجة بالمستقبل على تلك الاحتياطات المبالغ فيها التي تعيق الحياة وتهين العناية الإلهية!

وقد أجبرت في شبابها على أن تكون حذرة؛ ثم أصبحت فيما بعد رومانسية، وهي نتيجة طبيعية لبداية غير طبيعية. وصول الكابتن وينتورث[23] إلى كيلينش لم يكن من شأنه إلا أن يشعل حزنها.

وكان عليها أن تفكر مع نفسها كثيراً، ومضى وقت طويل قبل أن تتمكن من تحمل هذا الموضوع المستمر في الحديث. وساعدها على ذلك اللامبالاة التامة من الأشخاص الثلاثة الوحيدين الذين كانوا حولها والذين كانوا يعلمون بسر الماضي، والذين يبدو إنّهم نسوه؛ صحيح أن أخا وينتورث كان يعلم بعلاقتهما، ولكنه كان قد غادر البلاد منذ زمن طويل؛ وعلاوة على ذلك فقد كان رجلاً عاقلاً جدّا وأعزب. كانت متأكدة من تكتمه.

[23] Wenvorth

**كانت السيّدة كروفت[24]، شقيقة وينتورث، في ذلك الوقت خارج إنجلترا مع زوجها؛ وكانت ماري شقيقة آن في مدرسة داخلية، ولم يكن البعض بدافع الكبرياء والبعض الآخر بدافع الحساسية قد بادر باطلاعها على السر .**

**لذلك كانت آن تأمل أن وصول آل كروفت لن يجلب لها أي إهانة.**

[24] Croft

# الفصل: 5

وفي اليوم الذي حدد لزيارة الأدميرال وزوجته إلى كيلينتش شعرت آن أن عليها أن تذهب في نزهة، ثم ندمت على تفويتها عليهما .

أعجب كل من السيّدة كروفت وإليزابيث ببعضهما البعض، وسرعان ما تم الاتفاق الذي أراده كل منهما. كان الأدميرال مرحاً جدّا ومنفتحاً جدّا، وكانت شخصيته كريمة وواثقة إلى درجة أن السّير والتر تأثر به كثيراً. ورحب به بأدب، لإنّه عرف من السيّد شيبرد أن الأدميرال كان يعتبره نموذجاً للأخلاق الحميدة.

البيت، والأثاث، وأحواض الزهور، وشروط عقد الإيجار، ووجد كل شيء على ما يرام، وشرع موظفو السيّد شيبرد في العمل دون أن يغيروا كلمة واحدة من الترتيبات الأولية .

وأعلن السّير والتر دون تردد أن الأدميرال كان أوسم بحار رآه في حياته، وذهب إلى حد القول بأنّه لو كان خادمه قد صفف شعره لما خشي أن يراه أحد في صحبته.

قال الأدميرال في وداعة متعاطفة وهو ينصرف إلى زوجته: (لقد ظننت يا عزيزتي أن كل شيء سينجح رغم ما قيل لنا في تاوتون. البارون ليس نسرًا، لكنه ليس لئيمًا .

ويمكن ملاحظة أن المجاملات من الجانبين كانت متساوية.

وكان من المقرر أن يستلم آل كروفت الحيازة في عيد الميلاد، و اقترح السّير والتر أن يذهب إلى باث في الشهر السابق. لم يكن هناك وقت لنضيعه في التحضير.

وكانت اللّيدي راسل تعلم أن آن لن تستشيرها في اختيار منزلها الجديد .

وكانت تود أن تأخذها إلى باث فقط بعد عيد الميلاد، ولكن بما إنّها كانت مضطرة إلى الابتعاد عن منزلها، فلم يكن في وسعها أن تقدم لها الضيافة في هذه الأثناء .

ومع أسف آن على عدم تمكنها من الاستمتاع بأشهر الخريف المعتدلة في الريف، فقد شعرت إنّه من الأفضل ألا تبقى .

لكن واجباً كان عليها الوفاء به استدعاها بعيداً .

وكانت ماري، التي كانت مريضة في كثير من الأحيان، والتي كانت تستمع إلى نفسها كثيراً، تحتاج إلى آن في كل الأوقات. ووجدت نفسها متوعكة

فطلبت، أو بالأحرى طالبت بصحبة أختها. فكتبت ماري: "لا أستطيع الاستغناء عنها"، فأجابتها إليز ابيث:

"ليس لـ"آن" شيء أفضل من البقاء معكم؛ فلا حاجة لنا بها في "باث ."

أن يُطلب منها المساعدة، وإن كان ذلك بطريقة غير لطيفة، أفضل من أن تُردّ. لقد و افقت آن، التي كانت سعيدة بأن تكون مفيدة وأن يكون لها واجب يجب أن تقوم به، على الفور .

هذه الدعوة أراحت اللّيدي راسل من حرج كبير. وتم الاتفاق على أن لا تذهب آن إلى باث بدونها، وأن تقسم وقتها بين كوخ أبركروس كوتاج و كيلينش لودج.

وكان كل شيء على ما يرام إذ ذاك، ولكن اللّيدي راسل دهشت حين علمت أن السيّدة كلاي ذاهبة إلى باث مع السّير والترو إليز ابيث، اللّتين اعتبرتاها رفيقة مفيدة جدّا لاستقرارهما. لقد كانت اللّيدي راسل قلقة وحزينة بشكل خاصّ على الإهانة التي لحقت بابنتها الربّانية بتفضيل السيّدة كلاي عليها.

وكانت آن قد أصبحت غير حسّاسة لهذه الإهانات، ولكنّها كانت تشعر أيضاً بعدم حكمة مثل هذا التّرتيب. فقد كانت تجمع بين قدر كبير من الملاحظة والمعرفة التّامة بشخصيّة والدها لسوء الحظ، وتوقّعت

النّتائج المؤسفة لهذه العلاقة الحميمة. ولم تكن تعتقد إنّه بقي لديه أي ميل للزّواج من السيّدة كلاي التي كانت مصابة بالجدري وأسنانها السيئة ويديها الثقيلتين، وكل ذلك كان ينتقده بشدّة في غيابها. ولكنّها كانت شابّة ذات قوام جميل، وكان لسرعة بديهتها وأخلاقها المجتهدة إغراءات أخطر من الانجذاب الجسدي البحت .

وقد شعرت آن بالخطر بشدّة لدرجة أنّها لم تستطع أن تقاوم الإشارة إلى أختها. لم يكن لديها أمل كبير في أن يستمع إليها أحد، ولكنّها اعتقدت أن إليزابيث ستكون أكثر شفقة على نفسها منها إذا حدث مثل هذا الأمر، وإنّها تستطيع أن تلومها على عدم تحذيرها لها وتكلّمت، فبدت إليزابيث مستاءة؛ ولم تستطع أن تتخيّل كيف وصل هذا الشكّ السّخيف إلى أختها. فأجابت بسخط، إن والدها والسيّدة كلاي يعرفان مكانهما جيّداً.

وقالت بحرارة: "السيّدة كلاي لا تنسى أبدا من هي. أنا أعرف مشاعرها أكثر منك، وأؤكد لك إنّها حسّاسة بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالزّواج. إنّها ترفض بشدّة أكثر من أيّ شخص آخر أيّ عدم مساواة في المكانة أو الرتبة.

"أما بالنسبة لوالدي، فما كنت لأصدّق أبداً إنّه يمكن أن يشكّ في أمره، وهو الّذي لم يتزوّج مرّة أخرى بسببنا. ولو كانت السيّدة كلاي إنسانة

جميلة جدّا، فأنا أعترف بأن وجودها هنا سيكون خطراً، ليس لأنّ أي شيء في العالم يمكن أن يدفع أبي إلى زواج مهين، ولكن لأنّه قد يشعر بشيء قد يجعله غير سعيد. أعتقد أنّ المسكينة السيّدة كلاي، الّتي على الرّغم من كلّ مزاياها، لم تعتبر جميلة قط، تستطيع البقاء هنا في أمان. تظنين أنّك لم تسمعي أبي يتحدث عن عيوبه ابدا، وقد سمعته عشرين مرة. تلك الأسنان، وعلامات الجدري تلك! أنا أقل اشمئزازاً منه، وقد عرفت شخصاً لم يتشوه بها. ولكنه يكرهها كما تعلمون.

-قالت آن: "لا يكاد يكون هناك عيب جسدي لا يمكن للأخلاق اللطيفة أن تجعلك تنساه .

- قالت إليزابيث بجفاف: "أنا أفكر بشكل مختلف تماماً". يمكن للأخلاق اللطيفة أن تعزز الملامح الجميلة، لكنها لا تستطيع تغيير الملامح المبتذلة. ولكن بما أنّني مهتمة بهذا الأمر أكثر من أيّ شخص آخر، فإنني أجد نصيحتك عديمة الفائدة.

كانت آن سعيدة جدّا لأنها أنهت ما كان عليها أن تقوله، واعتقدت أنّها فعلت الشيء الصّحيح .

وكانت إليزابيث، على الرّغم من عدم رضاها عن التّلميح، إلّا أنّها استطاعت أن تستفيد من ذلك إلى أقصى حد .

أخذت عربة الأطفال السيروالتروإليز ابيث والسيدة كلاي إلى باث للمرة الأخيرة. كانوا جميعاً في حالة معنوية جيدة جدّا، حتى أنّ السّيروالتركان مستعداً لإلقاء التحيّة على أي مزارع أو فلاح مكلوم صادف أن يكون في طريقه .

في هذه الأثناء، صعدت آن، حزينة ولكن هادئة، إلى النزل، حيث كانت ستقضي الأسبوع الأخير. ولم تكن أسعد حالاً من صديقتها: فقد شعرت بهذا الفراق إحساساً شديداً .

فقد كان احترام هذه العائلة عزيزاً عليها، وكانت العادة قد جعلت العلاقات اليومية ثمينة. لقد كان من المؤلم أن تنظر إلى الحدائق المهجورة، والأكثرمن ذلك أن تفكّرفي المالكين الجدد. ولكي تهرب من هذا المنظر المحزن، ولكي تتجنّب آل كروفت كانت قد عقدت العزم على الرّحيل عندما تركتها آن. وهكذا انطلقتا معاً، ونزلت آن في أبركروس، المحطة الأولى في رحلة اللّيدي راسل.

أبركروس[25] قرية متوسطة الحجم كانت قبل سنوات قليلة مضت على الطراز الإنجليزي القديم. وكان بها منزلان فقط يفوقان في مظهرهما منازل الفلاحين والحراثين: منزل الإقطاعي بأسواره العالية وبواباته الضخمة وأشجاره القديمة المتينة والعتيقة؛ ومنزل الكاهن الصغير،

[25] Uppercross

المتراص المحاط بحديقة حسنة الاعتناء، مع كرم وأشجاركمثرى تعرش جدرانها. ولكن، عند زواج المربي الشاب، تم تحويل المزرعة إلى كوخ[26] لإقامته؛ وكان كوخ أبركروس بشرفته ونو افذه الفرنسية وغيرها من وسائل الراحة يجذب أنظار المسافرين على بعد ربع ميل، وكذلك البيت الكبير المهيب بمبانيه الملحقة.

آن كانت هناك في كثير من الأحيان. كانت تعرف الطرق المؤدية إلى أبركروس كما تعرف الطرق المؤدية إلى كيلينتش[27]. وكانت العائلتان تتقابلان في كثير من الأحيان، وتذهب كل منهما إلى منزل الأخرى في كل السّاعات، حتّى أنّ آن كانت مندهشة تقريباً عندما وجدت ماري وحدها. لكن كونها وحيدة، لا بد أنّها كانت مريضة وفي مزاج سيّئ. ولم تكن ماري، التي كانت أفضل من إليز ابيث من حيث الذكاء والشخصية، تضاهي أختها آن. وعندما كانت في صحة جيدة وسعادة وإحاطة كانت مبتهجة وودودة، ولكن أقل وعكة كانت تحبطها. لم يكن لديها أي موارد ضدّ الوحدة، ولأنّها ورثت شخصيّة إليوت، فقد كانت دائماً مستعدة للشّعوربالإهمال وعدم التّقدير .

[26] Cottage

[27] Kellynch

أمّا من الناحية الجسديّة، فقد كانت أقلّ شأن من أختها ولم تكن أبداً أكثر ممّا يطلق عليه عموماً "فتاة جميلة".

في تلك اللّحظة، كانت مستلقية على أريكة في غرفة المعيشة، التي كان أثاثها الأنيق قد تلاشى بفعل أربعة فصول صيف متعاقبة ووجود طفلين .

واستقبلت آن وصولها بهذه الكلمات: "آه، ها أنت ذا أخيراً! كنت قد بدأت أعتقد أنّك لن تأتي. أنا مريضة جدّا وبالكاد أستطيع الكلام. لم أر كائنًا حيًا منذ الصباح .

- يؤسفني أن أجدك مريضة"، أجابت آن: "لقد أعطيتني أخباراً جيدة عن صحتك يوم الخميس.

-نعم، أبدو دائمًا أفضل مما آن عليه منذ بعض الوقت، لم أكن على ما يرام. لا أعتقد أنني كنت أشعر بألم شديد في حياتي كما كنت هذا الصباح. كان يمكن أن أكون مريضة ولم يكن هناك من يعتني بي إذن السيّدة راسل لم تأتِ إلى هنا؟ لا أعتقد، إنّها كانت هنا ثلاث مرات هذا الصيف. سألت آن عن صهرها فأجابتها ماري:

"تشارلز" يصطاد، لم أره منذ السّابعة صباحاً. قال إنّه لن يبقى طويلاً، لكنها السّاعة الواحدة ولم يعد. لم أرَ أحداً طوال الصباح .

-هل أولادك الصّغار معك؟

- نعم، طالما أستطيع تحمل ضجيجهم؛ لكنهم غير منضبطين لدرجة أنّهم يضرّونني أكثر ممّا ينفعونني. تشارلز الصّغير لا يستمع لي، و والتر أصبح سيّئاً مثله.

-قالت آن بمرح: "ستشعرين بتحسّن قريبًا. أنت تعلمين أنّني دائماً ما أشفيك. كيف حال جيرانك في البيت الكبير؟

- لا أعرف، لم أرهم اليوم، ما عدا السيّد ماسجروف[28]، الذي توقّف وتحدّث معي عند النافذة، لكنّه لم ينزل عن حصانه، رغم أنّني أخبرته كم أنا متوعكة. لم يقترب منّي أحد، لم يناسب ذلك فتيات ماسجروف، إنهن لا يردن أن يزعجهنّ أحد على ما أعتقد- لا يزال بإمكانهنّ المجيء، ما زال الوقت مبكرًا .

-لا أحتاجهنّ، فهنّ يتحدثن ويضحكن كثيراً بالنسبة لي. أنا مريضة جدّا يا آن لم يكن لطيفا منك أن لا تأتي يوم الخميس .

- عزيزتي ماري، تذكري الأخبار الجيدة التي أخبرتني بها عن صحتك. لقد كانت لهجة رسالتك مبهجة، وقلت لي إنّه لا داعي للعجلة في قدومي؛ ثم

[28] Musgrove

إن رغبتي كانت البقاء مع اللّيدي راسل حتى النهاية. لقد كنت مشغولة جدّا لدرجة أنني لم أستطع مغادرة كيلينتش في وقت أبكر.

-يا إلهي، ماذا كان عليك أن تفعلي؟

- أشياء كثيرة: لا أستطيع تذكرها كلها. لقد صنعت نسخة من كتالوج كتب والدي ولوحاته. كنت في كثير من الأحيان في الحديقة مع ماكنزي[29] أحاول أن أجعله يفهم أي من نباتات إليز ابيث كانت مخصصّة للّيدي راسل. وكان عليَّ أن أرتب كتبي وموسيقاي، وأن أحزم كل حقائبي مرة أخرى، لأنّني لم أفهم في البداية ما كان عليَّ أن آخذه معي. وأخيراً، ذهبت لزيارة جميع المنازل في الرعيّة. كل هذا يستغرق الكثير من الوقت.

-آه، لكنك لم تخبريني عن عشائنا في مطعم بولز بالأمس؟

-إذاً فقد ذهبت؟ اعتقدت أنك تخليت عن ذلك .

-لقد ذهبت لقد كنت بصحة جيّدة بالأمس لم أكن مريضة حتى هذا الصّباح، وعدم ذهابي كان سيبدو غريباً

- آن سعيدة جدّا لذهابك: أتمنى أن تكوني قد استمتعتِ؟

[29] Mackensie

- ليس كثيراً. أنت تعرفين مسبقًا العشاء والأشخاص الذين سيكونون هناك. يا له من إزعاج أن لا يكون لديك عربتك الخاصة! أخذني السيّد والسيّدة ماسجروف، وكنا مزدحمين للغاية. إنّها كبيرة جدّا وتشغل مساحة كبيرة جدّا! كنت محشورة في الخلف مع هينريتا[30] ولويز ايا[31] ربما كان هذا هو سبب انزعاجي وسرعان ما أثلج صبر آن وخفة دمها صدر ماري التي استطاعت أن تجلس، وأملت أن تنهض لتناول العشاء. ثم نسيت إنّها كانت مريضة فذهبت إلى الطرف الآخر من الغرفة، ورتبت بعض الزهور، وأكلت شيئاً من الطعام وشعرت أنّها في صحة جيدة بما يكفي لتقترح القيام بنزهة قصيرة .

"إلى أين نحن ذاهبون؟ قالت: (أفترض أنك لن تذهبي إلى البيت الكبير حتى تزوريني؟)

-بالطّبع"، قالت آن: "بالطّبع، أنا لست على آداب مع سيّدات ماسجروف .

- أوه، يجب أن يأتين؛ يجب أن يعرفن ما هو مستحق لأختي. لكن يمكننا الدخول قبل أن نتمشّى.

[30] Henriette

[31] Louisia

لطالما وجدت آن أنّ هذه الطريقة مؤسفة للغاية في النظر إلى العلاقات، لكنها كانت تعتقد أن هناك ما يدعو للشكوى من كلا الجانبين، لكنها تخلّت عن ذلك. ذهبا إلى البيت الكبير. تم إدخالهما إلى صالة استقبال مربّعة عتيقة ذات أرضيّة خشبيّة لامعة وسجّادة رقيقة. ولكن فتيات المنزل أضفين على الغرفة جوّاً ضرورياً من الفوضى، مع بيانو كبير وقيثارة وصناديق زهور وطاولات صغيرة في كل زاوية. آه، لو أن النّسخ أصلية للصور المعلقة في المشغولات الخشبيّة، لو أن السّادة الذين يرتدون المخمل البنّي والسيّدات اللاتي يرتدين الساتان الأزرق، رأوا هذا الاضطراب في النظام والنظافة! لقد بدت اللوحات نفسها مندهشة!

كان آل ماسجروف، مثل منزلهم، يمثلون عصرين. كان الوالدان على الطراز الإنجليزي القديم، والأولاد على الطراز الجديد. كان السيّد والسيّدة ماسجروف أناساً طيبين جدّا، حنونين ومضيافين، دون أن يكونا على قدر كبير من الثقافة والأناقة. أما أولادهما فكانوا أكثر حداثة في الروح و الأسلوب. كانت الأسرة كبيرة العدد، ولكن جل أفرادها كانوا لا يزالون أطفالاً، ما عدا تشارلز، ولويز ايا و هينريتا، فتاتان صغيرتان في التاسعة عشرة والعشرين من العمر، وقد أحضرن إلى المنزل الأمتعة العادية لمواهب المدرسة الداخلية، ولم يكن لديهن مثل آلاف الفتيات الصغيرات الأخريات ما يفعلنه سوى البهجة والسعادة و اتباع الموضة.

كانت ملابسهن مثالية، ووجوههن جميلة جدّا، ومعنوياتهن جيّدة للغاية، وأخلاقهنّ بسيطة وممتعة. وكانتا موضع تقدير كبير في المنزل، ومطلوبتين كثيراً في الخارج. وكانت آن تجدهما سعيدتين جدّا؛ ولكنها، مدعومة، كما هو حالنا جميعاً، بشعورها بتفوقها، لم تكن لتستبدل عقلها المثقّف والأنيق بكل ما لديهما من متع.

وكانت تحسدها فقط على العلاقات الطيبة التي بدت سائدة بينهما، والمودة المتبادلة التي لم تكن تعرف عنها هي نفسها إلا القليل. وقد استُقبلتا بحفاوة بالغة، ولم تجد آن[32]ما تنتقده. ومضت نصف الساعة في محادثة لطيفة، ولم تكن آن مندهشة قليلاً عندما رأت فتيات ماسجروف ير افقنهن في نزهة بناء على دعوة ملحّة من ماري.

[32] Anna

# الفصل: 6

ولم تكن آن في حاجة إلى هذه الزيارة لتعرف أن تغيير المجتمع يجلب تغييراً تاماً في الحديث والآراء والأفكار. لقد تمنت لو أن الإليوت قد رأوا كيف أن شؤونهم التي كانت تعالج بمثل هذه الجدية في كيلينتش لم تكن مهمة هنا. ومع ذلك فقد شعرت أنّها لا تزال في حاجة إلى درس، لأنّها كانت تعول على فضول وتعاطف أكثر مما وجدت. لقد قيل لها: "إذن يا آنسة آن، هل رحل والدك وأختك؟ أو غير ذلك: "آمل أن نذهب إلى باث هذا الشتاء أيضاً، ولكننا سنقيم في جزء لطيف من المدينة. نعم، حسنا، تقول ماري: "حقاً !"

كم سأستمتع هنا بمفردي بينما أنت في باث!

ووعدت آن نفسها بأنّها لن تتعرض لمثل هذه الخيبات في المستقبل، وفكرت بامتنان مرة في السعادة التي لا يمكن التعبير عنها بوجود صديقة صادقة ومتعاطفة مثل اللّيدي راسل.

ولكنها اعتقدت إنّه من العدل أن يحدّد كل مجتمع مواضيعه الخاصّة في الحديث. كان للسّادة في ماسجروف صيدهم وخيولهم وكلابهم وصحفهم. أما السيّدات فكان لديهنّ التدبير المنزلي، والعناية بالجيران والرّقص والموسيقى. وكان على آن، التي كان من المقرر أن تقضي شهرين

في أبركروس، أن تملأ خيالها وذاكرتها بأشياء أبركروس. لم تكن تخشى هذين الشّهرين. كانت ماري ودودة وسهلة المنال ويمكن الوصول إليها بتأثيرها. كانت آن على علاقة ودية مع شقيق زوجها؛ وكان الأولاد يحبونها ويحترمونها بقدر ما كانت أمّهم. كانوا مصدر اهتمام وتسلية وشغل لها.

كان تشارلز مهذباً ولطيفاً؛ وكان بالتأكيد متفوقاً على زوجته في الفطنة وحسن التصرّف. على أن آن واللّيدي راسل كانتا تعتقدان أنّ وجود امرأة ذكية في حياته يمكن أن تضفي على شخصيته مزيداً من الاستمرار، وعلى عاداته مزيداً من الأنقة، وعلى مهنه مزيداً من الفائدة والعملية. ولم يكن يبذل جهداً يذكر في أيّ شيء سوى المقامرة، وكان يضيع وقته سدى.

وكان ذا مزاج مرح، لا يكترث كثيراً بشكوى زوجته؛ وكان يتحمّل افتقارها إلى الفطرة السّليمة بصبر أذهل آن، وعلى العموم، وعلى الرغم من بعض المشاجرات الصّغيرة (التي كان كلا الطرفين يدعو فيها آن إلى الأسف الشديد) يمكن القول أنّ الزوجين كانا سعيدين. وكان هناك شيء واحد كانا دائماً على اتفاق تام بشأنه: الحاجة إلى المال والرغبة في الحصول على هدية من السيّد ماسجروف. أما بالنسبة لتعليم أطفالهما، فقد كانت نظرية تشارلز أفضل من نظرية زوجته. " قال: "كنت سأديرهم جيداً لو لم تتدخل ماري"، وظنت آن أن هذا صحيح

بما فيه الكفاية. ولكن عندما أجابت ماري: "إن تشارلز يفسد الأطفال كثيراً لدرجة أنني لا أستطيع أن أساعده"، لم تميل آن إلى القول بأن ذلك كان صحيحاً. كان الجزء الأقل متعة في إقامتها هو كونها كاتم أسرار جميع الأطراف فقد كانوا يعلمون أن لها بعض التأثير على أختها، وأرادوا منها أن تستخدمه ولو إلى أبعد الحدود الممكنة. فقال تشارلز: "حاولي أن تقنعي ماري بألا تظن إنّها مريضة دائماً". فقالت ماري: "أعتقد أن تشارلز لو رآني و أنا أحتضر، لظل يقول: إنّه لا شيء. آن، يمكنك إقناعه بأنني مريضة أكثر ممّا أعترف به. أو: "لا أحبّ إرسال الأطفال إلى البيت الكبير، على الرّغم من أن جدّتهم تطلبهم دائمًا. إنّها تدلّلهم كثيرًا، وتعطيهم من الحلوى ما يجعلهم يعودون مرضى ومتذمرين لبقية اليوم".

وكانت والدة السيّدة ماسجروف، بمجرّد أن تنفرد بآن تقول: (آه، آنسة آن، ليت السيّدة تشارلز تتحلى بقليل من طريقتك مع الأطفال ! )

إنّهم مختلفون تماما معك! يجب أن تعترفي بأنّهم مدلّلون! إنّهما جميلان وصحيّان قدر الإمكان، هؤلاء الصغار الأعزاء، ولكن زوجة ابني لا تعرف كيف تتعامل معهم! يا إلهي، إنّهم مملّون جدّا في بعض الأحيان! أؤكد لك أنّ هذا هو ما يمنعني من استضافتهم بالقدر الذي أرغب فيه. أعتقد أنّ ماري منزعجة لأنّني لا أدعوهم كثيراً، لكنّك تعرفين كم هو مزعج أن

يكون لديك أطفال يجب توبيخهم في كلّ لحظة: "لا تفعلوا هذا، لا تلمسوا ذلك"، أو لا يمكن إسكاتهم إلا بإعطائهم الكثير من الكعك.

ومضت ماري تقول: (إن السيّدة ماسجروف تعتقد أن خدمها مخلصون إلى درجة أن التّشكيك في ذلك يعدّ جريمة؛ ولست أبالغ حين أقول إنّ طبّاخها وخادمتها يتجولان في القرية طوال اليوم .

إنّني أقابلهما في كلّ مكان، ولا أدخل غرفة الأطفال مرّتين دون أن أقابل إحداهما. ولو لم تكن جيماينا[33] أكثر المخلوقات إخلاصاً و إيمانا لكان ذلك كافياً لإفسادها".

والسيّدة ماسجروف:

"لقد جعلت من قانوني ألا أتدخّل في شؤون زوجة ابني، ولكني سأخبرك يا آنسة آن (لأنك تستطيعين أن تفعلي شيئاً حيال ذلك) إني لا أرتاح كثيراً إلى خادمتها، فأنا أسمع عنها قصصاً غريبة. إنّها دائما خارج المنزل وترتدي ملابسها كسيّدة. هذا يكفي لنفقد جميع الخدم الآخرين .

إنّ ماري لا تستطيع أن ترى بعينيها فقط، ولكني أحذّرك: كوني على حذر، لأنك إذا اكتشفت شيئاً فلا تخشي أن تخبري به.

[33] Jémina

واشتكت ماري أيضًا من عدم إعطائها مكانها الصّحيح على المائدة. وعندما كان هناك ضيوف آخرون في البيت الكبير، كانت تجلس كما لو كانت فرداً من أفراد الأسرة .

وفي يوم من الأيام، عندما كانت آن تتمشى مع فتيات ماسجروف، قالت إحداهن، وهي تتحدّث عن النِّبالة وحساسيات الرتبة: "لا أجد غضاضة في أن أقول لك، لأننا نعلم أنك لا تبالين بذلك، كم يبدو سخيفا أن يحتفظ بعض الناس برتبهم." ومع ذلك، أتمنى أن يفهم أحد ما ماري، إنّه لا ينبغي لها أن تكون عنيدة إلى هذا الحد، وخاصّة إنّه لا ينبغي لها أن تضع نفسها دائماً في مكان أمي. لا أحد يشكّك في حقّها في هذا الصّدد، ولكن سيكون من الأنسب ألا تحتفظ به لنفسها طوال الوقت. لا يعني ذلك أن أمي لا تهتم على الإطلاق، ولكن الكثير من الناس يهتمّون.

كيف استطاعت آن أن تصلح بين الجميع؟ كل ما كان بوسعها أن تفعله هو أن تصغي إليهم بصبر، وتهدئ من روعهم، وتعذر أحدهم ثم الآخر، وتحثهم على إظهار التسامح الذي يجب أن يظهره الجيران لبعضهم البعض، خاصة عندما يتعلق الأمر بأختها.

وقد أفادها تغيير المكان، وقلّة شكوى ماري من وجود رفيق دائم لها .

وكانت العلاقات اليومية مع العائلة الأخرى ممتعة جدّا، ولكن آن كانت تعتقد أن كلّ شيء لم يكن ليكون جيّداً لولا وجود السيّد والسيّدة ماسجروف، أوضحكات الفتيات وثرثرتهن وأغانيهن. كانت آن أفضل من أي واحدة منهنّ في العزف؛ ولكن، ولأنها لم تكن تملك صوتاً ولا معرفة بالقيثارة، ولم يكن لديها أبوان متسامحان في عزفها، لم يفكروا كثيراً في أن يطلبوا منها العزف إلا من باب الأدب أولترك الآخرين يستريحون. إنّها كانت تعرف منذ فترة طويلة إنّها باللعب كانت ترضي نفسها فقط. وباستثناء فترة قصيرة في حياتها، فإنّها لم تعرف قط، منذ وفاة أمها الحبيبة، السعادة التي كانت تشعر بها وهي تستمع إليها وتشجعها. وكانت معتادة على ذلك، كما أن انحياز السيّد والسيّدة ماسجروف لبناتهما لم يكن يسيء إليها بل كان يسعدها بسبب الصداقة التي كانت تشعر بها تجاههما.

وكان عدد قليل من الناس ينضمّون من حين لآخر إلى دائرة البيت الكبير. كان هناك عدد قليل من الجيران، لكن عائلة ماسجروف كانت تقابل الجميع، وكانت تحظى بوجبات عشاء وزيارات أكثر من أي عائلة أخرى. وكانوا يتمتعون بشعبية كبيرة.

وكانت الفتيات شغوفات بالرقص، وغالباً ما كانت الأمسيات تنتهي بحفلة راقصة مرتجلة صغيرة. وعلى بعد دقائق قليلة من أبركروس

كانت تعيش عائلة من أبناء العم، أقل ثراءً، وكانوا يحصلون على كل ما يسعدهم من آل ماسجروف. فكانوا يأتون في أي وقت، وينظمون لعبة أو حفلة ر اقصة مرتجلة، وكانت آن التي كانت تفضل الجلوس على البيانو على القيام بدور أكثر نشاطاً، تعزف لهم رقصات القرية لمدة ساعة في كل مرة، وهو لطف لفت انتباه آل ماسجروف إلى موهبتها الموسيقية وكثيراً ما كان يلقى منها الثناء: (جيد جدّا يا آنسة آن، جيد جدّا في الو اقع). يا للسماء!

كيف تجري أصابعك الصغيرة على البيانو !

وهكذا مرت الأسابيع الثلاثة الأولى، ثم جاء عيد الميلاد، وعاد قلب آن إلى كيلينتش المنزل المحبوب مشغول بالآخرين! أناس آخرون يستمتعون بالغرف والأثاث والبساتين والمناظر! لم تستطع أن تفكر في أي شيء آخر في التاسع والعشرين من سبتمبر، ولاحظت ماري تاريخ الشهر، فلاحظت بتعاطف: "يا إلهي، أليس اليوم هو اليوم الذي يدخل فيه آل كروفت إلى كيلينتش؟ أنا سعيدة لأنني لم أفكر في ذلك في وقت سابق. هذا يدهشني بشكل غير سار.

استولى آل كروفت على الحيازة بدقة عسكرية. كان من المقرر القيام بزيارة. استاءت ماري من هذه الضّرورة: لم يكن أحد يعرف كم يؤلمها

ذلك. كانت تتراجع بقدرما تستطيع. ومع ذلك لم تهدأ لحظة واحدة حتى أخذها تشارلز إلى هناك، وعندما عادت لم يكن اضطرابها إلا لطيفاً.

كانت آن سعيدة للغاية لعدم وجود مكان لها في السيّارة. ومع ذلك، فقد أرادت أن ترى آل كروفت وكانت سعيدة لأنها كانت في المنزل عندما قاموا بزيارتهم. كان تشارلز غائباً. وبينما كان الأدميرال جالساً مع ماري، وكان يرضي نفسه بالاعتناء بالأولاد الصّغار، كانت السيّدة كروفت تتحدّث مع آن التي كانت قادرة على أن تثبت الشّبه بينها وبين أخيها، إن لم يكن في الملامح، فعلى الأقلّ في الصّوت وطريقة التّفكير.

كانت السيّدة كروفت، على الرغم من أنّها لم تكن طويلة القامة ولا بدينة، إلا إنّها كانت تتمتّع ببنية جسديّة وحضور يضفي أهميّة على شخصها. كانت لها عينان سوداوان لامعتان وأسنان جميلة وقوام لطيف؛ لكن بشرتها السّمراء التي احمرّت بفعل الحياة في البحر جعلتها تبدو أكبر ببضع سنوات من عمرها الذي يبلغ الثامنة والثلاثين. لم تكن طريقتها المنفتحة والسهلة والحاسمة وقحة أو تفتقر إلى روح الدعابة. وقد سرّ آن أنْ تصدّق مشاعر الاعتبار التي أعربت عنها للعائلة ولنفسها، لأنها كانت منذ البداية متأكدة من أن السيّدة كروفت لم تكن تشكّ في الماضي. وفي هذه النقطة كانت تشعر بالهدوء والاطمئنان

وتملؤها القوة والشجاعة، عندما صدمتها كلمات السيّدة كروفت صدمة مفاجئة:

"لقد كنت أنت، أليس كذلك، وليس أختك التي كان من دواعي سرور أخي أن يعرفها عندما كان في هذا البلد؟

تمنّت آن أن تكون قد تجاوزت سنّ الخجل، لكنّها بالتأكيد تأثّرت .

"ربما لا تعرفين إنّه متزوج؟

لم تكن تعرف ماذا تقول، وعندما أوضحت لها السيّدة كروفت أنّ الأمر يتعلّق بالوزيرو وينتورث كانت سعيدة لأنّها لم تقل شيئاً قد يفضح أمرها. كان من الطبيعي أن تفكّر السيّدة "كروفت" في "إدوارد وينتورث" بدلاً من "فريدريك". خجلت من نسيانه، واستفسرت باهتمام عن جارهم السّابق .

بقية المحادثة كانت غير ملحوظة، لكنها عندما غادرت سمعت الأدميرال يقول لماري "نحن ننتظر أخاً للسيّدة كروفت، أعتقد أنّك تعرفه بالاسم "!

فقاطعه الصّبيان الصّغيران اللذان تشبثا به كصديق قديم ولم يدعاه يفلت من يده، فعرض عليهما أن يأخذهم في جيوبه، وسرعان ما انشغل عن إكمال جملته أو تذكر ما قاله. وحاولت آن أن تقنع نفسها بأنّه لا

يزال إدوارد وينتورث، ولكن ذلك لم يمنعها من التساؤل عما إذا كان هناك أي حديث عن هذا الأمر في المنزل الآخر، حيث كان آل كروفت أوّل مرة. كانت عائلة البيت الكبير متوقّعة في الكوخ في ذلك المساء. وفجأة دخلت لويز ايا بمفردها، وقالت إنّها جاءت تمشي على قدميها لتفسح مكانا للقيثارة التي أحضرت. قالت: "إن أمي و أبي حزينان هذه الليلة، وأمي بالذات؛ فهي تفكر في ريتشارد المسكين، وقد خطرت لها فكرة إحضار القيثارة التي تلهيها أكثر من البيانو. سأخبركم ما الذي يجعلها حزينة جدّا."

لقد أخبرتنا السيّدة كروفت هذا الصباح أن أخاها الكابتن وينتورث قد عاد إلى إنجلترا وسيزورهم قريبا تذكرت أمي أن وينتورث كان اسم قائد أخينا ريتشارد. لقد أعادت قراءة رسائله، والآن كل ما تفكر فيه هو ابنها المسكين المفقود. دعونا نكون مبتهجين بقدر ما نستطيع، حتى لا تستغرق أفكارها في مثل هذا الموضوع الحزين". وحقيقة هذه القصة المثيرة للشفقة هي أن آل ماسجروف كان من سوء حظهم أن يكون لهم ابن سيئ الطبع، ومن حسن حظهم أن يفقدوه قبل أن يبلغ العشرين من عمره. وكان قد جعلوه بحّاراً، لأنه كان غبياً لا يمكن السّيطرة عليه؛ ولم يهتمّوا به إلا قليلاً، ولكنهم اكتفوا بما كان يستحقه. ولم يكادوا يفتقدونه حتى وصل نبأ وفاته إلى أبركروس قبل ذلك بعامين. لقد فعل أخواته اليوم كل ما في وسعهن من أجله بمناداته "ريتشارد المسكين"،

ولكنه في الواقع لم يكن سوى "ديك ماسجروف" الثقيل عديم الإحساس وعديم الفائدة، لا يستحق، حياً أو ميتاً، سوى هذا التصغير لاسمه.

كان قد أمضى عدة سنوات في البحر، وفي أثناء هذه التغييرات المتكررة للرغاوى التي يرغب القبطان في التخلص منها، كان قد أمضى ستة أشهر على متن الفرقاطة لاكونيا بقيادة القبطان فريدريك وينتورث وتحت تأثير هذا الأخير، كتب لوالديه الرسالتين الوحيدتين غير المهتمتين اللتين تلقوهما منهما الآخرون فكانوا مجرد طلبات للمال. وكان يتحدث دائماً عن قائده حديثاً حسناً، ولكن والديه لم يكترثا به إلا قليلاً، وإذا كانت السيّدة ماسجروف قد صدمت باسم وينتورث مقترناً باسم ابنها، فإن ذلك كان بسبب ظاهرة من ظواهر الذاكرة غير المألوفة في الناس المشتتين.

وكانت قد أعادت قراءة رسائل هذا الابن المفقود إلى الأبد، وكانت هذه القراءة، بعد هذا الفاصل الطويل، حين نسيت عيوبه، قد أثرت فيها أكثر مما أثر فيها خبر وفاته. وكان السيّد ماسجروف كذلك، ولكن بدرجة أقل، وحينما جاءا إلى الكوخ كآن في حاجة إلى من يستمع إليهما ويبهجهما.

لقد كانت محنة جديدة بالنسبة لآن أن تسمع عن وينتورث، وأن تكرر اسمه كثيراً، وأن تسمع جدالاً حول التواريخ، وأخيراً أن تؤكد إنّه لا يمكن أن يكون إلا الكابتن وينتورث، الشاب الوسيم الذي التقيا به عدة مرات في طريق عودتهما من كليفتون[34] قبل ثماني سنوات. ورأت أن من الضروري أن تعوّد نفسها على هذا العذاب، وأن تحاول أن تصبح غير عابئة بهذا الوافد. ولم يكن من المنتظر قدومه قريباً فحسب، بل كان آل ماسجروف ممتنين للعطف الذي أبداه ابنهم، وممتلئين بالاحترام للشخصيّة التي صوّرها لهم ديك، وكانوا متلهفين على التعرف به. وقد ساعدهم هذا القرار على قضاء أمسيّة ممتعة معاً.

[34] Clifton

# الفصل: 7

وبعد أيام قليلة، وصل خبر أن الكابتن في كيلينش. وقام السيّد ماسجروف بزيارته وعاد مسروراً. وكان قد دعاه لتناول العشاء مع آل كروفت في الأسبوع التالي، ولم يتمكّن، ممّا أثار أسفه الشديد، من ترتيب موعد أبكر. وحسبت آن أنّه لم يتبق لها سوى أسبوع واحد فقط من الهدوء، ولكنها كادت أن تصادف الكابتن الذي رد زيارة السيّد ماسجروف على الفور. كانت هي وماري في طريقهما إلى البيت الكبير عندما قيل لهما أن أكبر الأولاد قد سقط سقوطاً خطيراً: فقد أصيب الطفل بخلع في عموده الفقري. فأسرعتا بالعودة..

وكان على آن أن تكون في كل مكان في آنٍ واحد، تبحث عن الطّبيب، وتحذّر الأب، وتعتني بالأم لتمنع حدوث نوبة عصبيّة، وتوجّه الخدم، وتبعد أصغر الأطفال، وتعتني بالمريض المسكين وتريحه، وأخيراً تنقل الأخبار إلى آل ماسجروف الذين أحرجها وصولهم أكثر ممّا ساعدها .

كانت عودة شقيق زوجها مصدر ارتياح كبير؛ فعلى الأقل كان بإمكانه الاعتناء بزوجته. فحص الطبيب الطفل، وجبر الكسر، ثم تحدّث إلى الأب والأم بنبرة منخفضة وقلقة. ومع ذلك، كان متفائلاً واستطاعا الذهاب لتناول العشاء بهدوء أكثر. ومكثت الفتاتان بضع لحظات بعد

مغادرة والديهما لتتحدّثا عن زيارة القبطان وعن مدى سرورهما وسعادتهما بدعوة والدهما له لتناول العشاء في اليوم التّالي. وكان قد قبل بطريقة ساحرة، كما لوكان يفهم سبب هذا الأدب. وكان قد تحدّث وتصرّف بلباقة بديعة لدرجة إنّه أدار رؤوسهم. وهرولوا مهتمّين بالقبطان أكثر من اهتمامهم بالفتى.

وتكرّرت نفس القصّة ونفس النّشوة في المساء، عندما جاءتا مع والدهما للاطمئنان على الطفل. وأكد السيّد ماسجروف هذا الثناء. ولم يستطع أن يسحب الدعوة التي وجهها إلى القبطان في الصباح، وأعرب عن أسفه لعدم تمكن سكان الكوخ من الحضور أيضاً. فهم على الأرجح لن يرغبوا في ترك الطفل. "أوه لا"، ردّد الأب والأم معا". ولكن سرعان ما غيّر تشارلز رأيه؛ فبما أن الطفل كان يبلي بلاءً حسناً، فقد كان بإمكانه الذهاب إلى البيت الكبير لمدة ساعة بعد العشاء .

لكن زوجته اعترضت "لا، "تشارلز"، لن أسمح لك بالخروج. إذا حدث أي شيء ! لم ير الطبيب أي سبب للقلق، وبدأ تشارلز يعتقد أنّه لا فائدة من أن يحبس نفسه هكذا. يجب أن يبقى الطفل في الفراش ويستمتع بهدوء قدر الإمكان. ولكن ماذا يمكن للأب أن يفعل؟ لقد كان ذلك من شأن المرأة، وسيكون من السّخف أن يحبس نفسه في المنزل. إلى جانب

ذلك، كان والده حريصًا جدّا على تقديمه إلى وينتورث. وعند عودته من الصّيد، أعلن بكلّ جرأة إنّه ذاهب ليرتدي ملابسه ويتعشى في بيت أبيه .

"إنّ أختك معك يا عزيزي، و أنت نفسك لا تودّ أن تترك الطّفل. أنا عديم الفائدة هنا، وآن سترسل في طلبي إذا كان ذلك ضرورياً.

تفهم النّساء بشكل عام عندما تكون المعارضة غير ضروريّة. رأت ماري أنّ تشارلز قرّر الرّحيل. لم تقل شيئًا، ولكن بمجرّد أن أصبحت وحدها مع آن :

"إذن فقد تركنا وحدنا نرفّه عن أنفسنا بقدر ما نستطيع مع هذا الطّفل المريض المسكين، ولا أحد يؤنسنا في المساء. لقد تنبّأتُ بذلك؛ وليس لي حظ، فإن حدث شيء غير سارّ فالرّجال يستغنون عنه. تشارلز ليس أفضل من الآخرين. ليس لديه قلب، يترك ولده الصّغير المسكين هكذا! يقول إنّه أفضل هل يعلم إن لم يحدث تغيّر مفاجئ بعد نصف ساعة؟ لم أكن أعتقد أن تشارلز أناني جدّا لذلك سوف يستمتع بوقته، ولأنّني الأم المسكينة، لا يُسمح لي بالتحرّك، ومع ذلك فآن أقلّ قدرة على رعاية الطفل من أيّ شخص آخر. ولأنّني أمّه بالتّحديد، لا يجب أن أتحمّل مثل هذه المحنة. آن لست قويّة بما يكفي لتحمّلها. هل تعلمين كم كانت أعصابي تؤلمني بالأمس؟

- لقد كان تأثير ارتجاج مفاجئ في المخ، وآمل ألا يحدث شيء يخيفنا. لقد فهمت تعليمات الطبيب ولست خائفة من أيّ شيء. حقّاً يا "ماري"، لست متفاجئاً بخروج زوجك. إنّه ليس من شأن الرّجل.

- يبدولي أنّني أمّ جيّدة مثل أيّ شخص آخر؛ ولكن وجودي هنا ليس أكثر فائدة من وجود تشارلز. لا أستطيع دائماً أن أوبّخ وأعذّب صبيّاً مسكيناً مريضاً. لقد رأيت هذا الصّباح، عندما قلت له أن يحسن التصرّف، بدأ يركل كلّ ما حوله. ليس لديّ صبر على ذلك.

- هل ستشعرين بتحسّن إذا قضيتِ المساء بعيداً عنه؟

- لم لا؟ والده يفعل ذلك بشكل جيّد. جيماينا[35] بالتأكيد حريص جدّا كان بإمكان تشارلز ان يخبر والده أنّنا سنذهب جميعاً آن لست قلقة أكثر منه. الأمس كان مختلفاً جدّا لكن اليوم.

- حسنا، إذا كنت تعتقدين أنّ الوقت ليس متأخّرا جدّا لإعطاء إشعار، دعيني أعتني بتشارلز الصّغير السيّد والسيّدة ماسجروف لن يمانعا في بقائي معه .

- هل أنت جادّة؟" قالت ماري وعيناها تلمعان. يا إلهي، يا لها من فكرة جيّدة! الحقيقة هي أنّه من الأفضل أن أذهب. آن لست جيّدة هنا،

[35] Jémina

أليس كذلك؟ وهذا يعذّبني. أنتِ لا تملكين مشاعر الأمّ: أنتِ الشّخص المناسب. جولز[36] يطيعك في أي لحظة. أوه، سأذهب بالتأكيد، لأنّهم يريدونني حقاً أن أتعرف على القبطان، وأنت لا تمانعي في البقاء بمفردك .

يا لها من فكرة ممتازة سأخبر تشارلز وسأكون جاهزة قريباً. يمكنك أن ترسلي في طلبنا إن اضطررتِ لذلك، لكن آمل ألا يحدث شيء مقلق. صدقيني، لم أكن لأذهب لو لم أكن مطمئنة تماماً على طفلي العزيز"

وذهبت لتطرق باب زوجها، فسمعته آن وهو يقول مبتهجاً: "سأذهب معك يا تشارلز لأنّه لا حاجة لي هنا أكثر منك. لو كنت محبوسة دائماً مع الطفل، لما كان لي أي تأثير عليه. سوف تبقى آن: لقد اقترحت ذلك بنفسها لذا سأذهب معك، وهذا سيكون أفضل بكثير، لأنني لم أتناول العشاء في المنزل الكبير منذ يوم الثلاثاء."

- أجابها زوجها: "آن جيدة جدّا"، "أنا سعيد جدّا بذهابك. ولكن أليس من الصّعب تركها في المنزل وحدها لرعاية طفلنا المريض؟

و تمكّنت آن بعد ذلك من الدفاع عن قضيّتها الخاصة، وفعلت ذلك بطريقة لم تترك له أي تردّد .

[36] Jules

وعبثاً حاول تشارلز أن يجعلها تنضمّ إليهم في المساء. و سرعان ما كان من دواعي سرورها أن تراهم يغادرون وهم سعداء، مهما كانت سعادتهم. أمّا بالنسبة لها، فقد شعرت برضا لم تشعر به من قبل. فقد كانت تعلم أنّه لا غنى لها عن الطفل، وما الذي كان يهمّها أن فريديريك وينتورث[37] كان يرضي الآخرين على بعد نصف كيلومتر؟
وتساءلت عمّا إذا كان ينظر إلى هذا اللقاء بلامبالاة أو باستياء .

لو كان يريد أن يراها مرة أخرى، لما انتظر حتّى ذلك الحين، لأنّ الأحداث كانت قد أخذت بالفعل تأثيرها عليه و منحه الاستقلاليّة التي افتقدها في البداية. وعاد تشارلز وماري مسرورين بمعرفتهما الجديدة وبأمسيتهما. كانا قد تحدّثا وغنّيا وعزفا الموسيقى.

وكانت أخلاق القبطان ساحرة؛ ولم يكن خجولاً ولا متحفّظاً؛ وبدا أنّه من المعارف القدامى. وفي اليوم التّالي كان من المقرّر أن يذهب للصّيد مع تشارلز ويتناول معه الغداء في البيت الكبير. وكان قد استفسر عن آن كشخص لا يعرف عنه إلا القليل، ولعلّه أراد مثلها أن يتجنّب التّعارف عندما يلتقيان.

كانت آن وماري لا تزالان على الطاولة في صباح اليوم التّالي عندما جاء تشارلز لإحضار كلابه. وتبعته شقيقتاه ومعهما وينتورث الذي أراد أن

[37] Frédéric Wenvorth

يلقي التّحيّة على ماري. وكانت آن تشعر بالإطراء من هذا الاهتمام، وكانت مسرورة جدّا به، ومسرورة باستقباله، بينما كانت مضطربة بألف شعور، كان أكثرها عزاءً أنّه لن يبقى طويلاً.

والتقت نظراته بنظرات الكابتن؛ وأومأ برأسه قليلاً، ثم تحدّث إلى ماري، وقال بضع كلمات لفتيات ماسجروف؛ وللحظة بدت الغرفة مشغولة وممتلئة؛ ثم جاء تشارلز إلى النّافذة ليقول إنّ كل شيء جاهز. وبقيت آن بمفردها تنهي إفطارها قدر المستطاع.

لقد انتهى كلّ شيء"، كرّرت لنفسها بفرحة متوتّرة. انتهى الجزء الأصعب. لقد رأته! لقد كآن في نفس الغرفة مرة أخرى!

ولكن سرعان ما عادت إلى رشدها وحاولت أن تكون أقلّ انفعالاً. مرّت ثماني سنوات تقريبًا منذ أن إنهار كلّ شيء.

كم كان من السّخف أن تظلّ تشعر بالقلق الذي كان ينبغي أن يمحوه الزمن! كم من التغييرات التي يمكن لثماني سنوات أن تجلبها، ثماني سنوات! كل ذلك يتلخّص في كلمة واحدة: نسيان الماضي! لقد كانت ثلث حياته تقريباً. للأسف، كان لا بدّ من القول، بالنسبة للمشاعر المسجونة، أنّ الزّمن لا شيء. كيف كان لها أن تفسّر مشاعر وينتورث؟

هل أراد أن يتجنّبها؟ وبعد لحظة، كرهت نفسها لهذا السّؤال المجنون .

وعلى الرّغم من كلّ حكمتها، فقد كان لديها سؤال آخر حسمته ماري بقولها لها فجأة "إنّ القبطان الذي كان شديد الاهتمام بي، لم يكن شهماً جدّا تجاهك يا آن. "

لقد سألته هينريتا عن رأيه فيك، فأجابها "بأنّه لم يكن ليتعرف عليك، وأنك قد تغيرت ." لم تكن ماري في العادة مراعية لأختها، ولكنّها هذه المرة لم تكن تشكّ في الجرح الذي سبّبته لها .

"تغيّرت حتى لا يتعرّف علي!".

استسلمت في صمت، لكنّها شعرت بإهانة شديدة. وكان ذلك صحيحاً، ولم تستطع أن تكافئه على ذلك، لأنّه لم يكن قد تقدّم في السنّ .

إن السّنوات التي قضت على جمال الفتاة قد أعطت وينتورث عينين أكثر إشراقاً، وأكثر رجولة وأكثر انفتاحاً، ولم تقلّل بأيّ حال من الأحوال من مزاياه الجسدية. كان لا يزال هو نفسه فريدريك وينتورث!

"تغيّرت إلى درجة إنّه لم يكن ليتعرّف عليها !"

لم تستطع هذه الكلمات أن تغادر ذهنها. ولكنّها ما لبثت أن فرحت بسماعها: لقد هدّأت من روعها وهدّأت من ثورتها.

ولم يكن فريديريك يظنّ أن كلماته ستتكرّر؛ فقد وجدها قد تغيّرت تغيّراً محزناً، وأعرب عن انطباعه. ولم يسامح آن إليوت؛ فقد رفضته

وهجرته، وأظهرت ضعفاً في شخصيّته لم تستطع طبيعة الشّاب الواثقة الحازمة أن تتحمّله. لقد ضحّت به لإرضاء الآخرين. لقد كان خجلاً وضعفاً.

لقد كان متعلّقاً بها تعلّقاً عميقاً ولم ير منذ ذلك الحين امرأة تضاهيها؛ أمّا الآن فلم يكن هناك سوى شعور بالفضول في الرّغبة في رؤيتها مرّة أخرى. لقد فقدت قوّتها إلى الأبد. والآن أصبح ثريّاً وأراد أن يتزوّج. وكان مستعدّاً أن يهب قلبه لأيّ فتاة لطيفة تأتيه في طريقه، ما عدا آن إليوت. لقد قال لأخته: "أريد فتاة بين الخامسة عشرة والثلاثين؛ قليل من الجمال، وقليل من الابتسامات، وبعض التملّق للبحّارة، وأنا رجل ضائع. أليس هذا كافياً لجعل الرّجل الذي لم يعاشر النّساء متودّداً".

لقد قال هذا الكلام ليعترض عليه. وكانت عيناه المشرقتان الفخورتان اللّتان كانتا تدلاّن على أنّه يعرف إنّه جذّاب، ولم يكد يفكّر في آن حتى وصف المرأة الّتي يودّ أن يقابلها بقوله: "عقل قويّ ممزوج بدماثة عظيمة".

# الفصل: 8

ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، كان الكابتن وآن معاً في كثير من الأحيان. وكانا يتناولان العشاء في منزل السيّد ماسجروف، إذ لم تعد صحّة الطفل تصلح عذراً لخالته.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الماضي كان يدور في أذهانهم في كثير من الأحيان. فمنذ الأمسيّة الأولى، قادته مهنة القبطان إلى أن يقول: "في سنة كذا وكذا... قبل أن يشرع في السّفر..." وهكذا، لم يكن صوته يرتجف، لكن آن كانت متأكّدة من أنّ صوته كان مرتبطاً بماضيه. في السّابق، كان كلّ شيء بالنّسبة لبعضهما البعض: الآن لا شيء. كانا لا يتحدثان مع بعضهما البعض، وهما اللذان كانا في الماضي، في خضم أكبر تجمّع، كان من المستحيل ألّا يتحدّثا مع بعضهما البعض! لم يحدث قط، باستثناء الأدميرال وزوجته، أن كان قلبان متحدان كما كانا في الماضي.

والآن هما أقلّ من غرباء لبعضهما البعض .

عندما كان فريديريك يتكلّم، كان نفس الصّوت ونفس الرّوح. وكان المحيطون به يسألونه ألف سؤال، لجهلهم الشّديد بالشّؤون البحريّة. وكانت فتيات ماسجروف كلّهن آذان صاغية عندما كان يصف الحياة على ظهر السّفينة والوجبات والوظائف الّتي كانت تجرى على متنها في

كلّ ساعة؛ وكانت دهشتهنّ عند معرفتهنّ بترتيبات السّفينة وتركيبها تثير بعض الإجابات اللطيفة الّتي تذكّر آن بالوقت الّذي كانت تجهل فيه هي نفسها هذه الأشياء.

وكانت هي الأخرى تتندّر على "أننا عشنا على ظهر السّفينة بلا مؤونة ولا طبّاخ ولا خدم، ولم يكن لدينا ملاعق ولا شوك" .

أيقظتها تنهيدة من السيّدة ماسجروف من غفلتها، وقالت بهدوء: "آه يا آنسة لو أنّ السّماء أبقت لي ابني المسكين لكان اليوم رجلاً مختلفاً ."!

كتمت آن ابتسامة واستمعت بصبر بينما واصلت السيّدة ماسجروف تهدئة قلبها. وعندما استطاعت أن تولي اهتمامها لما يدورحولها، رأت أن الآنسات الماسجروف قد أحضرن قائمة البحرية ليبحثن عن أسماء السّفن التي كان القبطان يقودها .

"كانت سفينتك الأولى هي سفينة "أسبك"[38].

- لن تجدنها هناك. لقد كانت مهترئة ومتهالكة، وكنت آخر قبطان لها عندما أوشكت على الخروج من الخدمة. أُرسلت معها إلى جزر الهند الشرقية. إن الأدميرالية تسلّي نفسها بإرسال بضع مئات من الرّجال إلى البحر في سفينة معطّلة من وقت لآخر، ولكن بما أنّ لديها الكثير من

[38] Aspec

السّفن التي يجب أن تعتني بها، من بين آلاف السّفن التي يمكن أن تغرق، فإنّها تجد أحيانا سفينة لا تزال صالحة.

" -صرخ الأدميرال. ما هذا الهراء الّذي يقوله هؤلاء الشّباب! أنت لم تري مركباً شراعياً أفضل من "أسبيك" في أيامها! لم تكن لتجد لها مثيلاً، تلك السّفينة الشّراعية القديمة.

فريدريك كان محظوظاً بامتلاكها عشرون شخصاً يستحقّونها أكثر ممّا طلبها هو فتى محظوظ، لينجح بهذه السّرعة مع القليل من الحماية!

-- فأجاب وينفورث بجدية كبيرة: "لقد فهمت سعادتي يا أدميرال، أؤكد لك ذلك .

كنت سعيداً بقدر ما يمكن أن تتمنّاه .

في ذلك الوقت، كان لديّ سبب كبير للشّروع في السّفر. كنت بحاجة إلى القيام بشيء ما."

- و أنت على حقّ. ماذا يمكن لشابّ مثلك أن يفعل في البرّ لمدّة ستّة أشهر طويلة؟ إذا لم يكن الرّجل متزوّجاً، فعليه أن يعود إلى البحر بسرعة كبيرة.

-قالت لويز ايا: "لا بدّ أنّك كنت منزعجاً جدّا، عندما صعدت على متن "أسبك" و رأيت السفينة القديمة التي أعطيت لك؟

- لقد كنت أعرف مسبّقاً ما كانت عليه"، ضحك. لم يكن لديّ من الاكتشافات الّتي كنت ستكتشفها أكثر ممّا كان لديك أنت من أجل معطف قديم أعطيته لمعارفك منذ زمن بعيد، والذي سيُعار لك أخيراً في يوم ممطر. آه! لقد كان معطفي القديم العزيز.

. لقد فعل ما أردته. كنت أعرف أنّنا سنغرق إلى القاع معاً، أو أنّه سيحقّق لي ثروتي. ولم يمرّ عليَّ يومان من سوء الأحوال الجويّة معه، وبعد أن اصطدت سفينة خاصّة، حالفني الحظّ السّعيد في الصّيف التالي أن أنزلت الفرقاطة الفرنسيّة التي كنت أبحث عنها؛ وقطرتها إلى بليموث[39]. وبضربة حظّ جيّدة أخرى، لم يمضِ على وجودنا في "سوند"[40] ستّ ساعات عندما هبّت رياح كادت تقضي على سفينة "أسبيك"[41] المسكينة. واستمرت أربعة أيام وأربع ليالٍ. وبعد أربع وعشرين ساعة، لم يكن القبطان الباسل وينتورث ليظهر في الصّحف أكثر من مجرّد فقرة، ولم تكن سفينته سوى سفينة شراعيّة ولم يكن أحد ليعير أدنى اهتمام ."

ارتجفت آن من الدّاخل، لكن فتيات ماسجروف كنّ أحراراً في التّعبير عن شفقتهنّ ورعبهنّ.

---

[39] Plymouth

[40] le Sund

[41] Aspic

قالت السيّدة ماسجروف بصوت منخفض: "لا شكّ أنّه كان في ذلك الحين" ثم أضافت: " كان في ذلك الوقت بلا شك عندما تولى قيادة لاكونيا[42] وأحضر ابننا العزيز المسكين على متنها؟

تشارلز، اسأل القبطان إلى أين أخذ أخاك، لطالما نسيت .

- لقد كان في جبل طارق، أمّي. لقد بقي (ديك) هناك مريضاً بتوصيّة من القبطان الأوّل للكابتن وينتورث.

-أوه، أخبره أنّه لا داعي للخوف من أن يسمّي لي (ديك)[43] المسكين، لأنّه سيكون من دواعي سروري أن أسمع عنه من صديق طيّب كهذا ."

فأجابها تشارلز، الذي لم يكن مطمئنًا بلا شك بشأن العواقب، بإيماءة رأسه، ثم انصرف.

وبدأت الفتيات في البحث عن لاكونيا، وأخذ القبطان يبحث عنها بنفسه، وأضاف، إنّها كانت من أعز أصدقائه وصديقاته .

"آه، كانت تلك أيامًا جميلة، عندما كنت أقود لاكونيا. لقد جنيت الكثير من المال معها! لقد قضينا أنا وصديقي رحلة بحريّة رائعة في جزر الهند الغربية !

هارفيل المسكينة، أنتِ تعلمين يا أختاه أنّه كان بحاجة للمال أكثر منّي لقد كان متزوّجاً، الفتى الممتاز!

---

[42] Laconia

[43] Dick

لن أنسى أبداً كم كان سعيداً بسبب زوجته .
كنت أتمنّى لو كان هنا في الصّيف التالي عندما حظيت بنفس السّعادة في البحر الأبيض المتوسط .
- لقد كان يوماً عظيماً بالنّسبة لنا عندما تمّ تعيينك قبطانا لهذه السفينة. لن ننسى أبدًا ما صنعته.
وقطعت العاطفة صوتها، و انتظر وينتورث الذي لم يكن يسمع إلّا نصف ما تسمعه، ولم يكن يفكّر في "ديك" على الإطلاق، انتظر بدهشة ما سيلي ذلك .
قالت لويز ايا بصوت منخفض: "أمّي تفكّر في أخي ريتشارد ."
-وتابعت السيّدة ماسجروف: "مسكين هذا الفتى العزيز". لقد كان حسن السّلوك وطيّبا جدّا في عهدك، وكان يكتب لنا رسائل جيّدة جدّا ! ليت الله لم يتركك أبداً!
وعند سماع هذا الكلام، ارتسمت على وجه وينتورث تعابير عابرة؛ و أقنعت آن من تجعّد فمه ونظرة معيّنة إنّه لم يكن مو افقاً للسيّدة ماسجروف، و أنّه ربّما كان يجد صعوبة في التخلّص من ديك؛ ولكن ذلك كان سريعاً جدّا بحيث لم يلاحظه سواها. وجاء وجلس إلى جانب السيّدة ماسجروف، وحدّثها عن ابنها برشاقة طبيعيّة تدلّ على تعاطفه معها بكل شعور صادق.

كانت آن تجلس في الزاوية الأخرى من الأريكة، يفصلها عنه جسد السيّدة ماسجروف الضخم، وقد خُلقت لتمثّل الفكاهة والطعام الطيّب، أكثر ممّا تمثّل الحنان والعاطفة، وبينما كانت آن تتوارى خلفها لتخفي انفعالها، لم تكن الطّريقة الّتي استمع بها الكابتن إلى شكاوى السيّدة ماسجروف وتنهّداتها العريضة خاليّة من المزايا.

لا يرتبط الحزن بالضّرورة بالدّستور. فالشّخص السّمين له الحقّ في أن يحزن حزنًا عميقًا مثل أكثر النّساء رشاقة. ومع ذلك، هناك تناقضات يعترف بها العقل، لكنها تسيء إلى الذّوق وتثير السّخرية.

وبعد أن طاف الأدميرال حول الغرفة عدّة مرّات واضعاً يديه خلف ظهره، اقترب الأدميرال من وينتورث وقال له دون أن يكلّف نفسه عناء المقاطعة: "لو كنت في لشبونة بعد أسبوع يا فريدريك، لكان على متن السّفينة اللّيدي ماري جريرسون[44] وبناتها."

-أنا سعيد لأنني لم أكن هناك .

ودافع الأدميرال مازحاً عن قلة شهامته: دافع عن نفسه معلناً أنّه لن يسمح أبداً بدخول امرأة على ظهر السّفينة إلا لحفلة راقصة أو زيارة .

قال: "ليس لانعدام الشّهامة، ولكن لأنّه من المستحيل أن تكون هناك وسائل الرّاحة اللازمة للنّساء على متن السّفينة، والتي يحقّ لهنّ

[44] Marie Grierson

الحصول عليها. لا يمكنني أن أتحمّل وجود امرأة على متن السّفينة، ولن تستقبل أي سفينة أقودها امرأة أبداً ."

صاحت أخته:

"آه، فريدريك! هل أنت من يقول ذلك؟

يا له من صقل لا لزوم له، النّساء على متن السّفينة كما هو الحال في أفضل منزل في إنجلترا. لا أعرف شيئا أفضل من ترتيبات السّفينة. أنا أصرّح بأنّني لا أشعر بالراحة في كيلينش أكثر من السّفن الخمس التي عشت فيها.

-لا شكّ في ذلك" قال فريديريك: "لقد كنت مع زوجك والمرأة الوحيدة على متن السّفينة .

- ولكنّك أخذت، من بورتسموث إلى بليموث[45]، السيّدة هارفيل[46] وأختها و ابنة عمّها وثلاثة أطفال أين كانت شهامتك السّطحيّة والاستثنائيّة إذن؟

-لقد كنت مستغرقاً في صداقتي يا صوفي[47]؛ لقد أردت أن أكون مفيداً لزوجة زميل لي، وكنت أودّ أن أنقل إلى آخر الدّنيا أيّ شيء يريده هارفيل. لكن صدقيني، لقد اعتبرت ذلك أمراً مؤسفاً .

---

45 Portsmouth ، Plymouth

46 Harville

47 Sophie

- عزيزي فريديريك، ما تقوله لا يعني شيئا. ماذا كان سيحدث لنا نحن زوجات البحّارة المساكين لو كان الآخرون يفكّرون مثلك؟

-وهذا لم يمنعني، كما ترى، من اصطحاب السيّدة هارفيل وعائلتها إلى بليموث .

-ولكنني لا أحبّ أن أسمعك تتحدّث كرجل وسيم إلى سيّدات جميلات: إننا لا نتظاهر بأننا على ماء عذب طوال الوقت .

- آه يا عزيزتي"، قال الأميرال: "عندما يكون لديه زوجة سيتحدّث بشكل مختلف. أمّا إذا حالفنا الحظّ في حرب أخرى فسيفعل كما فعلنا نحن، وسيكون ممتناً لو أُحضرت زوجته إليه.

-"سأبقى صامتاً" لأنّ المتزوّجين يهاجمونني. سأفكّر بشكل مختلف عندما أتزوّج! حسناً، لن أفعل. الجواب هو نعم: ليس لديّ ما أقوله .

ثمّ نهض و انصرف .

قالت السيّدة ماسجروف للسيّدة كروفت: لابدّ أنك سافرت كثيراً .

- نعم سيّدتي في السّنوات الخمس عشرة الأولى من زواجي عبرت المحيط الأطلسي أربع مرّات، وذهبت إلى جزر الهند الشرقيّة، ناهيك عن أماكن مختلفة بالقرب من إنجلترا: كورك، لشبونة، جبل طارق[48]. ولكنني لم أذهب قط إلى ما وراء المناطق الاستوائيّة أو إلى جزر الهند الغربية، لأنّني لا أسمّي برمودا أو باهاما بهذا الاسم".

[48] Cork, Lisbonne, Gibraltar

ولم يكن لدى السيّدة ماسجروف، التي لم تكن تعرف اسماً واحداً من هذه الأسماء، ما تردّ به .

قالت السيّدة كروفت: "أؤكّد لك يا سيّدتي، إنّه لا شيء يفوق وسائل الرّاحة في سفينة حربية، أعني تلك الّتي هي من رتبة عالية. لقد قضيت أسعد أوقات حياتي على متن السّفينة.

كنت مع زوجي، والحمد لله، كنت دائمًا في صحّة ممتازة؛ فلا يوجد مناخ سيّء بالنسبة لي. لم أصب أبداً بدوار البحر. المرّة الوحيدة التي عانيت فيها كانت في الشّتاء الذي قضيته وحدي في ديل[49]، عندما كان الأدميرال في بحر الشّمال. كنت أعيش في خوف دائم دون أخبار، ولم أكن أعرف ماذا أفعل في وقتي .

-نعم،" قالت السيّدة ماسجروف، "لا شيء محزن مثل الفراق. أعرف ذلك بنفسي .

عندما يذهب السيّد ماسجروف إلى البلاط، لا أرتاح أبداً حتى يعود .

انتهت الأمسيّة برقصة. وقد عرضت آن خدماتها وكانت سعيدة بالبقاء دون أن يلاحظها أحد . كانت أمسيّة مبهجة وكان القبطان أكثرهم حيويّة. كان محطّ اهتمام الجميع واحترامهم .

[49] Deal

وكانت لويزا[50] و هينريتا تبدوان مأخوذتين به لدرجة أنّه لولا صداقتهما المتبادلة لظنّهما المرء متنافستين. ولا عجب إذا كان مدلّلاً قليلاً بمثل هذا الإطراء؟

كانت هذه هي أفكار آن بينما كانت أصابعها تداعب البيانو بشكل ميكانيكي. وأحسّت للحظة أنّه كان ينظر إليها، وير اقب ملامحها المتغيّرة، وربّما كان يحاول أن يجد فيها ما كان يسحره ذات يوم .

سألها عن شيء ما، فأجابته:

"لم تعد ترقص؛ فهي تفضل العزف، وش لا تتعب أبداً."

وكانت قد تركت البيانو؛ فأخذ مكانها وهو يحاول أن يكتب لحناً أراد أن يعطي فتيات ماسجروف فكرة عنه. وتصادف أن اقتربت منه فوقف وقال بأدب مدروس: (أستسمحك عذراً يا آنسة، هذا مقعدك)؛ وعلى الرغم من رفض آن فقد انسحب . لقد كان لديها ما يكفي! لقد كان هذا الأدب البارد والاحتفالي أكثر ممّا تستطيع تحمله.

[50] Louise

# الفصل: 9

كان الكابتن وينتورث قد جاء إلى كيلينش كما لو كانت وطنه، ليبقى فيها ما شاء له أن يبقى، لأن الأميرال كان يحبه كأخ له. وكان قد خطط لزيارة أخيه في مقاطعة شروب[51]، ولكن إغراء أبركروس جعله يتخلى عن ذلك. فقد كان هناك الكثير من الصداقة، والكثير من الإطراء، وشيء مغرٍ جدّا في الاستقبال الذي حظي به؛ وكان الآباء مضيافين جدّا، والأطفال ودودين جدّا، بحيث لم يستطع أن ينزع نفسه من هناك.

وسرعان ما شوهد كل يوم في أبركروس .

ولم يكن آل ماسجروف حريصين على دعوته أكثر من حرصه على المجيء، ولا سيما في الصّباح، لأن الأميرال وزوجته كآن يخرجان معاً دائماً عندما لا يكون في القلعة أحد. وكآن يهتمان بممتلكاتهما الجديدة ويزوران مروجهما وماشيتهما، أو يتنزهان في نزهة بالسّيارة.

ولم تكد علاقة القبطان الحميمة تترسّخ في أبركروس حتى عاد تشارلز هايتر وغضب. كان تشارلز هايتر[52] أكبر أبناء العمومة. وكان شاباً ودوداً ولطيفاً جدّا، وكان يبدو أن هناك ارتباطاً عظيماً بينه وبين هينريتا[53] حتى

[51] Shrop

[52] Charles Hayter

[53] Henriette

وصول وينتورث. وكان راهباً، ولكن بما أن حضوره لم يكن مطلوباً في كنيسة الرعيّة فقد عاش مع أبيه على بعد نصف فرسخ من أبركروس.[54] وكان غيابه القصير قد حرم هينريتا من اهتمامه، وعندما عاد أحسّ بأسى أنّ مكانه قد أُخذ.

وكانت السيّدة ماسجروف والسيّدة هايتر أختين، ولكن زواجهما وضعهما في مركزين مختلفين تماماً. فبينما كانت عائلة ماسجروف هي الأولى في البلاد، فإن حياة عائلة هايتر الصغيرة المنعزلة وتربية أطفالها الضئيلة كانت ستضعهما خارج المجتمع لولا ارتباطهما بأوبركروس. وكان الابن الأكبر هو الوحيد المستثنى، فقد كان متفوقاً على أسرته في الأخلاق وثقافة العقل .

كانت العائلتان على علاقة ممتازة على الدوام، فمن جهة لم يكن هناك أيّ تفاخر، ومن جهة أخرى لم يكن هناك أيّ حسد. ولم يكن لدى آل ماسجروف سوى إدراكهم لتفوقهم ممّا جعلهم يتفضّلون على أبناء عمومتهم بكل سرور.

وبدا أن هينريتا قد نسيت ابنة عمّها، ويتساءل المرء عمّا إذا كان القبطان يحبّها. أي الأختين كان يفضل؟ ربما كانت هينريتا أجمل، ولويزا أكثر ذكاءً .

[54] Uppercross

ويبدو أن الوالدين كانا إما جاهلين بالعالم أو واثقين من حصافة ابنتيهما، وبدا إنّهما تركا كل شيء للصّدفة ولم يقلقا من أي شيء.
كان الأمر مختلفاً في الكوخ. فقد بدت الأسرة الشّابة أكثر استعداداً للتخمينات، وسرعان ما اضطرت آن إلى الاستماع إلى آرائهم في تفضيل وينتورث. فمال تشارلز نحو لويزا، وماري نحو هينريتا، واتفق كلاهما على أنّ الزواج من أيّ منهما سيكون مرغوباً فيه للغاية .
لا بد أن وينتورث كان قد حصل على 50,000 جنيه استرليني خلال الحرب. كانت ثروة، وإذا كانت هناك حرب أخرى، كان من المؤكد أنّه سيبرز نفسه .
"يا إلهي!" صاحت ماري، "لو أنّه ارتقى إلى أعلى مراتب الشّرف! لو أنّه أصبح باروناً! ليدي وينتورث! هذا له وقع جميل. يا له من حظ لهينريتا ستأخذ مكاني في هذه الحالة، ولن تمانع في ذلك. ولكن بعد كلّ شيء، سيكون ذلك مجرّد نبل جديد، وأنا لا أعتقد ذلك كثيرا."
كانت ماري تفضّل أن تضع هينريتا[55] حداً لمطالبات هايتر. فقد كانت تعتبرها مصيبة حقيقيّة لها ولأولادها إذا ما أقيمت روابط قرابة جديدة مع هذه العائلة.
"قالت: "إذا أخذنا في الاعتبار التّحالفات التي عقدها آل ماسجروف، فليس من حقّ هينريتا أن تسقط، وأن تجعل من اختيارها لأشخاصها

[55] Henriette

الرئيسيين من عائلتها خياراً غير سار بإعطائهم حلفاء من حالة أدنى. من هو تشارلز هايتر من فضلك؟ ليس سوى وزير ريفي. إنّه زواج دوني جدّا للآنسة ماسجروف من ابركروس ".

لم يو افق زوجها على ذلك، لأن ابن عمّه الذي كان يحبّه حباً جمّاً كان ابناً أكبر منه ومن ثمّ كان جديراً بأن يوضع في اعتباره.

أنت سخيفة يا ماري". إن تشارلز هايتر لديه فرصة جيّدة للحصول على شيء من الأسقف، وبالإضافة إلى ذلك فهو الابن الأكبر، وسيرث عقاراً جميلاً. وتمتلك ولاية وينثروب ما لا يقلّ عن مائتين وخمسين فدان، بالإضافة إلى مزرعة تاوتون، وهي من أفضل المزارع في البلاد. إن تشارلز ولد طيب، وعندما يمتلك وينثروب سيعيش بشكل مختلف عما يعيشه الآن .

رجل بمثل هذه الأملاك لا يجبّ أن يحتقره أحد. لا، هينريتا يمكنها أن تفعل أسوأ من ذلك. اذا تزوّجت من هايتر، ولويزا ستحصل على وينتورث، سأكون راضيا جدّا." وقد جرت هذه المحادثة في اليوم التّالي للعشاء في أبركروس: وكانت آن قد بقيت في البيت بحجّة الصّداع النّصفي، وكانت لها ميزة مزدوجة هي تجنّب وينتورث وعدم اتّخاذها حكما. وكانت تودّ أن يحسم الكابتن أمره بسرعة، لأنّها كانت تتعاطف مع معاناة هايتر الذي كان أي شيء بالنسبة له أفضل من هذا الغموض. وكان قد شعر بالإهانة والقلق الشديدين من أسلوب ابن عمه.

هل يمكن أن يكون قد أصبح غريباً عنها بهذه السّرعة؟ لقد كان غائباً يوم الأحد مرتين فقط. وعندما كان غائباً، كانت مهتمة بتغييره العلاج إلى أبركروس للمرضى والعجزة للدكتور شيرلي .

عندما عاد، للأسف، ذهب كل الاهتمام .

لقد سرد الخطوات التي قام بها، ولم تعطه هينريتا سوى أذنين شاردتين. وبدا أنّها نسيت الأمر برمّته.

وفي صباح أحد الأيام، دخل القبطان غرفة الجلوس في الكوخ، حيث كانت آن وحدها مع الصّبي المريض على الأريكة .

وقد أفقدته المفاجأة عندما وجدها بمفردها حضوره الذهني المعتاد فارتجف. وقال: (لقد ظننت أنّ بنات ماسجروف هنا)، وذهب إلى النافذة ليستعيد نفسه ويقرر الموقف الذي سيتخذه .

فأجابته آن في ارتباك: "إنّهن في الطابق العلوي مع أختي، وسينزلن قريباً".

ولو لم يكن الطفل قد ناداها لخرجت لإنقاذ القبطان. وبقي هو عند النافذة، وبعد أن سألها بأدب عن الطفل الصغير، التزم الصّمت. وجثت آن على ركبتيها أمام الطفل الذي كان يسألها عن شيء ما، وبقيا على هذه الحال بضع لحظات، ثم رأت ما أثار ارتياحها الشديد، رأت شخصاً يدخل. لقد كان تشارلز هايتر، الذي لم يكن مسروراً بالعثور على الكابتن هناك أكثر ممّا كان مسروراً بالعثور على آن.

كل ما أمكنها قوله هو: "كيف حالك؟ اجلس من فضلك. إن أخي وأختي نازلان. وغادر وينتورث النافذة وبدا مستعداً للتحدث إلى هايتر، ولكنه عندما رآه يلتقط جريدة عاد إلى النافذة. وسرعان ما دفع الباب نصف المفتوح من قبل الطفل الصغير الآخر، وهو طفل في الثانية من عمره يتسم بالعزم والجرأة، فذهب إلى الأريكة وطلب حلوى؛ ولمّا لم يكن هناك أيّ شيء طلب لعبة؛ فتعلق بثوب عمته ولم تستطع التخلص منه. كانت تدعو وتأمر وتحاول إبعاده عنها، لكن الطفل وجد متعة كبيرة في التسلّق على ظهرها:

"والتر، أيها الطفل الشرير، آن مستاءة جدّا منك .

-والتر، "بكى تشارلز هايتر" لماذا لا تطيعني؟ هل تسمع عمتك؟ تعال إليّ يا والتر، تعال إلى ابن العم تشارلز .

لم يتحرك والتر. وفجأة وجدت نفسها حرة. وكان شخص ما يأخذ الطفل، ويفك يديه الصغيرتين حول عنق آن، ويأخذ الصبي بعيداً قبل أن تعرف إنّه القبطان. ولم تستطع أن تنطق بكلمة شكر، فقد كانت مشاعرها مضطربة جدّا. إن تصرف القبطان، والطريقة الصامتة التي قام بها في هدوء، والضوضاء التي أحدثها بعد ذلك في اللعب مع الطفلة لتجنّب الشكر وكلّ حديث معها، كل ذلك جعل آن تختلط عليها الأفكار بحيث لم تستطع أن تستعيدها، وعندما رأت ماري والآنسات

**الماسجروف يدخلن أسرعت من الغرفة. ولو أنّها بقيت في الغرفة لكانت هذه فرصة سانحة لدراسة الأشخاص الأربعة الذين كانوا في الغرفة.**

**كان من الواضح أنّ تشارلز هايتر لم يكن يتعاطف مع وينتورث. لقد تذكّرت كيف قال لوالتر[56] الصغير، بنبرة غاضبة، بعد تدخل الكابتن: "كان عليك أن تطيعني يا والتر؛ لقد قلت لك ألّا تعذّب عمّتك".**

**إذن فقد كان غير سعيد لأن وينتورث فعل ما كان يجب أن يفعله بنفسه؟ ولكنّها بالكاد كانت مهتمّة بمشاعر الآخرين قبل أن تتدبّر أمرها هي. لقد غمرها الحياء، وشعرت بالخجل ينتابها، وأصابها لتكون مضطربة هكذا، ومكتئبة بسبب شيء تافه؛ ولكن ذلك كان كل ما في الأمر، واستغرقها الأمر قدراً كبيراً من العزلة والتفكير حتى تستعيد عافيتها.**

[56] Walter

# الفصل: 10

لم يكن هناك نقص في الفرص لإبداء ملاحظات جديدة. وكانت قد رأت الشابين والشابتين معاً في كثير من الأحيان بما يكفي لإبداء رأيها، ولكنّها كانت أحكم من أن تدعّمهما برأيها في البيت. ولم يكن ذلك ليرضي الزّوج أو الزّوجة. وقد افترضت أنّ لويزا كانت مفضّلة على أختها، ولكن ذاكرتها بل تجربتها أخبرتها أن القبطان لم يكن يحب أياً منهما. ولعلّ الشّعور الذي كانت تكنّه له كان أقوى من ذلك؛ فقد كان إعجاباً يمكن أن يتحوّل إلى حبّ. غير أنّ هينريتا كانت تبدو في بعض الأحيان متردّدة بين هايتر وو وينتورث. وكانت آن تودّ أن تطلعهما جميعاً على موقفهما، وتبيّن لهما الشّرور التي كآن يعرضان نفسيهما لها.

ولم تنسب إلى أيّ منهما أي فكرة شريرة، وقالت لنفسها في سرور إن القبطان لم يكن يعرف الأذى الذي كان يسبّبه؛ ولم يكن لديه أيّ دهاء ولا شكّ أنّه لم يكن يعرف شيئاً عن خطط هايتر. ولكنّه لم يكن مصيبا في قبوله اهتمام الفتاتين.

لكن سرعان ما بدا لها أن هايتر هجر المكان. ومرّت ثلاثة أيام دون أن يراه أحد؛ حتى إنّه رفض دعوة إلى العشاء. ووُجده السيّد ماسجروف في المنزل محاطاً بكتب كبيرة واستنتج أنّه كان ينهك صحّته في العمل.

وظنت ماري أن هينريتا قد رفضته رفضاً قاطعاً، بينما كان زوجها على العكس من ذلك ينتظره كل يوم. وأخيراً، و افقت آن على غيابه.

وفي هذا الوقت تقريباً، في صباح أحد أيام نوفمبر الجميلة، كان تشارلز ماسجروف والقبطان خارجين للصّيد. وكانت آن وماري تجلسان في هدوء في الكوخ عندما مرت فتاتا ماسجروف، و اقتربتا من النافذة وقالتا إنّهما ذاهبتان في نزهة طويلة جدّا قد لا تحبّذها ماري. فأجابت الأخيرة مصدومة قليلاً:

"أحبّ أن أذهب، فأنا أحبّ المشي لمسافات طويلة ."

رأت آن في عيني الفتاتين أنّ هذا بالضّبط ما لا تريدانه، وأعجبت مرّة أخرى بعادة العائلة في قول وفعل كلّ شيء معاً دون أن ترغب في ذلك. وحاولت أن تثني ماري عن الذهاب، ولكن بما إنّها لم تستطع، رأت أنّه من الأفضل أن تقبل الدّعوة الأكثر ودّية من فتيات ماسجروف، يمكن أن يكون وجودها مفيدًا للعودة مع أختها ولا يعيق خططهم .

قالت ماري وهي تصعد السّلالم: "ما الذي يجعلهنّ يعتقدن أنّني لا أستطيع المشي لمسافة طويلة؟ يبدو أنّهنّ ظننّ أنّني لا أجيد المشي، ومع ذلك لم يكنّ ليسعدن لو أنّني رفضت. عندما يأتي أحدهم ليطلب منك شيئًا كهذا، هل يمكنك الرفض؟

وبينما كنّ على وشك الانطلاق، عاد الصيّادان. وكانا قد أحضرا معهما كلباً صغيراً أفسد عليهما صيدهما وجعل عودتهما تتقدّم. لذلك كانوا كلّهم مستعدين للذهاب معا في نزهة.

لو كانت آن قد توقّعت ذلك لبقيت في المنزل. قرّرت أنّ الوقت كان متأخّرا جدًا للتراجع، وانطلقت مجموعة السّتة في الاتجاه الذي اختارته فتيات موسجروف، وعندما أصبح الطريق أضيق، تمكنت آن من السّير مع أخيها وأختها، ولم تكن تريد أن تعترض طريق الآخرين. و كان من دواعي سرورها الهواء والتّمرين، ومنظر آخر أشعة الشّمس على أوراق الشجر المصفرّة؛ وكذلك أن تكرّر على نفسها بعض الأوصاف الشعريّة للخريف، ذلك الفصل الذي له تأثير قوي على النفوس الرقيقة. وبينما كانت تشغل ذهنها بهذه التأمّلات والاقتباسات، كان من المستحيل عليها ألّا تسمع حديث القبطان مع الأختين. لقد كانت مجرّد ثرثرة مفعمة بالحيويّة، كما يليق بالشّباب الذين كانوا على علاقة حميمة. وكان يدردش مع لويزا أكثر ممّا كان يدردش مع هينريتا. كانت لويزا أكثر حيويّة من هينريتا. وقالت شيئاً أذهل آن لفترة.

وبعد أن أبدى إعجابه باليوم الرائع عدّة مرات، أضاف الكابتن.

"يا له من طقس جميل للأميرال وأختي! سيقومان برحلة طويلة هذا الصباح: سنتمكن من رؤيتهما من أعلى تلك التلال. قالا إنّهما سيأتيان من هذا الطريق .

أتساءل أين سيسقطان اليوم؟
آه، هذا يحدث لهما في كثير من الأحيان، لكن أختي لا تقلق بشأن ذلك.
-أما بالنسبة لي، قالت لويزا: "أما أنا، فسأفعل نفس الشيء لو كنت مكانها. لو كنت أحببت شخصاً كما تحب هي الأميرال لما استطاع شيء أن يفصلني عنه، ولأحببت أن أسقط على يده على أن يقودني غيره إلى بر الأمان .
قالت هذا بحماس .
"حقًا"، صرخ بنفس النبرة: "أنا معجب بك. ثم ساد الصّمت.
ونسيت آن للحظة الاقتباسات الشعرية من مشاهد الخريف الحلوة؛ ولم يبق في ذاكرتها إلا قصيدة رقيقة مليئة بأوصاف السنة المنقضية، تحمل في طياتها سعادة وصور الشباب والأمل والربيع .
فلما رأت أن طريقاً آخر قد سلكته قالت: "أليس هذا هو الطريق إلى وينثروب؟ لكن لم يسمعها أحد. وكانوا متجهين بالفعل إلى وينثروب، وبعد تسلق لطيف عبر حقول واسعة، حيث آثار محراث الحراث، وهو يعد ربيعاً جديداً يكذّب الأشعار الكئيبة، وصلوا إلى قمة تلّ مرتفع يفصل بين أبركروس و وينثروب .
كان وينثروب، الذي كان يمكن رؤيته في الأسفل، منزلاً قبيحاً مبتذلاً بسقف منخفض، محاطاً بحظائر ومباني زراعية.

"هل هذا وينثروب؟" قالت ماري، "لم يكن لدي أي فكرة. أعتقد إنّه من الأفضل أن نعود أنا متعبة جدّا.

كانت هينريتا مضطربة بعض الشيء، ولم تكن ترى تشارلز هايتر في الجوار، وكانت مستعدة أن تفعل ما تمنته ماري، ولكن تشارلز ماسجروف رفض، وقالت لويزا لا، بنشاط أكبر، وأخذت أختها جانباً وبدت تجادلها بحدّة.

وأعلن تشارلز بوضوح تام أنّه سيذهب لرؤية عمّته، لأنّه كان قريباً جدّا منها، وسعى جاهداً لإقناع زوجته؛ ولكن هذه كانت إحدى النقاط التي أظهرت فيها إرادتها: رفضت رفضاً مطلقاً، وكان كل شيء في وجهها يدل على أنّها لن تذهب. وبعد نقاش قصير، تمّ الاتفاق على أن ينزل تشارلز وهينريتا إلى أسفل التل ويبقى الآخرون في الأعلى. واستغلت ماري لحظة لتقول للقبطان وهي تلقي نظرة ازدراء حولها: "إنّه لأمر غير سار أن يكون لديك والدين من هذا القبيل، فأنا لم أذهب إلى هناك غير مرتين في حياتي."

فابتسم ابتسامة آمرة، ثم أشاح بوجهه بنظرة ازدراء فهمتها آن تماماً.

وانضمت إليهما لويزا التي كانت قد خطت بضع خطوات مع هينريتا، وجلست ماري على جذع شجرة. وكانت سعيدة ما دام الجميع حولها، ولكن عندما ذهبت لويزا مع وينتورث لقطف البندق، وجدت أن مقعدها لم يكن مريحاً فذهبت تبحث عن مكان آخر.

جلست آن على أحد الجسور وسمعت وينتورث ولويزا خلفها وهما يشقان طريقهما عبر سياج. بدت لويزا مفعمة بالحيوية وقالت:
"لقد أجبرتها على المغادرة؛ اعتقدت أنّه من العبث أنّها لم تقم بالزيارة. لم أكن لأسمح لنفسي أن أتأثّر بفعل شيء لم أكن أرغب في القيام به. عندما أقرّر شيئًا ما، أقوم به .
كانت هينريتا ستتخلى عن الذهاب إلى وينثروب بدافع التهاون السّخيف.
-إذن، لولاك ما كانت ستذهب ؟
- نعم، و أنا أخجل من قول ذلك.
- إنّها سعيدة للغاية بوجود شخصية مثلك تماما حولها. ما قلته أنت للتو يؤكد ملاحظاتي. أنا لا أريد أن أتظاهر بأنني لا أعرف ما يدور حول هذا الموضوع: أستطيع أن أرى أن هذه الزيارة أكثر من مجرد زيارة مهذّبة. وإذا كانت أختك لا تعرف كيف تقاوم أي طلب في مثل هذا الظرف غير المهمّ، فإنّني أشفق عليهما، هي وهو، عندما يتعلق الأمر بأمور خطيرة تتطلب القوة والحزم. إنّ أختك إنسانة طيبة، ولكنّك حازمة: فإذا أردت أن تقوديها إلى السّعادة فأعطها من شخصيتك ما تستطيعين. و لكنّك على الأرجح كنت تفعلين ذلك دائماً. إنّ أسوأ ما في الأمر هو الشّخصيّة الضّعيفة والمتردّدة الّتي لا يمكنك الاعتماد عليها. إذ

لا يمكنك أبدًا أن تكون متأكدًا من أنّ الانطباع الجيد سيدوم. فليكن من يريد أن يكون سعيداً حازماً."

التقط حبة بندق. قال: "ها هي حبة بندق جميلة وصحية صمدت أمام عواصف الخريف. لا بقعة ولا وخزة وفي حين أن أخواتها قد داستها الأقدام، فإن هذه البندقة"، قالها بوقار هزلي، "لا تزال تمتلك كل السعادة التي يمكن أن يدعيها البندق." ثم عاد إلى نبرة جادة:

"أمنيتي الأولى لمن أحبهم هي الثبات. فإذا أرادت لويزا ماسجروف أن تكون جميلة وسعيدة في خريف حياتها، فعليها أن تنمّي كل ما في روحها من قوة".

لم يتلق أي رد. كانت آن ستندهش لو أن لويزا كانت قادرة على الرد بهذه السّرعة على كلمات بهذا الاهتمام الشديد. لقد فهمت ما شعرته لويزا. أما هي نفسها، فلم تجرؤ على الحركة خوفاً من أن يراها أحد. كانت شجيرة مقدسة تحميها. وبينما كانا يبتعدان، سمعت لويزا تقول:

"ماري طيبة الطباع، لكنها تزعجني أحيانا بحماقتها وكبريائها. لديها الكثير من كبرياء إليوت! لقد تمنّينا لو أن "تشارلز" تزوّج "آن" بدلاً من "ماري". أتعلم إنّه طلب "آن"؟

فأجابها القبطان بعد صمت: "هل تقصدين إنّها رفضته؟

-نعم، بالطبع .

-ومتى كان ذلك؟

- لا أعرف بالضبط، لأننا كنا، أنا وهينريتا، في مدرسة داخلية في ذلك الوقت. أعتقد أن ذلك كان قبل عام من زواجه من ماري. يعتقد والداي أن صديقتها المقرّبة، اللّيدي راسل، هي التي منعت الزواج، فهي لم تكن تعتقد أن تشارلزكان مثقفاً بما فيه الكفاية، و أقنعت آن بالرفض".

تلاشت الأصوات، ولم تسمع آن شيئاً آخر. لم تتحرك في البداية من الدهشة، ووجدت صعوبة بالغة في النهوض. لم تكن قد عانت من مصير أولئك الذين يستمعون: لم يكن قد قيل عنها شيء سيئ، ولكنها سمعت أشياء مؤلمة جدّا. ورأت كيف كان القبطان يحكم عليها؛ وعندما تحدّث عنها، كان لديه مزيج من الفضول والاهتمام جعلها قلقة للغاية.

و انضمت إلى ماري، وعندما اجتمعت الرفقة كلها، شعرت بشيء من الارتياح لانعزالها وسط الجميع .

وأخذ تشارلزوهينريتا هايترمعهما. لم تحاول آن أن تفهم ما حدث، ولكن من المؤكد أنّه كان هناك بعض الفتور بينهما، وأنّهما الآن يبدوان سعيدين جدّا، وإن كانت هينريتا تبدو مرتبكة بعض الشيء. ومنذ تلك اللحظة فصاعداً، كان كل منهما يعتني بالآخر حصريّاً.

وكان كلّ شيء يشير الآن إلى لويزا بوصفها القبطانة، وساروا أيضاً جنباً إلى جنب. وفي المرج الشّاسع الذي مرّ فيه السّائرون شكلوا ثلاث مجموعات. كانت آن تنتمي إلى أقل الثلاثة حيويّة. و انضمت إلى تشارلز وماري ووجدت نفسها متعبة بما فيه الكفاية لتقبل ذراع زوج أختها

الذي لم يكن سعيداً مع زوجته في ذلك الوقت. كانت ماري غير لطيفة وكانت تعاني من العواقب. وكان زوجها يرفع ذراعه عنها بين الفينة والأخرى لقطع رؤوس نبات القراص على طول السياج: وكانت تشكو كالعادة من ذلك، ولكن تشارلز تركهما معاً ليطارد ابن عرس فلم تستطيعا أن يجارينه والتحقتا به بصعوبة .

وعندما غادرا المرج، انضمت إليهما عربة الأميرال التي كانت تسير في نفس اتجاههما. وعند سماعه بالرحلة الطويلة التي قام بها الشابان، عرض على السيّدة التي كانت أكثر تعباً أن تجلس في مقعدها.

وكان في وسعه أن يوفر عليها ميلاً، إذ كانوا يمرون على أبركروس .

ورفضت الدعوة فتيات ماسجروف لأنهنّ لم يكنّ متعبات، ورفضتها ماري التي استاءت من عدم دعوتها قبل غيرها، أو لأن كبرياء الإليوت كما قالت لويزا لم يكن يقبل أن تكون طرفاً ثالثاً في عربة ذات حصان واحد .

كنا على وشك أن نفترق عندما قال القبطان لأخته بضع كلمات هادئة. آنسة إليوت"، قال الأخير: "لا بد أنك متعبة، دعينا نحظى بشرف إيصالك إلى المنزل. هناك متسع كبير لثلاثتنا؛ لو كنا نحيفين مثلكِ لاستطعنا أن نركب أربعة. تعالوا من فضلكم.

لم يُسمح لآن بالتردد .

أصر الأدميرال أيضاً. كان الرفض مستحيلاً .

التفت إليها القبطان، ودون أن ينبس ببنت شفة، ساعدها بهدوء على الصعود إلى العربة. نعم، لقد فعل ذلك! كانت هناك جالسة بإرادة فريديريك ويديه! لقد رأى كم كانت متعبة وأرادها أن ترتاح. لقد تأثرت بهذا التعبير عن مشاعره .

لقد فهمت ما كان يفكر فيه. لم يكن يستطيع أن يسامحها ولكنه لم يكن يريدها أن تعاني. كان مدفوعاً إلى ذلك بشعور من المودة لم يكن يعترف به لنفسه. لم تستطع أن تفكر في الأمر دون أن ينتابها مزيج من الفرح والحزن. ففي البداية استجابت بذهن شارد لملاحظات رفاقها اللطيفة. وكانوا في منتصف الطريق عندما أدركت إنّهم كانوا يتحدثون عن فريدريك !

قال الأدميرال: "من المؤكد أنّه يريد الزواج من إحداهن، ولكن هذا لا يدلنا على أي واحدة منهن. وذلك هو اللغز!

- إنّه يذهب إلى هناك منذ فترة طويلة بما فيه الكفاية ليعرف ماذا يريد. السلام هو سبب كل هذا. إذا اندلعت الحرب فسرعان ما سيُحسم الأمر .

نحن البحارة يا آنسه اليوت لا يمكننا أن نتحاكم طويلاً في زمن الحرب كم من الوقت يا عزيزتي بين لقائنا الأول و انتقالنا إلى يارموث؟[57]

[57] Yarmouth

- قالت السيّدة كروفت مبتهجة: (من الأفضل ألا نقول شيئاً عن ذلك) لو علمت الآنسة إليوت كيف تم الأمر بسرعة لما صدقت أننا كنا سعداء. على أية حال، لقد عرفتك من خلال سمعتك منذ زمن طويل.
- وكنت قد سمعت عنك كفتاة جميلة. هل كان عليك الانتظار أكثر من ذلك؟ لا أحب أن أبقي مثل هذه الخطط في ذهني لفترة طويلة. أتمنى لو أن فريدريك يكشف عن بطارياته ويحضر إحدى تلك الفتيات الصغيرات إلى كلينك. سيجد نفسه رفقة فاتنتين، بالكاد أستطيع أن أميز إحداهما عن الأخرى.

-"إنّهما بسيطتان جدّا ورشيقتان جدّا في الواقع"، قالت السيّدة كروفت بنبرة أقل حماسة ممّا جعل آن تفترض إنّها لم تكن تعتقد إنّهما جديران بأخيها تماماً. إنّهم عائلة محترمة جدّا، أناس ممتازون. عزيزتي الأدميرال، كوني حذرة، سننقلب! فأمسكت بزمام العربة وتجنبت العقبة، ثم منعتها من الوقوع في شبق أو أن تعلق بعربة أخرى .

استمتعت آن بالتفكير في أن هذه الطريقة في القيادة ربما كانت مشابهة للطريقة التي كانوا يقودون بها العائلة. قادتها هذه الفكرة إلى الكوخ.

# الفصل: 11

وكان موعد عودة اللّيدي راسل قد اقترب، بل إنّ اليوم كان قد تحدد، وبدأت آن التي كان من المقرر أن تلحق بها في كيلينش تخشى الإزعاج الذي قد ينجم عن ذلك. كانت ستكون على بعد ميل واحد من القبطان؛ وكانت ستذهب إلى نفس الكنيسة؛ وكانت العائلتان ستلتقيان.

ومن ناحية أخرى، فقد كان في كثير من الأحيان في أبركروس لدرجة إنّها كانت تفضّل أن تتجنّبه على أن تقابله. لذلك لم يكن بإمكانها ان تكسب من ذلك سوى ان تستفيد من تغيير صحبة ماري بصحبة اللّيدي راسل.

لم تكن تودّ أن تقابل القبطان في المنزل الذي التقيا فيه لأوّل مرّة. كانت الذكرى مؤلمة للغاية، لكنّها كانت أكثر خوفاً من لقاء السيّدة راسل والقبطان. لم يحب كل منهما الآخر؛ كان أحدهما هادئاً جدّا، والآخر لم يكن هادئاً بما فيه الكفاية.

وقد تميزت نهاية إقامته في أبركروس بحدث غير متوقع .

فقد سافروينتورث لزيارة صديقه هارفيل الذي انتقل إلى لايم[58] لقضاء الشتاء مع عائلته. لم يكن قد تعافى تمامًا من إصابة كان قد تعرض لها قبل عامين.

وعندما عاد وينتورث[59]، أثاروصف هذه البلاد الجميلة حماساً شديداً لدرجة أنّ الجميع عقدوا العزم على الذهاب إلى هناك معاً. وكان الشّباب على وجه الخصوص متحمسين لرؤية لايم. وكان الآباء يودّون تأجيل الرحلة إلى الرّبيع التالي، ولكن على الرغم من أنّنا كنا في شهر نوفمبر، إلّا أن الطقس لم يكن سيئاً.

أرادت لويزا أن تذهب، لكنّها أرادت قبل كل شيء أن تُظهر إنّها عندما تريد فإنّها تفعل ذلك. أقنعت والديها، وتقرّرت الرحلة .

وقد تم التخلّي عن فكرة الذهاب والعودة في نفس اليوم حتى لا تتعب خيول السيّد ماسجروف، واجتمعوا مبكّراً لتناول الغداء في غريت هاوس. ولكن كان الوقت قد انتصف النّهارعندما وصلوا إلى لايم. وبعد أن طلبوا العشاء ذهبوا لرؤية البحر. وكان الموسم متأخراً جدّا على أن يقدم لنا ملاهي المدن المائية، ولكن الوضع الرائع للمدينة التي تمتد على طول الخليج الصغيرالسّاحرالذي يبعث الحياة في الصّيف، ومنتزه

[58] Lyme

[59] Wenvorth

كوب[60]، وخطّ الصّخور الجميل الذي يمتدّ إلى الشّرق من البلدة، كل هذه الأشياء تجذب عين المسافر، وعندما ترى لايم مرّة واحدة ترغب في رؤيتها مرة أخرى. ويجب أن ترى أيضاً تشارموث[61] بتلالها وخطوطها الطويلة من الأرض وخليجها الهادئ المنعزل المحاط بالصّخور الداكنة .

إنّه مكان رائع للتحديق الحالم إلى البحر! يجب أن ترى الجزء الأعلى من لايم بغاباتها، ولا سيما بومي بأخاديدها الخضراء المنحوتة بين الصّخور حيث تنمو أشجار الغابات والأشجار المثمرة في اختلاط؛ وهي مواقع تشهد على عمل الزمن الطويل الذي هيّأ هذه الأماكن الرائعة التي لا يضاهيها إلّا مواقع وايت[62] الشّهيرة! تحتاج إلى رؤية هذه الأماكن مراراً وتكراراً لتقدير جمال لايم.

وشقّ أصدقاؤنا طريقهم إلى منزل هارفيل في الكوب؛ ودخل القبطان وحده ثم ما لبث أن خرج مع السيّد والسيّدة هارفيل والقبطان بينويك[63].

---

60 Cobb

61 Charmouth

62 Wight

63 Benwick

كان بينويك قائداً على لاكونيا[64]. وكان مديح وينتورث له قد جعله يحظى بتقدير كبير في أوبركروس، لكن قصّة حياته الخاصّة جعلته أكثر إثارة للاهتمام. كان قد تزوّج أخت هارفيل وفقدها للتّو .

وكان الحظ قد جاءهما بعد سنتين من الانتظار، وكانت فاني هارفيل قد ماتت قبل أن ترى ترقية زوجها. كان يحبّ زوجته ويفتقدها بقدر ما يمكن للرجل أن يفتقد. كان من تلك الطبائع التي تتألم أكثر من غيرها، لأنّها أكثر ما تشعر به. كان جادًا وهادئًا ومتحفظًا، وكان يحبّ القراءة والجلوس في هدوء.

وزادت وفاة زوجته من توطيد الصداقة بينه وبين آل هارفيل، وجاء للإقامة معهم. وكان هارفيل قد استأجر في لايم لمدة ستة أشهر؛ وكانت صحّته وأذواقه وثروته الضئيلة تجذبه إلى هناك، بينما كان جمال الريف وعزلة الشتاء يناسبان حالة بنويك العقلية.

"ومع ذلك، قالت آن لنفسها: "لا يمكن أن تكون روحه أكثر حزناً من روحي. لا أستطيع أن أصدّق أنّ كل آماله قد ذبلت. إنّه أصغر مني سناً، إن لم يكن في الواقع، فعلى الأقل في الإحساس؛ وأصغر مني سناً أيضاً لأنه رجل سيعزي نفسه بأخرى، وسيظلّ سعيداً.

وكان الكابتن هارفيل طويل القامة، أسمر الشعر، لطيف المظهر، ولكنه كان يعرج قليلاً: وملامحه البارزة وقلة صحته جعلته يبدو أكبر سناً من

[64] la Laconia.

وينتورث. أمّا بينويك[65] فيبدو إنّه أصغر الثلاثة سناً، وبدا صغيراً مقارنة بالاثنين الآخرين. وكان يبدو لطيفاً وكئيباً وقليل الكلام.

وكان هارفيل، دون أن يضاهي وينتورث في الأخلاق، رجلاً مهذباً مثالياً، بسيطاً وودوداً ومطيعاً. السيّدة هارفيل، التي كانت أقلّ تميزاً من زوجها، بدت لطيفة جدّا .

كان ترحيبهما بأصدقاء وينتورث ساحراً.

واستخدمت الوجبة التي طُلبت في النزل كذريعة لرفض دعوتهم إلى العشاء. لكنهم بدوا متألمين تقريباً لأن وينفورث لم يحضر أصدقاءه دون أن يدعوهم. وكان كل ذلك يدل على صداقة كبيرة للقبطان، وشعور بالضيافة نادر جدّا وجذاب جدّا؛ وكان ذلك مختلفاً جدّا عن الدعوات المبتذلة والعشاء الاحتفالي والأبهة، حتى أن آن قالت لنفسها بحزن عميق: (كان من الممكن أن يكون هؤلاء أصدقائي!)

دخلوا المنزل. كانت الغرف صغيرة جدّا بحيث بدا من المستحيل استقبال الضّيوف. وقد أعجبت آن بترتيبات الكابتن هارفيل البارعة للاستفادة من المساحة المحدودة، وعلاج مضايقات المنزل المفروش، وحماية الأبواب والنو افذ من عواصف الشتاء.

وكان التباين بين الأثاث المبتذل الذي لا غنى عنه الذي وفّره صاحب البيت، وبين الأشياء الخشبيّة الثّمينة المشغولة بإعجاب، والتي كان

[65] Benwick

القبطان قد عاد بها من رحلات بعيدة، قد بعث في نفس آن شعوراً غير الشّعوربالسّرور. فقد كانت هذه الأشياء تذكّرها بمهنة وينتورث وعمله وعاداته، وكانت صور السّعادة المنزليّة هذه مؤلمة وممتعة لها في آن واحد. ولم يكن الكابتن هارفيل يقرأ، ولكنّه كان قد صنع بعض الرّفوف الجميلة جدّا لكتب بنويك. وكان عجزه يمنعه من ممارسة الرّياضة كثيراً، ولكن عقله العبقري كان يشغله في الدّاخل. فقد كان يرسم ويطلي ويزخرف ويلصق؛ وكان يصنع لعباً للأطفال، ويتقن صنع المكوكات، وعندما لم يكن لديه شيء آخر يعمله، كان يعمل في زاوية على شبكة الصّيد.

عندما غادرت آن المنزل، بدا لها أنّها تترك السّعادة وراءها. وكانت لويزا تسير بجانبها مسرورة. وفي حالة نشوة. كانت معجبة بشخصية الضبّاط البحريين: ودّهم وصداقتهم وصراحتهم واستقامتهم. و كانت ترى أنّ البحّارة أفضل من غيرهم قلباً وعقلاً، وإنّهم وحدهم الذين يستحقّون الاحترام والحبّ.

وذهبن لتناول العشاء، وكنّ في غاية السّعادة لأنّ كلّ شيء كان على ما يرام، وكانت أعذار صاحب الفندق عن تأخّر الموسم وقلة الموارد في لايم غير مجديّة .

وكانت آن قد اعتادت على الكابتن وينتورث أكثر مما كانت تظن أنّها ستعتاده، ولم تجد صعوبة في الجلوس معه على مائدة واحدة وتبادل

بعض الكلمات المهذبة. وقد أحضر هارفيل صديقه، وبينما كان هو و وينتورث يسليّان الحاضرين بعدد من القصص التي كانت لديهما، وضعت الصدفة بينويك بجانب آن. كان خجولاً ومشتّت الذّهن، لكن أسلوب آن الوديع الرّائع وجاذبيتها اللطيفة كان لهما تأثيرهما، وقد نالت أجرها على عنائها. ولا ريب أنّه كان ذا ذوق رفيع في الشّعر، وكان لآن سرور مزدوج، سرور إرضائه بأن توفّر له موضوعاً للحديث لم يكن تتيحه له حاشيته، وسرور إسعاده بأن تشجعه على التغلّب على حزنه: وقد تحقق ذلك بالحديث، لأنّه على الرّغم من خجله فقد كان يعلن أنّ مشاعره كانت تنتظر أن تنفجر. ثم تحدّثا عن الشّعر، وعن غنى العصر الحاضر، وبعد مقارنة قصيرة بين كبار الشعراء، حاولوا أن يقرروا ما إذا كانوا يفضلون مارميون[66] أو سيّدة البحيرة، أو عروس أبيدوس[67] أو جياور[68]، فأظهر إنّه يعرف جيداً الأغاني الرقيقة التي تغنّيها إحداهما، والأوصاف العاطفيّة والألم اليائس الذي تشعر به الأخرى. كان صوته يرتجف وهو يتلو شكوى قلبٍ محطّمٍ، أو نفس غارقة في الشّقاء، وبدا أنّه يستدرّ العطف.

[66] à Marmion

[67] Abydos

[68] Giaour

وسألته آن عما إذا كان يقرأ الشعر عادة؛ فتمنّت ألّا يفعل، لأنّ نصيب الشّعراء أن يكونوا تعساء، وليس من شأن أصحاب المشاعر القويّة أن يستمتعوا بها في الحياة الواقعيّة.

وأعلم بنويك أنّه تأثّر بهذا التلميح إلى حالته العقليّة؛ وقد شجّع ذلك آن، وشعرت أن لعقلها حقّ الأولوية على عقل بنويك، فحثّته على أن يعطي للنثر مكانا أكبر في قراءته; وعندما طلب منها أن تحدّد له بعضاً من أفضل علماء الأخلاق، ومجموعات من الرّسائل الرائعة، ومذكّرات الأرواح النبيلة التعيسة؛ وكل ما بدا لها أنّه صالح لأن يسمو بالنّفس ويحصنها بأسمى الوصايا وأقوى الأمثلة على الاستسلام الأخلاقي والدّيني.

وأصغى بنويك بانتباه، وبينما كان يهزّ رأسه ليظهر قلّة إيمانه بفعالية الكتب في علاج حزن مثل حزنه أخذ علما بالكتب التي أوصت بها ووعد بقراءتها. وعندما انتهت الأمسية، ضحكت آن من فكرة أنّها جاءت لتقضي يوماً في لايم لتعظ شاباً لم تقابله من قبل بالصّبر والاستسلام. وبعد مزيد من التّفكير، خشيت أن تكون، مثل عظماء الأخلاقيين والوعّاظ، قد تكلّمت في نقطة لا علاقة لها بسلوكها.

# الفصل: 12

وفي صباح اليوم التالي، ذهبت آن وهينريتا إلى الشّاطئ لمشاهدة ارتفاع المدّ الذي كانت الرّياح الجنوبيّة الشرقية الخفيفة تجلبه في صفائح عريضة إلى الشاطئ المنبسط .وبعد أن تأملتا البحر معاً، واستنشقتا نسيم الصّباح ببهجة، قالت هينريتا فجأة:

"أجل، آن مقتنعة بأن هواء البحر مفيد لكِ لقد قدّم للدّكتور شيرلي خدمة عظيمة بعد مرضه في الربيع الماضي. لقد قال بنفسه أن قضاء شهر في لايم قد نفعه أكثر من أي علاج، وأنّ البحر جعله يشعر بالشّباب. من المؤسف أنّه لا يبقى هناك طوال العام. من الأفضل أن يترك أبركروس ويستقرّ في لايم ألا تعتقدين ذلك، آن؟ أتتّفقين معي أنّ هذا أفضل شيء يمكن أن يفعله لنفسه و للسيّدة شيرلي فلديها أقارب هنا والكثير من معارفها الذين سيجعلون البلد مريحاً لها، وعندئذ ستكون في راحة تامة لوجود طبيب هنا في حالة تعرضها لنوبة أخرى. إنني أجده من المحزن جدّا أن يقضي هؤلاء النّاس الممتازون، الذين عملوا الخير طوال حياتهم، سنواتهم الأخيرة في مكان مثل أبركروس حيث لا يجدون من يرونه غير عائلتنا. يجب على أصدقائه أن يحثوه على القدوم:

"سيكون من السهل أن يحصل على إعفاء من الإقامة. ولكن هل يمكن إقناعه بترك أبرشيته؟ إنّه شديد الورع! ألا ترين مثلي أنّه شديد الورع،

وأنّ هناك مبالغة في التّضحية بصحّته من أجل واجبات يقوم بها غيره؟ إذا جاء إلى لايم، سيكون على بعد ستّة فراسخ فقط، ويمكنه أن يعرف ما يجري في أبرشيته".

ابتسمت آن أكثر من مرّة خلال هذا الخطاب. كانت مستعدّة للتّعاطف مع هينريتا كما كانت مستعدّة للتّعاطف مع بينويك. قالت كلّ ما يمكن أن يقال بشكل معقول وفي صميم الموضوع. لقد تفهّمت حقّ الدّكتور شيرلي في التّقاعد والحاجة إلى بديل، وكانت لطيفة بما فيه الكفاية لتقترح أنّه سيكون من الأفضل له أن يتزوّج.

قالت هينريتا بسرور شديد: أتمنّى لو أن اللّيدي راسل كانت تعيش في أبركروس وكانت من أصدقاء الدكتور الحميمين. لطالما سمعت أنّ لها تأثيراً عظيماً على أصدقائها. إنّني أخافها لأنّها شديدة الإدراك، ولكني أحترمها كثيراً وأودّ أن أراها في أبركروس.

وكانت آن مستمتعة برؤية المناظر الطّبيعية ثمّ أنّ اهتمامات هينريتا ستجعل اللّيدي راسل في صالحها. لم يكن لديها وقت للردّ، لأنّ لويزا و وينتورث كانا يقتربان. اقترحتا العودة إلى المدينة معاً. وعندما وصلا إلى السّلالم المؤدّية إلى الشّاطئ، رأيا رجلاً نبيلاً أمامهما فتنحّى جانباً ليسمح لهما بالمرور.

ولاحظت آن نظرة الإعجاب الّتي كان يرمقها بها، ولم تكن آن متبلّدة الإحساس. فقد كانت جميلة جدّا في ذلك اليوم، وكان نسيم الصّباح قد

جعل بشرتها نضرة وعينيها مشرقتين. كان من الواضح أن الغريب كان معجباً بها. ولاحظ وينتورث ذلك فرمق آن بنظرة سريعة لامعة بدت وكأنّها تقول:

"هذا الرجل معجب بك، وقد تعرّفت الآن على آن إليوت."

بعد نزهة قصيرة عبر المدينة، عادت إلى النزل. وفي طريقها من غرفتها إلى غرفة الطعام، التقت آن بالغريب الخارج من شقّته. و قد خمّنت بالفعل أنّه الغريب حقّا، وأنّ ذاك خادمه الذي رأته بالقرب من المنزل. كان السيّد والخادم في حالة حداد. ونظر إليها مرة أخرى واعتذر لها عن ظهوره المفاجئ بلباقة ساحرة. وكان يبدو أنّه في الثلاثين من عمره تقريباً: كانت ملامحه وإن لم تكن وسيمة إلا أنّها كانت مبهجة إلى درجة أنّ آن أرادت أن تتعرّف عليه.

لم يكد الغداء ينتهي حتى جذب صوت عربة الضّيوف إلى النّافذة .كانت عربة يقودها عريس في حالة حداد. راقبت كلّ العيون الفضوليّة السيّد وهو يخرج مصحوباً بتحيّة صاحب النزل. صعد إلى العربة وأمسك بزمامها " آه، إنّه الشّخص الذي قابلناه من قبل"، قال الكابتن وينتورث وهو ينظر إلى آن.

قال لصاحب الحانة:

"هل تستطيع أن تخبرنا من هذا السيّد الذي غادر لتوّه؟"

. إنّه رجل ثريّ جدّا، السيّد إليوت[69]، وقد وصل اللّيلة الماضية من سيدموث[70]. وهو ذاهب إلى باث[71]، ومن هناك إلى لندن .

إليوت!" نظر النّاس إلى بعضهم البعض وهم يردّدون الاسم .

يا إلهي!" صاحت ماري: "لا بدّ أنّه ابن عمّنا يا آن، أليس هو أقرب ورثة أبي؟ أخبرني يا سيدي"، قالت مخاطبة صاحب الحانة، "ألم تسمع أنّه ينتمي إلى عائلة كيلينش؟"

-لا يا سيدتي، إنّه لم يقل شيئاً محدّداً عن ذلك، ولكنّ الخادم قال: "إنّ سيّده سيصبح بارونا يوماً ما ."

- "أترين!" صاحت ماري مبتهجة "وريث السّير والتر! يمكنك أن تكوني متأكّدة من أنّ خدمه يحرصون على الدّعاية له أينما ذهب. آن، آسفة لأني لم ألق نظرة أفضل عليه. يا لسوء الحظ! لو تمّ تحذيري في الوقت المناسب، لكان من الممكن أن يتم تقديمه.

هل تعتقدين أنّه يشبه الإليوت[72]؟ بالكاد نظرت إليه؛ كنت أتفحّص الخيول. من المدهش أن شعاره لم يلفت انتباهي. لقد أخفاه معطفه، وإلا لكنت قد لاحظته، وكذلك الكسوة أيضاً .

---

69 M. Elliot

70 Sydmouth

71 Bath

72 Elliot

- إذا وضعنا كلّ هذه الظروف معاً، قال وينتورث: "يجب أن نفترض أنّ العناية الإلهية شاءت ألا نتعرّف على ابن عمّك."

أشارت آن لماري بهدوء إلى أنّ والدهما والسيّد إليوت لم يكونا على علاقة جيّدة لسنوات عديدة ممّا يجعل التّعارف بينهما أمراً مرغوباً فيه.

ومع ذلك فقد كانت مسرورة في سرها لأنّها رأت ابن عمها، ولأنّها عرفت أنّ مالك كيلينش المستقبلي رجلاً نبيلاً بحق. و كانت حريصة على ألّا تقول أنّها قابلته في الممرّ: فقد كانت ماري ستشعر بالإهانة لو أنّ أختها تلقّت مجاملة لم تتلقّاها هي.

قالت ماري: "لا شكّ أنّك ستذكرين هذا الاجتماع عندما تكتبين إلى باث. يجب أن يعلم أبي، فلا تقصّري في ذلك .

لم تكتب ماري إلى باث أبداً، فقد كان التّعب من المراسلات الباردة والمملة ينصبّ على أختها .

وسرعان ما جاء السيّد والسيّدة هارفيل وبنويك ليصطحبوا الرفقة في جولة أخيرة حول لايم. انطلقنا، و اقترب بينويك من آن. كان هناك المزيد من الحديث عن والتر سكوت[73] واللّورد بايرون، ولكن، لم يكن هناك اتّفاق، عندما جلبت الصّدفة هارفيل إلى آن.

[73] Walter Scott

آنسة إليوت"، قال بهدوء، "لقد قمتِ بعمل جيد بإبقاء هذا الفتى المسكين يتكلّم. يجب أن يكون بصحبتك أكثر من ذلك؛ فمن السّيء له أن يكون محبوساً هنا. لكن ماذا يمكننا أن نفعل؟ لا يمكننا الانفصال.

-قالت آن: "لا، ولكن الوقت هو المعزي العظيم، وصديقتك في حداد منذ فترة قصيرة جدّا. منذ الصيف الماضي على ما أعتقد؟

-نعم، في يونيو"، قالها بتنهيدة عميقة .

- ولم يعرف على الفور؟

- فقط في الأيام الأولى من شهر أغسطس، في طريق العودة من كيب تاون لم أكن هناك لتجهيزه: من كان يستطيع أن يفعل ذلك سوى الكابتن الطيب وينتورث؟ لقد كتب يطلب الإجازة، وسافر ليلاً ونهاراً ولم يترك المسكين بنويك لمدة أسبوع. لو تعلمون فقط كم نحبه!

تم نقل آل هارفيل إلى المنزل، وأرادوا رؤية كوب للمرة الأخيرة. كانت آن بالقرب من بينويك مرة أخرى. وكان لا بد من ذكر اللورد بايرون[74] والبحار الزرقاء، ولكن سرعان ما انصرف انتباههم إلى مكان آخر. وفضلت لويزا وحدها أن تقفز إلى أسفل، كما فعلت بالفعل بمساعدة وينتورث.

قاوم في البداية، لكنّها أصرّت وحصلت على ما أرادت .

[74] lord Byron

ولإظهار فرحتها، صعدت الدّرج من جديد وأرادت القفز مرة أخرى. هذه المرّة، قاوم القبطان أكثر، لأنه اعتقد أن القفزة ستكون خطيرة.
ابتسمت وهي تقول: "أنا مصمّمة على القفز". حرّك يديه إلى الأمام، لكنّها قفزت بسرعة كبيرة وسقطت على رصيف الكوب! التقفتها فاقدة الوعي، لم يكن هناك دماء ولا جرح ظاهر، لكن عينيها كانتا مغمضتين، ونبضها توقف وكانت شاحبة كالميّت. كانت لحظة مروّعة للجميع.
وجثا القبطان على ركبتيه وأخذها بين ذراعيه، وكان شاحباً مثلها ونظر إليها وهو عاجز عن الكلام من شدّة الحزن. "لقد ماتت"، صاحت ماري وهي تمسك بذراع زوجها وقد تجمّدت من الرّعب. أغمي على هينريتا وكادت أن تسقط لولا أن بينويك وآن دعماها .
وصرخ وينتورث الذي بدا مغموراً في يأس: "ألن يأتي أحد لمساعدتي؟
-اذهبي! بحقّ الله، اذهبي"، صرخت آن. يمكنني مساعدة هينريتا. دلّكي يديها وصدغيها، وإليك بعض الأملاح .
وأطاع بينويك ما طلبته آن وأطاع تشارلز الذي حرّر نفسه من زوجته، ورفع لويزا وسندها بينهما. وفعلوا ما أمرتهم به آن ولكن دون جدوى، بينما ترنّح وينتورث على الحائط وصرخ في يأس عميق:
"يا عزيزي، والدها ووالدتها !
-قالت آن: "طبيب ."

وبدا أنّ هذه الكلمات قد أثارته، وكان يندفع إليها بالفعل، عندما قالت آن بحدّة: أليس من الأفضل أن يكون الكابتن بينويك هو الذي يعرف أين يسكن الطبيب؟

وبدت هذه الملاحظة دقيقة إلى درجة أن بينويك عهد إلى تشارلز بالجثة المسكينة التي كانت في حالة إغماء واختفت في لحظة .

وكان من الصّعب أن نحدّد أي الثلاثة كان أكثر تعاسة من الآخر، وينتورث أم آن أم تشارلز. وكان هذا الأخير منحنياً على لويزا وهو ينتحب، وعندما أدار عينيه رأى أخته الأخرى في حالة إغماء، وزوجته تكاد تكون في قبضة نوبة عصبيّة تناديه طلباً للمساعدة.

وبينما كانت آن تعتني بهينريتا بكل الحماسة التي توحي بها الغريزة، كانت آن لا تزال تحاول مواساة الآخرين. كانت تهدّئ ماري وتنعش تشارلز وتهدّئ القبطان. وبدا أن الأخيرين تركاها تقودهما.

آن"، بكى تشارلز، "ما الذي يجب فعله بحق السّماء؟

-أليس من الأفضل أن نأخذها إلى النزل؟

- "نعم، هذا صحيح"، صرخ وينتورث. سأحملها، آن، تشارلز اعتني بالآخرين.

وسرعان ما انتشر خبر الحادث .

وتجمّع الملاّحون وعمّال الكوب للتّفكير في امرأة شابّة ميّتة. عُهد بهينريتا إلى أحدهم. وسارت آن بجانب لويزا. وساند تشارلز زوجته: وعادا إلى

الطريق الذي كان قد عبراه بفرح قبل لحظة، وقد أصبح الآن مقفراً جدّا! جاء آل هارفيلي لمقابلتهم. كان بنويك قد أعلمهم أثناء مروره.
كان هارفيل رجلاً بارد الدم وواسع الحيلة. وبعد بضع كلمات مع زوجته، قرّر أن يؤخذ لويزا إلى منزله. لم يستمع إلى أيّ اعتراضات وأطيعت أوامره. وبينما كانت السيّدة هارفيل تحمل لويزا إلى سريرها، كان زوجها يقدّم للجميع علاجاً ودّياً. فتحت لويزا عينيها مرّة واحدة، ثم أغمضتهما مرّة أخرى. كان ذلك دليلاً على الحياة التي كانت مفيدة لأختها. منع تناوب الخوف والأمل هينريتا من الإغماء مرّة أخرى. وهدأت ماري أيضاً. وصل الطبيب بسرعة أكبر من المتوقع. و أثناء فحصه شعر الجميع بألم قاسٍ. ولكن كان هناك أمل؛ فقد كان الرأس قد اهتز بشدّة وكان الطّبيب قد رأى ما هو أسوأ من ذلك.
كان الجميع في سعادة غامرة، وأطلقوا عبارات الشّكر الحار للسّماء. قالت آن لنفسها: "إنّها لن تنسى أبداً النظرة في عيني وينتورث ولهجته وهو يقول: "الحمد لله !"
و كذلك موقفه وهو مطوي الذراعين على الطاولة ورأسه بين يديه، وكأنّه غارق في انفعالاته ويحاول تهدئة نفسه بالصّلاة والصّمت.
ولكن كان لا بدّ من القيام بشيء ما. لم يكن بالإمكان نقل لويزا، لكن آل هارفيل كانوا قد خططوا لكلّ شيء: سيتخلّى بينويك عن غرفته، وسيتمّ توفير أسرّة لمن أراد النّوم. عرضت السيّدة هارفيل أن تعتني بلويزا: كانت

ممرّضة خبيرة وكانت مربيّة الأطفال هي نفسها المشرفة الثانية. سيُعتني بلويزا ليلاً ونهاراً. كل هذا قيل بلهجة صادقة وواضحة لا تقاوم.
كان تشارلز وآن و وينتورث يتساءلون كيف يمكن أن تصل الأخبار الحزينة إلى أبركروس. كان الوقت قد مضى و حلّ الصباح. صرخ وينتورث: "ليس هناك وقت نضيعه، فالدقائق ثمينة. يجب أن يغادر أحدنا على الفور. ماسجروف، هل هو أنت أم آن؟ "
فأجاب تشارلز بأنّه لا يستطيع تحمّل فكرة ترك لويزا. وأرادت هينريتا أيضاً أن تبقى، ولكنّها اضطرّت إلى الاعتراف بأنّها لن تكون ذات فائدة، وهي التي شعرت بالمرض الشّديد عندما رأت حادث أختها. فكّرت في حزن والديها وو افقت على الرحيل .
وفي تلك اللحظة، خرجت آن من غرفة لويزا وسمعت وينتورث يقول:
"لا بأس بذلك، ماسجروف، أنت ابقي، و أنا سآخذ أختك للمنزل. لكن إذا كان هناك من سيبقى هنا لمساعدة السيّدة هارفيل فهي الآنسة آن إذا كانت راغبة في ذلك، طبعا، فلديها كلّ الصّفات لذلك؛ بالإضافة إلى أنّ زوجتك ربما تريد العودة إلى أطفالها".
كانت آن، وهي تسمع هذه الكلمات، في البداية بلا حراك من شدّة التأثّر. دخلت الغرفة. "قال لها باندفاع ووداعة بدت وكأنها تستعيد الماضي: (ستبقين وتعتنين بها، أنا متأكد من ذلك). احمرّت خجلاً بعمق، ثم استعاد السّيطرة على نفسه و انصرف.

قالت آن: "إنّها مستعدة للبقاء، وإنّها سعيدة، وإنّها فكرت في ذلك، وتمنّت لو يسمح لها بذلك. سرير على الأرض في غرفة لويزا سيكون كافياً لها، إذا رأت السيّدة هارفيل أنّه مناسب بالطّبع".

و اقترح وينتورث أن نأخذ كرسيّاً بريدياً لننطلق بسرعة، وأن نرسل الطاقم إلى أبركروس في الصّباح الباكر لننقل أخبار لويزا .

عندما سمعت ماري بما تقرّر، صاحت وصرخت واشتكت بمرارة من ظلم تفضيل آن عليها:

"هي، شقيقة لويزا. لماذا لا ينبغي أن تكون مفيدة مثل آن! وتركها تعود بدون زوجها! لا، لقد كان الأمر صعباً جدّا! لقد قالت الكثير لدرجة أن" تشارلز اضطرّ إلى الاستسلام."

لم يسبق لآن أن خضعت على مضض لنزوات ماري الغيورة. و انطلقت إلى المدينة مع هينريتا وتشارلز و بينويك. وفي الطريق مرّت بالأماكن التي تذكّرها بأدقّ تفاصيل الصّباح: هنا استمعت إلى خطط هينريتا؛ وفي الطريق رأت السيّد إليوت؛ ولكنها لم تستطع أن تفكّر لحظة واحدة في أي شيء غير لويزا. وكان الكابتن بينويك شديد الاهتمام بآن؛ وكان الحادث الذي وقع في ذلك اليوم قد قرّب بينهما؛ وشعرت هي بمضاعفة الإحسان إليه، بل إنّها فكّرت بسرور أنّ هذه قد تكون فرصة لها وله للتعرّف على بعضهما البعض بشكل أفضل .

كان وينتورث ينتظرهما بكرسي آخر في أسفل الشارع. وقد استاءت آن من نظرة الدهشة التي اعتلت وجهه عندما رآها قادمة بدلاً من ماري، ومن التعجّب الذّي أفلت منه عندما أخبرها تشارلز بالسّبب. لقد ظنت أنّها كانت مقدّرة فقط لفائدتها.

حاولت أن تكون هادئة و عادلة. من أجل وينتورث، كانت ستهتمّ بلويزا بحماسة لا تكلّ ولا تملّ. كانت تأمل أن لا يكون ظالماً لطالما اعتقد أنّها انكمشت عن المهمّة. وبعد أن ساعد هينريتا على الصّعود إلى الطابق العلوي، جلس وينتورث بينهما، وبهذه الطريقة غادرت آن لايم مندهشة متأثرة. فهل ستغيّر هذه الرحلة الطويلة من علاقتهما، وكيف سيكون الحوار بينهما؟ لم تستطع أن تتنبّأ بأيّ شيء. وكان يتطلّع إلى هينريتا، ويلتفت إليها دائماً، ويحاول أن يمدّها بالأمل ويزيدها شجاعة. وحاول أن يبدو هادئاً حتّى يجنّبها أيّ انفعال. ولم يستطع أن يتمالك نفسه إلا مرّة واحدة، عندما كانت تتحسّر على المشي المؤسف على الكوب، فصاح:

"أرجوك لا تتحدّث عن ذلك! يا إلهي لو أنّني رفضت في اللّحظة القاتلة! لو أنّني قمت بواجبي! لكنّها كانت مفعمة بالحيويّة والحزم، تلك العزيزة لويزا الجميلة.

و تساءلت آن عمّا إذا كان لا يزال متأكداً من المزايا والسّعادة المرتبطة بحزم الشّخصية، وإذا كان لا يعتقد أنّ هذه الصّفة كأيّ صفة أخرى

لها حدودها. كان من الصّعب أن يفشل في إدراك أن الشّخصية الهادئة لديها فرصة للسّعادة أكثر من الشّخصية الحازمة جدّا.

كنا نسير بسرعة، وبدا لي أن الطريق كان يبدو لآن نصف طول الطريق الذي كان في اليوم السّابق. ولكن كان الوقت ليلاً عندما وصلنا إلى أبركروس .

وكانت هينريتا بلا حراك في إحدى زوايا العربة ورأسها ملفوف في شالها، وبدت وكأنّها قد غلبها النّعاس وهي تبكي. فانحنى وينتورث على آن وقال بصوت منخفض: (لقد فكرّت في أفضل ما يمكن عمله. لن تتمكن هينريتا من تحمّل اللّحظة الأولى؛ أليس من الأفضل أن تبقى في العربة معها، بينما أذهب أنا لأخبر والديها بالحدث؟

وقد أسعدها هذا النداء إلى حكمه وثقته فيها، وكان ذلك علامة على الصداقة والاحترام. ولما أخبر وينتورث الأبوين بالنّبأ المحزن، وبعد أن رآهما قد هدآ قليلاً، ورأى هينريتا سعيدة بوجودها معهما، عاد إلى لايم حالما استراحت الخيول.

# الفصل: 13

أمضت آن اليومين الأخيرين من إقامتها في أبركروس في البيت الكبير. كانت صحبتها ونصائحها عوناً كبيراً لآل ماسجروف في حالتهم الذّهنية الحالية. سمعوا من لايم في اليوم التّالي، ووصل تشارلز بعد ساعات قليلة لإعطاء المزيد من التفاصيل. ولم تكن لويزا في حالة سيّئة؛ ولم يكن هناك أمل في الشّفاء العاجل، ولكن الحادث لن تكون له عو اقب غير محمودة. لم يستطع التوقّف عن الثّناء على هارفيل وزوجته. وكانت قد قرّرت أن ينام تشارلز وماري في الفندق.

كانت ماري قد أصيبت بانهيار عصبي في الصّباح، ثم ذهبت في نزهة مع بينويك .

كان زوجها يأمل أن يفيدها ذلك .

عاد تشارلز في اليوم التالي حاملاً أخباراً أفضل: كانت المريضة قد عاشت فترة أطول من الصّفاء. بدا أن الكابتن وينتورث قد استقرّ في لايم.

في اليوم التّالي، عندما استعدّت آن للمغادرة، كان هناك حزن واسع النطاق. بدا أنّه لا يمكن فعل أيّ شيء بدونها. لذلك اقترحت أن ينتقل الجميع إلى لايم حتى يمكن نقل لويزا. هذا من شانه أن يساعد السيّدة هارفيل بأخذ أطفالها.

تم قبول هذه الخطة بالإجماع وبكل امتنان وساعدتهم آن في تحضيراتهم، وعندما ودّعتهم بقيت وحدها لترتب كلّ شيء .
يا للتناقض في هذين المنزلين اللذين كانا مفعمين بالحياة قبل أيام قليلة فقط! وبصرف النظر عن أطفال أختها، كانت وحدها في أبركروس .
لكن إذا تعافت لويزا ستكون أسعد هنا من ذي قبل. بضعة أشهر أخرى وستمتلئ هذه الغرف، المهجورة الآن، ببهجة الحبّ السّعيد الذي لم تكن تعرفه آن إليوت!
كانت ساعة كاملة من التأملات المماثلة في يوم كئيب من أيام نوفمبر القاتمة، مع هطول أمطار غزيرة قليلة جعلت من المستحيل رؤية أي شيء في الخارج، وكانت كافية لأن تستقبل عربة اللّيدي راسل بفرح عارم. ومع ذلك، بينما كانت آن تغادر منزل مانشن هاوس[75]، وبينما كانت تلقي نظرة الوداع على الكوخ بشرفته الحزينة الغارقة في المطر، وبينما كانت تحدق من خلال النو افذ في منازل القرية المتواضعة، لم تستطع أن تمنع نفسها من الشعور بلمسات حزن لا تدري كنهها.
كان أبركروس عزيزاً عليها. و كانت تذكرها بأحزان كثيرة خفّت الآن؛ وبمحاولات قليلة للصّداقة والمصالحة لم تعد تفكر فيها؛ ولم يبق لها من كل ذلك سوى الذّكرى !

[75] Mansion-House

لم تعد إلى كيلينش منذ سبتمبر. وذهبت هذه المرة إلى منزل صديقتها الأنيق العصري، حاملة معها فرحاً ممزوجاً بالخوف، لأنّ اللّيدي راسل كانت تعلم بزيارات وينتورث إلى أبركروس. ووجدت آن متجدّدة الشباب، و أثنت على حسنها وجمالها. و ابتهجت آن بهذا الثناء، لأنّها أضافته إلى إعجاب إليوت الصّامت، فأعجبها ذلك الإطراء، وأملها أن يكون قد وهبها ربيعاً آخر من الشّباب والجمال. ولاحظت آن تغيراً في تفكيرها و عقليتها بينما كانت تتجاذب أطراف الحديث مع اللّيدي راسل. عندما وصلت إلى كيلينش، لم تجد في البداية هذا التعاطف الذي كانت تأمله . لكن تدريجياً تغيرت انشغالاتها. فقد نسيت أمر والدها وأختها وباث، وعندما أخبرتها اللّيدي راسل عنهم في كيلينش معربة عن ارتياحها لاستقرارهم في كامبين بليس[76] كانت ستخجل لو عرف أنّها كانت تفكر فقط في لايم ولويزا وكل معارفها هناك .

لقد كانت صداقة آل هارفيل والكابتن بينويك تمسّها أكثر بكثير من منزل والدها، أو من علاقة أختها الحميمة بالسيّدة كلاي.

ولكنها كانت مجبرة على أن تبدو مهتمة مثل اللّيدي راسل في أمر كان يؤثر فيها أكثر من أي شخص آخر. في البداية كان هناك بعض الحرج في حديثهما. كان لا بد من ذكر وينتورث فيما يتعلق بالحادث الذي وقع في لايم، ولم تجرؤ آن على النظر إلى اللّيدي راسل عندما ذكرت اسم

[76] Camben-Place

وينتورث فاهتدت إلى حيلة: سردت بإيجاز علاقة وينتورث و لويزا ببعضهما البعض. و بمجرّد الانتهاء من ذلك، لم تشعر بأي حرج.
و اكتفت اللّيدي راسل بالاستماع بهدوء وتمنّت لهما كل سعادة، ولكنها سُرَّت سروراً مريراً لرؤية الرجل الذي كان يبدو قبل ثماني سنوات من قبل أنّه يحب آن إليوت، راضياً عن لويزا ماسجروف .
وكان التسلية الوحيدة في الأيام القليلة الأولى بعض الأخبار السّارة من لايم عن صحّة لويزا. لم تعرف آن كيف وصلت هذه الأخبار إليها.
لم ترغب اللّيدي راسل في تأجيل زياراتها المهذبة أكثر من ذلك. قالت لآن بلهجة حازمة: "يجب أن أذهب لرؤية السيّد والسيّدة كروفت. هل تتحلّين بالشّجاعة الكافية لمر افقتي إلى هذا المنزل؟ إنّها محنة لكلينا .
- "من المحتمل أن تكوني أنتِ من سيعاني أكثر من غيركِ، فأنتِ لم تتخذي قراركِ بعد بشأن التغيير ببقائي في الجوار، لقد تعودت على ذلك."
وكان من الممكن أن تضيف إلى ذلك أنّها كانت تكنّ لآل كروفت رأياً عالياً، وكانت تعتقد أنّ والدها كان سعيداً بوجود مثل هؤلاء المستأجرين. وكانت تشعر أن الأبرشية قدوة حسنة، وأنّ الفقراء يتلقون المساعدة والإغاثة. ولم يكن بوسعها إلا أن تعترف بأن كيلينش أصبحت في أيدٍ مريحة و أمينة أفضل من ذي قبل.

ولا شك أنّ هذه القناعة كانت مؤلمة ومهينة، ولكنها أعفتها من المعاناة التي لا بد أن تكون اللّيدي راسل قد شعرت بها عند عودتها إلى هذا المنزل. لم يخطر ببالها أن تقول لنفسها: "هذه الغرف يجب أن تسكنها. أوه، كم أصبحت غير صالحة للاستخدام! عائلة قديمة ومتجذرة أجبرت على إفساح المجال للغرباء!

كلاّ، إنّها لم تتنفس الصّعداء إلاّ وهي تفكر في أمّها التي بقيت هناك، ولم يكن لديها أيّ حسرة .

وبدا أن السيّدة كروفت قد أعجبت بها كثيراً، وخلال الزيارة أولتها اهتماماً خاصاً. كان الموضوع الرئيسي للمحادثة هو الحادث المحزن في لايم كان وينتورث قد أحضر الأخبار، وقد استفسر بشكل خاص عن الآنسة إليوت، وأعرب عن أمله في أنّ كل ما فعلته لم يتعبها كثيراً. وهذا أسعد آن كثيرا.

أما بالنسبة للحادث المحزن، فلم يكن لمثل هاتين السيّدتين العاقلتين إلا رأي واحد. فبالنّسبة لهما، كان ذلك نتيجة لقدر كبير من الطيش والتهور. وكانت العواقب وخيمة جدّا، وكان من الفظيع أن نفكر في نقاهة الآنسة ماسجروف الطويلة، وهي لا تزال مشكوكاً في أمرها، إذ كان من المحتمل أن تعاني طويلاً من هذه الصّدمة. لخّص الأدميرال كل شيء قائلاً:

"إنّه لأمر محزن؛ إنّها طريقة جديدة للشاب في التودّد أن يكسر رأس خطيبته ثم يضع عليها الجبس. أليس كذلك يا آنسة إليوت؟"

أخلاق الأدميرال لم تكن تلائم ذوق اللّيدي راسل لكنها أسعدت آن، طيبة قلبه وبساطة شخصيته كانت لا تقاوم بالنسبة لها. قال فجأة، مستفيقًا من خياله، "من المزعج حقًا أن تر انا هنا. لم أفكر في ذلك بعد. لا تثيري ضجة، فقط اصعدي وشاهدي المنزل بأكمله، إذا أردتِ .

- في وقت آخر يا سيدي، شكراً لك، ليس الآن.

" - حسناً، وقتما تشائين سترين مظلاتك معلقة على ذلك الباب. أليس هذا مكان جيد؟ كلا، ربما لا، لأنك اعتدت أن تضع مظلاتك في غرفة الساقي. كل شخص لديه عاداته و أفكاره الخاصة. لقد أجرينا بعض التغييرات القليلة جداً"، وتابع بعد توقف:

"لقد كانت تلك التي على باب غرفة الغسيل، تحسناً كبيراً. يتساءل المرء كيف تحملت طريقة فتحه لفترة طويلة؟ أخبر السّير والتر بما فعلناه؛ السّيد شيبرد يعتقد أن المنزل لم يشهد تغييراً أفضل من هذا..

"يمكننا أن ننصف بعضنا البعض: كل ما فعلناه كان للأفضل. تستحق زوجتي الفضل في ذلك. لم أفعل الكثير بنفسي، ما عدا إزالة النو افذ الكبيرة من غرفة ملابسي التي كانت لوالدك: رجل ممتاز، ورجل محترم حقاً؛ ولكن يبدو لي يا آنسة إليوت أنه حسن الملبس بالنسبة لعمره. يا

**له من ثلج كثير، يا إلهي! لا مفر من نفسك. أنا مرتاح جدا الآن مع مرآتي الصغيرة في إحدى الزوايا، وشيء آخر كبير لا أقترب منه أبدا".**

**لم تعرف آن التي كانت مستمتعة رغمًا عنها بماذا تجيب، وأضاف الأدميرال خوفًا من أن يكون قد أساء الأدب:**

**"في المرة الأولى التي تكتبين فيها إلى والدك الطيب، آنسة إليوت، بلغيه تحياتي، وأخبريه أن كل شيء هنا يرضينا، وأننا لا نجد فيه أي عيب. يجب أن نعترف أن مدخنة غرفة الطعام تدخن قليلاً، ولكن فقط عندما تكون الرياح قوية وتأتي من الشمال، وهذا لا يحدث ثلاث مرات في الشتاء، ويجب أن تعلمي أننا لم نجد حتى الآن منزلاً لطيفاً كهذا المنزل. وعند عودة عائلة كروفت من زيارة اللّيدي راسل أعلنوا إنّهم ذاهبون لرؤية أقاربهم في الشّمال. وهكذا اختفى كل خطر لقاء الكابتن وينتورث في كيلينش. ابتسمت آن عندما فكرت كم كانت قلقة بشأن هذا الأمر.**

# الفصل: 14

كان تشارلزوماري أول من عاد إلى أبركروس. وسرعان ما عادا إلى لودج. وأخبرونا أنّ لويزا بدأت تستيقظ، ولكنها كانت لا تزال ضعيفة جدّا ومتأثرة جدّا، وكان من المستحيل أن نعرف متى ستتمكّن من السّفر.
وكان لماري متاعبها، ولكن إقامتها الطويلة أثبتت أنّها كانت تسعد أكثر ممّا تعاني من المتاعب. وصحيح أن تشارلزهايتركان يأتي أكثرممّا كانت تودّ أن تأتي؛ ثم لم يكن في آل هارفيلز[77] سوى خادم واحد يخدم على المائدة، وفي البداية لم تكن ماري قد أُعطيت المكان الأوّل. ولكنّهم كانوا قد اعتذروا لها بلطف شديد عندما عرفوا من هي ابنتها، وكانوا مراعين جدّا بعد ذلك؛ وكانوا قد أعاروها كتباً وأخذوها في نزهات جميلة في كثير من الأحيان، بحيث أن الكفة كانت في صالح لايم.
كل هذا، إلى جانب الاقتناع بكونه مفيدًا جدّا، جعل من هذه الأموركلها أسبوعًا ممتعًا .
سألت آن عن بينويك. فامتقع وجه ماري على الفور. ضحك تشارلز: "أوه، بينويك بخير"، قالت ماري، "لكنه فتى غريب. إنّه لا يعرف ماذا يريد ."

[77] les Harville

لقد طلبنا منه أن يأتي ويبقى معنا لبضعة أيام؛ وكان تشارلز سيأخذه للصيد. وبدا سعيداً جدّا عندما قدم لنا في مساء الثلاثاء عذراً غريباً: إنّه لم يذهب للصيد قط، ولم نفهمه: لقد وعدنا بهذا، ثم ذاك، الخ؛ وفي النهاية لم يأت. لا شك في أنّه كان خائفاً من أن يشعر بالملل، ولكن في الحقيقة كنت أعتقد أنّنا كنا مرحين بما فيه الكفاية في الكوخ من أجل قلب الكابتن بينويك المكسور".

ضحك تشارلز وقال: "لكن يا ماري، أنتِ تعرفين كيف يبدو الأمر .

هذا هو عملك"، قال لآن. لقد ظن إنّه سيجدك هنا؛ وعندما سمع أنك على بعد فرسخ منا، لم تكن لديه الشجاعة للمجيء. هذه هي الحقيقة؛ كلمة شرف. وقد تركت ماري المحادثة، إما لأنّها لم تكن تعتقد أن بينويك جديرة بالآنسة إليوت، وإما لأنّها لم تدرك قوة آن في جعل أبركروس أكثر جاذبية .

سأترك هذا الأمر للقارئ ليقرّره.

غير أن حسن نية آن لم يتضاءل. قالت إنّها كانت تشعر بالإطراء أكثر من اللازم، واستمرّت في طرح الأسئلة.

قاطعتها ماري قائلة: "أوه، إنّه يتحدث عنك بهذه العبارات ."...

قاطعتها ماري:

"أؤكد لك يا "تشارلز"، لم أسمعه يذكر "آن" مرتين .

- لا أعرف، لكنه معجب بك كثيراً. إن رأسه مليء بالكتب التي أوصيت بها ويريد أن يناقشها معك. لقد اكتشف... أوه، لا أستطيع أن أتذكر ما هو، شيء جميل جدّا. لقد شرح هذا الأمر لهينريتا، وبالحديث عنك، نطق بالكلمات: الأناقة، واللطف، والجمال.

أوه، لقد سمعته يا ماري، لقد كنتِ في الغرفة الأخرى: لم يستطع أن يقول ما يكفي عن كمالات الآنسة إليوت .

- يجب أن تعترفي، قالت ماري بحيوية: "يجب أن تعترفي انّه إذا قال ذلك فهذا ليس في صالحه: زوجته توفيت في يونيو الماضي. مثل هذا القلب ليس مرغوباً، أليس كذلك، ليدي راسل؟

- لم تكن لديه الشجاعة للقدوم إلى الكوخ، لكنه سيجد طريقه إلى كيلينش يوماً ما، على ما أعتقد. لقد أخبرته أن الكنيسة تستحق الزيارة، وبما أن لديه ذوقاً لمثل هذه الأشياء سيكون لديه عذر جيد. لقد استمع لي بشغف و أنا متأكدة أنّه سيأتي قريباً لذا أحذرك يا سيدة راسل.

-فأجابت بلطف: "إن أصدقاء آن مرحب بهم دائماً في منزلي ."

-قالت ماري: "أما بالنسبة لكونه من معارف آن، فهو بالأحرى من معارفي، لأني رأيته كل يوم خلال الأسبوعين الماضيين .

- حسنا، سأكون مسرورة جدّا لرؤية الكابتن بينويك كمعرفة لكما.

-أؤكد لك أنك لن تجدي فيه أي شيء مبهج للغاية: إنّه أكثر رجل مملّ ستراه في حياتك. لقد مشى معي على الشّاطئ عدة مرات دون أن ينطق بكلمة واحدة. إنّه ليس حسن التربية، ومن المؤكد أنّك لن تحبّيه .

- في ذلك نحن مختلفان" قالت آن. أعتقد أن اللّيدي راسل ستعجب به، وستعجب بعقله لدرجة أنّها لن تجد أيّ عيب في أخلاقه.

-آن أتفق معك". لديه الشّيء المناسب للسيّدة راسل وفّري له كتاباً ويمكنه أن يقرأ طوال اليوم .

- نعم"، صاحت ماري ساخرة. سوف يتأمل في كتابه، ولن يعرف ما إذا كنا نتحدث إليه أو نسقط مقصّه. هل تعتقدين أن السيّدة راسل يسعدها ذلك؟

لم تتمالك السيّدة راسل نفسها من الضحك، وقالت: "في الحقيقة، لم أكن لأتصور أن رأي شخص هادئ و إيجابي مثلي يمكن تقييمه بشكل مختلف.

إنني أشعر بالفضول حقًا لمعرفة من الذي يمكن أن يثير مثل هذه الأفكار المتعارضة، يجب إقناعه بالقدوم إلى هنا، يمكنك أن تكوني متأكدة، إذن، يا ماري، أنني سأعطي رأيي، لكنني قررت ألا أحكم عليه مسبقاً .

-لن يعجبكِ، أؤكد لكِ .

تحدّثت السيّدة راسل عن أشياء أخرى، وتحدّثت ماري بحماس عن مقابلة السيّد اليوت. قالت اللّيدي راسل إنّه رجل لا أرغب في رؤيته

رفضه أن يكون على علاقة جيدة مع رب الأسرة ترك انطباعا غير جيد لدي."

وقد أضعفت هذه الفكرة من حماس ماري وأوقفتها في وصفها .

ولم تجرؤ آن أن تسأل عن وينتورث، ولكنها كانت تعلم إنّه كان أقل قلق مع تعافي لويزا. فهو لم يكن قد رآها وكان خائفاً جدّا من الانفعال الذي قد ينجم عن مقابلتها لدرجة أنّه كان قد عقد العزم على البقاء بعيداً لمدّة عشرة أيام. ومنذ ذلك الحين، فكرت اللّيدي راسل وآن في بينويك كثيراً. ولم تكن اللّيدي راسل تسمع جرس الباب يرن دون أن تظن على الفور، إنّه هو، وكانت آن كلما خرجت، تتساءل عندما تصل إلى المنزل عما إذا كانت ستجده هناك أم لا ! .

لكن بينويك لم يكن موجوداً في أي مكان .

هل كان أقل حرصاً على المجيء مما ظن تشارلز أم إنّه كان خجولاً من جانبه؟ بعد انتظاره لمدة أسبوع، أعلنت اللّيدي راسل أنّه لا يستحق الاهتمام الذي بدأ يلهمها به.

وعاد آل ماسجروف لقضاء عطلة أطفالهم واصطحبوا معهم أطفال السيّدة هارفيل، بينما بقيت هينريتا مع لويزا. وذهبت اللّيدي راسل وآن لزيارة مانشنهاوس[78]: وكان المنزل قد استعاد بعضاً من بهجته. وكانت السيّدة ماسجروف محاطة بآل هارفيل تحميهم من طغيان أطفال

[78] Mansion-House

الكوخ. وكان على أحد جانبيه مائدة مليئة بالفتيات الثرثارات اللاتي يقصصن أوراق الذهب والحرير؛ وعلى الجانب الآخر صواني محمّلة بالمعجّنات التي كان الصّبية المرحون يحتفلون بها.

تألقت نار عيد الميلاد السّاطعة على الرغم من الضوضاء. وكان تشارلز وماري هناك أيضاً؛ وكان السيّد ماسجروف يتحدث إلى السيّدة راسل ولم يستطع أن يسمع نفسه، فقد أصمّ صوته صراخ الأطفال في حضنه. كانت صورة عائلية جميلة.

وظنت آن، وقد حكمت على الأمور بمزاجها، أن هذا الإعصار المنزلي لم يكن من المحتمل أن يهدئ أعصاب لويزا لو كانت هناك؛ ولكن السيّدة ماسجروف لم تكن تعتقد ذلك. وبعد أن شكرت آن بحرارة على كل ما قدمته من خدمات، ولخصت كل ما عانته هي نفسها، قالت وهي تنظر بسعادة إلى ما حولها إنّه لا شيء يمكن أن يفيدها أكثر من هذا المرح الهادئ.

سمعت آن أن لويزا كانت تتعافى بسرعة. وكان آل هارفيلي قد وعدوها بأن يعيدوها إلى أبركروس لتبقى هناك لفترة من الوقت .

قالت اللّيدي راسل وهي تركب سيارتها: "سأتذكر في المستقبل ألا آتي إلى هنا خلال عطلة عيد الميلاد ."

وبعد ذلك بوقت قصير، وصلت إلى باث في ظهيرة يوم ممطر، وقادت سيارتها على امتداد الشوارع الطويلة من أولد بريدج إلى كامبين بليس،

كانت تتقاذفها الطو اقم، وتصمّ أذنيها ضوضاء العربات والشاحنات، وصيحات بائعي الجر ائد وبائعي الكعك، وصيحات بائعات اللبن والمشاة، ولكنها لم تتذمر: كلا، فقد كانت هذه أصو اتاً تنتمي إلى ملذات الشتاء. لقد شعرت بأنّها ولدت من جديد، ومثلها مثل السيّدة ماسجروف، كانت تعتقد، لكنها لم تقل، إنّه بعد أن قضت فترة طويلة في الريف، لم يكن هناك شيء جيد لها مثل القليل من الإلهاء الهادئ.

ولم تكن آن على هذا الرأي: فقد أصرّت على كرهها لباث. ورأت الصف الطويل من المنازل المملوءة بالدخان دون أن تشعر بالرغبة في رؤيتها عن كثب: فقد بدت لها الرحلة على الرغم من إنّها غير سارة إلا إنّها كانت تبدو لها سريعة جدّا، إذ لم يكن أحد يريدها، وتذكرت بأسف صخب أبركروس وعزلة كيلينش لودج.

رسالة إليز ابيث الأخيرة أخبرتها أن السيّد إليوت كان في باث. وكان قد ذهب إلى كامبين بليس عدة مرات وكان شديد الانتباه. إذا كانت إليز ابيث ووالدها على حق، فقد كان يبحث عنهما بحذر شديد كما كان يتجنبهما. كان هذا مفاجئاً جدّا.

وكانت اللّيدي راسل في غاية الفضول والحيرة، وكانت قد تراجعت بالفعل عما قالته لآن: "رجل لم تكن لها رغبة في رؤيته". وكانت تتوق الآن إلى رؤيته؛ فإذا كان يسعى حقاً إلى الصلح فلا بد أن تغفر له ابتعاده عن العائلة.

**ولم تكن آن متحمسة لذلك ولكنها فضلت أن تراه مرة أخرى، ولم يكن في وسعها أن تقول نفس الشيء بالنسبة للكثيرين في باث. فذهبت إلى كامبين بليس، وذهبت اللّيدي راسل إلى شقتها في شارع ريفر.**

# الفصل: 15

وكان السّير والتر قد استأجر منزلاً جميل المنظر في الحي الأرستقراطي، وكان هو وإليز ابيث في غاية السرور به. وكان قلب آن حزيناً وهي تدخل؛ فقد رأت أمامها سجناً لعدة شهور، وفكرت بقلق: آه، متى أغادر؟

ومع ذلك، فقد استُقبلت بحفاوة غير متوقعة كانت في صالحها. وكان والدها وأختها مسرورين باستقبالها لتريهما المنزل و أثاثه، ثم قامت بعد ذلك بزيارتها على المائدة التي كانت أكثر بهجة. وكانت السيّدة كلاي لطيفة جدّا ومبتسمة كعادتها .

كان الجميع في حالة معنوية جيدة، وسرعان ما اكتشفت آن السبب.

وبعد بضعة أسئلة تافهة، لم يكن للمحادثة موضوع آخر غير باث: لم يكن هناك اهتمام يذكر بـ (كيلينش) ولا بـ (أبركروس) على الإطلاق.

وكانت باث قد حققت توقعاتهم تماماً: فقد كان منزلهم أجمل ما في كامبين بليس وكان صالونهم يفوق أي صالون رأوه سواء من حيث التصميم أو من حيث ذوق الأثاث. وكانا مرغوبين في كل مكان؛ وقد رفضا الكثير من المقدمات، وحتى الآن كان الكثير من الغرباء يتهافتون على تقديم بطاقاتهم.

يا لها من مصادر للسرور! هل فوجئت آن بأن والدها وإليز ابيث كانا سعيدين؟ كلا، ولكنها حزنت لفكرة أن والدها قد تخلى عن واجبات

وكرامة اللورد المقيم في أراضيه، و إنّه لم يندم على ذلك، وأن تفاهة بلدة صغيرة يمكن أن ترضي غروره.

فتنهدت، ولكنها ابتسمت عندما كانت إليز ابيث، والأبواب مفتوحة على مصاريعها، تنتقل بإشراق من صالون إلى آخر؛ وكانت مندهشة من أن المرأة التي كانت عشيقة كيلينش تستطيع أن تجد ما يرضي كبرياءها في مساحة طولها ثلاثون قدماً .

لكن ذلك وحده لم يكن سبب سعادتها:

هو وجود السيّد إليوت؛ ولم يكن قد غفر له فحسب، بل كان محبوباً أيضاً .

وكان قد أمضى أسبوعين في باث، وبمجرد وصوله ترك بطاقته في كامبين بليس. وكان بعد ذلك مجتهداً جدّا هناك، وأظهر من الصراحة والمسارعة إلى الاعتذار عن الماضي، والرغبة الشديدة في أن يستقبل في المستقبل كقريب، ما جعل التفاهم الجيد الذي كان سائداً في السابق يستعيد تماماً. لقد برر نفسه من كل النواحي، وكانت وقاحته الظاهرة نتيجة سوء تفاهم. فقد كان يظن أننا نريد الانفصال عنه، و انسحب بدافع الحساسية. لقد كان ساخطاً لإنّه كان من الممكن أن يُتهم بأنّه تحدث بقلة احترام للعائلة; وهو الذي كان يفتخر دائمًا بكونه إليوت، والذي كانت لديه أفكار عن القرابة صارمة جدّا بالنسبة للعصر !

لقد كذبت شخصيته وسلوكه هذا الاتهام. فالسّير والتركان بإمكانه أن ينال إعجاب كل من يعرف السيّد إليوت، ولا شك أن الجهود التي بذلها للتصالح مع العائلة كانت دليلاً لصالحه .

لقد كان الكولونيل واليس[79]، صديقه المقرب، هو الذي قدم العذر لزواج السيّد إليوت.

وكان قد عرف زوجة صديقه؛ ولم تكن من أسرة نبيلة، ولكنها كانت متعلمة ومثقفة وغنية، وكانت تعشق ويليام إليوت. هذا ما أغواه وليس ثروته .

وقد خفف كل هذا من خطئه، وعذره السّير والتر كل العذر، فقد استقبله ودعاه إلى العشاء، وبدا السيّد إليوت سعيداً جدّا.

كانت آن تستمع، ولكن دون أن تفهم .

وعلى الرغم من إنّها كانت ترى من خلال المبالغة، إلا إنّها شعرت أن هناك شيئاً لا يمكن تفسيره في سلوك السيّد إليوت الحالي، في رغبته الشديدة في تجديد العلاقات التي انقطعت لفترة طويلة. ومن الناحية المادية، لم يكسب شيئاً، بما أن ملكية عقاركيلينش ولقبه قد آلت إليه في كل الأحوال. لم تستطع أن تفكر إلا في حل واحد: ربما كان ذلك بسبب إليز ابيث. فقد كانت أختها بالتأكيد جميلة جدّا، وكانت أخلاقها متميزة

[79] Wallis

وأنيقة؛ أما إليوت الذي لم يرها إلا في العلن فربما لم يكن يعرف شخصيتها.

تساءلت آن بقلق كيف ستتمكن إليزابيث من الصمود أمام التدقيق الدقيق، وتمنت لو أن إليوت لم يكن شديد الإدراك .

وقد شجعت السيّدة كلاي إليزابيث بفكرة أن إليوت كان يبحث عنها؛ وتبادلا النظرات التي التقطتها آن أثناء مرورها .

وقد أشاد السّير والتر بأنقة ويليام إليوت وشكله الجميل، ولكنه أسف على انحناءة جسمه، وهو عيب ازداد مع تقدم السن. كما و افق أيضاً على إنّه قد كبر في السن، بينما ادعى السيّد إليوت أن السّير والتر لم يتغير منذ عشر سنوات.

وكان السّير والتر متلهفاً لمقابلة السيّدة واليس؛ فقد قيل إنّها جميلة جدّا، وكان ذلك يعوضه عن الوجوه القبيحة التي كان يقابلها كل لحظة في الشوارع. كانت تلك هي لعنة باث. فقد أحصى في أحد الأيام سبعاً وثمانين امرأة دون أن يجد واحدة منهن مقبولة. صحيح إنّه كان ضباب الصباح البارد. أما الرجال فكانوا فزاعات كثيرة حتى امتلأت بهم الشوارع.

ومن الطريقة التي كانت النساء ينظرن بها إلى الكولونيل واليس، وهو يمشي على ذراع السّير والتر، يمكن للمرء أن يحكم على إنّه نادراً ما رأين رجلاً وسيماً .

هكذا قال السّير والتر المتواضع؛ ولكن ابنته والسيّدة كلاي لم تسمحا له بأن يكون مترفعاً هكذا، وقالتا إنّه كان يبدو على الأقل في مثل جمال الكولونيل الذي كان شعره أشيب.

قال السّير والتر، وهو في ذروة روحه المرحة: "كيف يبدو وجه ماري؟ في المرة الأخيرة التي رأيتها فيها كان أنفها أحمر، ولكني أتمنى ألا يحدث لها ذلك كل يوم .

-أوه لا، لقد كان ذلك عرضياً تماماً، فمنذ عيد الميلاد وهي تبدو بخير وحالتها جيدة .

- لو لم أكن أخشى إغراءها بالخروج في هذه الرياح و إفساد بشرتها لأرسلت لها قبعة جديدة وغطاءً جديدًا.

كان هناك طرق على الباب. من يمكن أن يكون في الساعة العاشرة؟ تعرفت السيّدة كلاي على طرق السيّد إليوت. فدخل بمراسم، و انسحبت آن قليلاً إلى جانب الباب، بينما كان يعتذرعن مجيئه في هذه الساعة، ولكنه أراد أن يعرف إن كانت إليز ابيث وصديقتها قد أصيبتا بالبرد ليلة أمس.

وبعد أن تم تبادل المجاملات قدم السّير والتر ابنته الصغرى، وأظهرت آن مبتسمة خجلة للسيّد إليوت الوجه الجميل الذي لم ينسه .

فبدت عليه الدهشة؛ ولمعت عيناه بالسرور؛ وألمح إلى الماضي، وسأل عن حقوق التعارف القديم .

وبدا وجهه لآن في غاية البهجة كما كان في وجه لايم. وكانت أخلاقه في غاية السهولة والجاذبية حتى إنّها لم تستطع أن تقارنه إلا بشخص واحد.

جلس وقاد المحادثة. كان يعرف كيف يختار مواضيعه ويتوقف عندما يضطر إلى ذلك. وأظهرت لهجته وتعابيره لباقة كبيرة. وسأل آن عن رأيها في لايم، وأسهب قبل كل شيء في الحديث عن الصدفة السعيدة التي جمعتهما في نفس النزل.

وعندما أخبرته عن رحلتهم إلى لايم، تضاعف ندمه على أمسيته الوحيدة في الغرفة المجاورة. كان قد سمع أصواتاً سعيدة وتمنى لو كان بإمكانه أن ينضم إليهم، ولكنه لم يكن يعلم إنّه يستطيع ذلك.

وقال إن ذلك سيشفيه، كما قال، من تلك العادة السخيفة التي لم يكن من عادته أن يسأل أبداً .

وسرعان ما شعر بأنه لا ينبغي أن يخاطب آن وحدها، فجعل الحديث أكثر عمومية. كان يريد أن يسمع قصة الحادث، وكان بإمكان آن أن تقارن الاهتمام الذي استمع به إلى السّير والتر إليزابيث، وهو لا يبالي.

**كانت الساعة الصغيرة الأنيقة ذات النغمات الفضية قد دقت الحادية عشرة قبل أن يدرك السيّد إليوت أو أي شخص آخر إنّه لا تزال هناك ساعة متبقية .**

**لم تعتقد آن أبداً إنّها ستقضي وقتاً ممتعاً في أول أمسية لها في باث.**

# الفصل: 16

كان هناك شيء واحد أرادت آن أن تعرفه أكثر من أي شيء آخر: مشاعر والدها تجاه السيّدة كلاي. بعد بضع ساعات في المنزل، كانت بعيدة كل البعد عن الطمأنينة .

وفي صباح اليوم التالي، عندما نزلت لتناول الفطور، أدركت أن السيّدة قد وجدت ذريعة للمغادرة، لأن إليز ابيث ردت عليها هامسة:

"أؤكد لك أن هذا ليس سبباً كافياً؛ فهي لا تساوي شيئاً بالنسبة لي مقارنة بك. ثم سمعت والدها يقول: "يا سيدتي العزيزة، لا يجب أن يكون هذا. إنك لم تري شيئاً في باث، وكل ما فعلته هو أنك لم تفعلي شيئاً مفيداً. لا يجب أن تهربي منا الآن. يجب أن تبقي وتتعرفي على السيّدة واليس آن أعلم أن منظر الجمال هو إرضاء حقيقي لعقلك المرهف".

كان هناك شيء مفعم بالحيوية في عينيه وفي صوته لدرجة خاصة؟ "كل ما عليك فعله هو الاستمرار على هذا النحو: لا يمكنك أن تكون أفضل مما أنت عليه الآن. وإلا فإنني أنصحك باستخدام الغولاند باستمرار خلال فصل الربيع. وبناءً على توصيتي، استخدمته السيّدة كلاي ويمكنك أن ترى النتيجة: لقد اختفت علامات الجدري لديها."

ربما بعض الغولاند.[80] لا، لا شيء على الإطلاق؟ فاجأه ذلك وأضاف: لو كانت إليز ابيث قد سمعتها فقط! لكان المديح قد أدهشها أكثر لأن العلامات المعنية لم تختفِ على الإطلاق .

لكن عليك أن تتقبل قدرك، كما قالت آن لنفسها. لو تزوجت إليز ابيث، لكان زواج والدها أهون الشرين. أما هي فبإمكانها البقاء مع اللّيدي راسل.

وقد وضعت أدبها وحسن أخلاقها على المحك حين رأت السيّدة كلاي في مثل هذه الحظوة العظيمة، وآن مهملة إلى هذا الحد. لقد كانت غاضبة كما يغضب الإنسان الذي يقضي وقته في أخذ الماء وقراءة الأخبار والزيارات. وعندما تعرفت على السيّد إليوت بشكل أفضل، أصبحت أكثر إحسان إليه أو أكثر لامبالاة بالآخرين. وكان يثني على نفسه بأخلاقه. وكانت تجد في عقله من الجدية والظرف ما يجعلها على استعداد لأن تهتف: (أهذا هو السيّد إليوت؟) ولم تكن تستطيع أن تتصور رجلاً أكمل منه: ذكاء وحكمة ومعرفة بالعالم، ومعها قلب محب. لقد كان رجل شرف وعائلة، لا كبرياء ولا ضعف; عاش بدون أبهة، ولكن بسخاء رجل غني. كان يعتمد على حكمه الخاص في الأمور المهمة، لكنه لم يكن يسيء إلى الرأي العام عندما يتعلق الأمر باللياقة. وكان حازمًا وقورًا وملاحظًا معتدلًا و مخلصًا، لا يسمح لنفسه أن ينجرف بمزاجه أو أنانيته

[80] Gowland

المتخفية تحت اسم المشاعر السامية، ومع ذلك كان يتأثر بكل ما هو طيب وصالح. كان يقدّر كل ملذات الحياة المنزلية، وهي صفة قلما امتلكها من لم يكن صالحًا بما فيه الكفاية. شخصيات متحمسة ومضطربة. وكانت اللّيدي راسل مقتنعة بأنّه لم يكن سعيداً في زواجه؛ وقد قال الكولونيل واليس ذلك؛ ولكن هذا لم يثر حفيظته؛ وبدأت اللّيدي راسل تشك في إنّه يفكر في اختيار جديد. وكان ارتياحها لهذا، كما سنرى، يفوق انزعاجها من السيّدة كلاي .

وكانت آن تعرف من خبرتها إنّها وصديقتها الممتازة قد تختلفان في الرأي، لذلك لم تفاجأ بأن اللّيدي راسل لم ترفي سلوك السيّد إليوت إلا رغبة كبيرة في المصالحة. غير أن آن سمحت لنفسها بابتسامة عندما ذكرت إليزابيث بالاسم. أنصتت اللّيدي راسل ونظرت ثم أجابت بحذر: "إليزابيث؟ حسناً، سنرى! كان على آن أن تكتفي بذلك.

وعلى كل حال فقد كان مستر إليوت بلا ريب من أمتع معارفهما في باث؛ ولم تجد أحدا مثله في طيبته، ووجدت متعة كبيرة في الحديث عن لايم التي كان يتوق إلى رؤيتها مرة أخرى بقدر ما كانت تتوق هي إلى رؤيتها. وتذكرا مراراً لقاءهما الأول؛ وأخبرها كم كان من دواعي سروره أن يراها: وقد خمنت هي ذلك، وتذكرت أيضاً النظرة التي رمقها بها شخص آخر. لم تكن آراؤهما متشابهة دائماً. فقد وجدت إنّه كان يشاطر السّير والتر وإليزابيث أفكارهما عن النبلاء .

وفي صباح أحد الأيام أعلنت الجريدة عن وصول الأرملة، الفيكونتيسة دالريمف[81] و ابنتها الآنسة كارتيريت[82] المحترمة. ومنذ تلك اللحظة أصبح كامبين بليس مكانا هادئاً، لأن آل دالريمف كانوا أبناء عم آل إليوت، وكانت الصعوبة هي أن يتم تقديمها وفقًا للقواعد. كان هذا مصدرحيرة كبيرة .

لم تكن آن قد رأت والدها أو أختها فيما يتعلق بالنبلاء، وكانت خيبة أملها كبيرة. لقد كانت تتمنى أن يكون لديهم فكرة أسمى عن أنفسهم، وقد خففت من تمنيهم المزيد من الفخر، لأن أبناء عمنا الدالريمف كانوا يرنون في أذنيها طوال اليوم.

وعند وفاة الفيكونت الأخير، كان السّيروالتر[83]، بسبب مرضه، قد أهمل الرد على رسالة الإقرار التي أرسلت إليه. وقد حدث له نفس الشيء عند وفاة اللّيدي إليوت: وكان لابد من تدارك هذا السهو المؤسف، وكان لابد من استقبالهم كأبناء عمومة: وكان هذا أمراً خطيراً بالنسبة لليدي راسل والسيّد إليوت. وكانت اللّيدي دالريمف قد اتخذت منزلاً لمدة ثلاثة أشهرفي لورا بلاس، وقد زارت باث في العام السابق، وكانت اللّيدي راسل قد سمعت اللّيدي راسل تمدحها كامرأة فاتنة. كان الوقت قد

[81] vicomtesse Dalrymph

[82] miss Carteret

[83] , Sir Walter

حان لتجديد العلاقة، إذا كان من الممكن القيام بذلك دون المساس بكرامة عائلة إليوت.

فقرر السّير والتر أن يكتب إلى ابنة عمه النبيلة رسالة طويلة فيها تفسير وأسف. ولم يستطع أحد أن يعجب بالرسالة، ولكنها أتت بالنتيجة المرجوة: كانت عبارة عن ثلاثة أسطر من الخربشة من الفيكونتيسة الأرملة: "لقد تشرفت كثيراً بالتعرف إليهما، وكان يسعدها أن تتعرف إليهما" .انتهى الجزء الصعب، ولم يبق سوى تذوق الحلاوة. تمت زيارة لورا بليس؛ وتم استلام بطاقات من الأرملة الفيكونتيسة دالريمف والآنسة كارتيريت المحترمة. وعُرضت هذه البطاقات، وراح الناس يرددون "أبناء عمومتنا من لورا بليس".[84]

ارتبكت آن من الضجة التي أحدثتها هؤلاء السيّدات، خاصّة وأنّهن كنّ عاديات جدّا. وكانت اللّيدي دالريمف قد اكتسبت لقب المرأة "الفاتنة" لأنها كانت تبتسم وترد على الجميع. أما الآنسة كارتريت،[85] فقد كانت مبتذلة وبذيئة إلى درجة أنّه لولا نبلها لما كان من الممكن التّسامح معها في كامبين بليس.

واعترفت اللّيدي راسل بأنّها كانت تتوقع أفضل من ذلك، ولكنها كانت علاقة طيبة؛ وعندما غامرت آن بإبداء رأيها، و افقها السيّد إليوت على

[84] Laura-Place

[85] Carteret

أن السيّدات لا شيء في حدّ ذاتها، ولكنهنّ لا قيمة لهنّ كعلاقات عائليّة وصحبة طيّبة. ابتسمت آن وقالت للسيّد إليوت: "أنا أقصد بالصحبة الطيبة، أناس مثقفون وأذكياء يعرفون كيف يتحدثون." فأجابها بلطف: "أنتِ مخطئة ."

هذه ليست الصحبة الجيدة: إنّها الأفضل، فالصحبة الصّالحة لا تتطلب سوى المولد وحسن الخلق والتّعليم، وحتى في هذه النقطة الأخيرة لا تتطلب ذلك: فقليل من التّعليم لا يضرّ على الإطلاق. هزت ابنة عمي آن رأسها: إنّها غير راضية: إنّها صعبة.

قال وهو جالس بجانبها: "يا ابنة عمي العزيزة "أنتِ أحق بأن تكوني صعبة المراس من أي شخص آخر. ولكن هل سيفيدك هذا؟ هل سيجعلك أسعد؟ ألا يكون من الحكمة أن تقبلي بمخالطة هؤلاء السيّدات الطيبات وتستمتعي بمنافعهن؟ يمكنك أن تكوني متأكدة من أنّهن سيتألّقن في الصّفوف الأماميّة هذا الشتاء، وهذه القرابة ستعطي عائلتك (واسمحي لي أن أقول عائلتنا) درجة من الاعتبار الذي نتمناه.

-نعم"، تنهدت آن، "علاقتنا ستكون معروفة بما فيه الكفاية. أعتقد أننا عانينا الكثير من المتاعب من أجل ذلك. قالت مبتسمة: "لا بد أنك تظنّ أن لدي كبرياء أكثر من أيّ واحد منكم، ولكنّي أعترف بأنّني منزعجة من هذا الحرص على أن تكون علاقتنا معروفة، ولا بد أنّ هذا لا يهمّهم."

- اعذريني يا ابنة العمّ العزيزة؛ فأنتِ غير منصفة في قضيتك. ربما يكون الأمر كذلك في لندن، مع أسلوب حياتنا البسيط؛ ولكن في باث سيكون السّير والتر إليوت وعائلته موضع تقديرنا دائماً لما هم عليه.

-حسناً، قالت آن: "إنني أكبر من أن أبتهج بالتّرحيب الذي يستحقّه المكان الذي أنا فيه ."

- قال: (لقد أعجبني استياؤك) إنّ هذا طبيعي جدّا، ولكنّك في باث، والمسألة مسألة الظهور هناك بالوقار والاعتبار اللّذين يستحقّهما السّير والتر إليوت. أنت تتحدّثين عن الكبرياء: يقولون إنّني فخور، و أنا فخور، ولا أريد أن أظهر بغير ذلك؛ لأنّ كبرياء كلّ منا، إذا أمعنّا النظر، من طبيعة واحدة، وإن بدا مختلفاً.

في نقطة واحدة يا ابنة عمي العزيز (وتابع حديثه بهدوء أكبر، رغم عدم وجود أحد في الغرفة)، أنا متأكد من أننا نتفق في الرأي. لا بدّ أنّك تشعرين أنّ أيّ تعارف جديد يقوم به والدك بين أقر انه أو رؤسائه يمكن أن يؤدّي إلى فصله عمّن هم دونه". وبينما كان يتحدث نظر إلى المقعد الذي كانت تشغله السيّدة كلاي. وكان ذلك تعليقاً كافياً؛ وكانت آن مسرورة لرؤيته إنّه لم يكن يحب السيّدة كلاي، ووجدت أن ذلك أكثر من معذرة لصالح غرضه في السعي إلى إقامة صلات عالية مع والدها.

# الفصل: 17

وفي الوقت الذي كان السّير والتر وإليزابيث يشقّان طريقهما في هذا العالم، كانت آن تجدد معرفة من نوع مختلف تماماً .

فقد علمت أنّ إحدى رفيقاتها السّابقات كانت تعيش في باث. وكانت السيّدة شميث[86] (الآنسة هاميلتون سابقاً) التي تكبر آن بثلاث سنوات قد أحسنت معاملتها عندما دخلت مدرسة داخلية وهي في الرابعة عشرة من عمرها بعد وفاة والدتها. وقد فعلت ما في وسعها لتخفيف حزن آن، وتذكّرتها آن بامتنان. غادرت الآنسة هاميلتون[87] المنزل الداخلي بعد عام وسرعان ما تزوجت من رجل ثري.

كانت أرملة و فقيرة لمدة عامين .

كان زوجُها رجلاً مسرفًا بدّد ثروته وترك أعمالاً فوضويّة. كانت تعاني من جميع أنواع المتاعب .

وأصابتها الحمّى الرّوماتيزمية التي هاجمت ساقيها أخيرًا فأقعدتها. وكانت قد جاءت إلى باث لتتعالج، وعاشت بالقرب من الحمّامات السّاخنة، وكانت تعيش في تواضع شديد، بدون خادم، وبالتالي كانت

[86] Mme Shmith

[87] Miss Hamilton

مستبعدة من المجتمع. وعلمت آن من صديقة مشتركة لها أن زيارتها ستكون ممتعة، فلم تضيع وقتاً، ولم تقل شيئاً في البيت، ولم تستشر إلا اللّيدي راسل التي وافقت عليها وأوصلتها في عربتها بالقرب من مسكن السيّدة شميث. جدّدت الصديقتان القديمتان تعارفهما. وكان هناك في البداية شيء من الحرج والانفعال: فقد مرّت اثنتا عشرة سنة، ووجدتا نفسيهما قد تغيّرتا في البداية. فلم تعد آن تلك الفتاة الصّامتة الخجولة التي كانت في الخامسة عشرة، بل أصبحت شابّة أنيقة بكل ما فيها من جمال إلا النضارة، وكانت أخلاقها لطيفة كما كانت مثالية؛ واثنتا عشرة سنة قد حولت الآنسة هاملتون الجميلة الفخورة إلى أرملة فقيرة عاجزة تتلقى زيارة تلميذتها السّابقة كجميل ولكن سرعان ما حلّ سحر الذكريات القديمة محلّ الانزعاج الأولي الذي رافق لقاءهما.

ووجدت آن في السيّدة شميث ما كانت تتوقعه من حسن خلق ودماثة أخلاق، وميل إلى الحديث والمرح يفوق توقعاتها. فلم تكن ملذات الدنيا التي عاشت فيها كثيراً، ولا حالتها الحاضرة، ولا المرض أو الحزن، قد أغلقت قلبها أو أطفأت بهجتها.

وفي الزيارة الثانية تجاذبت معها أطراف الحديث بحرية، وتضاعفت دهشة آن. لم تكن تتخيّل وضعاً أكثر حزناً من وضع صديقتها. فقد فقدت زوجاً كانت تعشقه، وثروة كانت قد اعتادت عليها؛ ولم يكن لها

أولاد يربطون عليها الحياة والسّعادة؛ ولم يكن لها أقارب يساعدونها في شؤونها المحرجة؛ ولا حتى صحة تعينها على كل شيء آخر.

ولم تكن تستطيع الحركة دون مساعدة الخادمة الوحيدة في الفندق، ولم تكن تخرج إلا لتُؤخذ إلى الحمّامات السّاخنة. وعلى الرّغم من كل هذا، فقد كان لدى آن من الأسباب ما يدعوها إلى الاعتقاد بأنّ صديقتها لم تكن تعيش إلا دقائق من الكسل والكآبة، مقارنة بساعات من النشاط واللهو.

وكانت السيّدة شميث قد مرت بفترة من اليأس العميق. فلما وصلت إلى باث كانت قد أصبحت أكثر عجزاً مما كانت عليه في ذلك الوقت، لأنها كانت قد أصيبت بالزكام في رحلتها، ولزمت فراشها في معاناة شديدة ومستمرة. وكل هذا بين الغرباء، دون أن يكون هناك من يعتني بها، وفي وضع مالي صعب للغاية .

لقد خضعت لكل هذه الأموروقالت إنّها كانت جيدة بالنسبة لها.

شعرت أنّها في أيد أمينة. وكانت تعرف الكثير عن العالم بحيث لم تكن تتوقع أن يكون هناك ارتباط مفاجئ وغير مهتم؛ ولكن صاحبة البيت كانت قد أظهرت إنّها طيبة جدّا، وكانت أخت هذه السيّدة التي كانت ممرضة ثم عاطلة عن العمل قد اعتنت بها عناية رائعة وكانت صديقة عزيزة عليها.

"وما إن تمكّنت من استخدام يدي، حتى علّمتني الحياكة التي كانت مصدر إلهاء كبير لي، كما علمتني كيف أصنع السّلال والكرات وحاملات البطاقات التي تجدني مشغولة بها. لقد أتاحت لي هذه الأعمال أن أفعل القليل من الخير لبعض العائلات الفقيرة في الحي.

"تضع مأمورة السّجن بضاعتي تحت تصرفها وتجعل زبائنها يشترونها. إنّها دائمًا ما تغتنم اللحظة المناسبة. عندما ينجو المرء من خطر عظيم، يكون قلبه أكثر انفتاحًا، والسيّدة روك تعرف متى تتكلم. إنّها امرأة ذكية و عاقلة وتفهم الطبيعة البشرية. ولديها من عمق الحس السليم والملاحظة ما يجعلها تتفوق بلا حدود كرفيقة على آلاف النساء اللاتي لا يجدن شيئاً يستحق أن يكون رفيقاً لهن مع أفضل تعليم.

سمّها نميمة إن شئت؛ ولكن عندما يتاح للحارسة روك نصف ساعة من الفراغ، فأنا واثقة من أنّها ستخبرني بشيء مسلي ومفيد، شيء يجعلنا أكثر معرفة بأخينا الإنسان. فالمرء يحب أن يعرف ما يدور حوله وما هي أحدث طرق العبث والتّفاهة. بالنّسبة لي، أنا الذي أعيش وحدي، فإنّ حديثها هو وليمة.

- إنني أصدقك بسهولة؛ فالنّساء من هذا الصّنف يرين ويسمعن أشياء كثيرة، وإذا كنّ ذكيّات فهنّ جديرات بالإصغاء إليهنّ. إنّهنّ لا يرين الطّبيعة البشريّة في حماقاتها فحسب، بل يرينها في أكثر ظروفها إثارة للاهتمام والتأثير. وكم من أمثلة كثيرة تمر أمام أعينهنّ عن التعلّق

المتحمّس غير الأناني والمخلص؛ عن البطولة والشّجاعة والصّبر والاستسلام! كم من الأمثلة على أنبل التّضحيات! يمكن أن توفّر غرفة المرض مادة لمجلدات.

- نعم، قالت السيّدة شميث بشكّ: "نعم، يمكن أن يحدث ذلك، ولكن ليس بالمعنى السّامي الذي تقترحه. هنا وهناك يمكن للطّبيعة البشريّة أن تكون عظيمة هنا وهناك في أوقات المحنة، ولكن ضعفها عموماً وليس قوّتها هو الذي يظهر في غرفة المرض. نسمع عن الأنانية ونفاد الصّبر أكثر ممّا نسمع عن الكرم والشّجاعة. هناك القليل جدّا من الصّداقة الحقيقيّة في العالم! و للأسف"، قالت بصوت منخفض مرتجف: "هناك الكثير ممّن ينسون التّفكير بجدّية حتّى فوات الأوان.

رأت آن المعاناة المخفية تحت هذه الكلمات. فالزوج لم يقم بواجبه، والزوجة قد انساقت إلى مجتمع أعطاها رأياً في الرجال أسوأ ممّا يستحقّون. تخلّصت السيّدة شميث من هذا الانفعال اللّحظي وسرعان ما أضافت بنبرة مختلفة:

"إنّ الوضع الحالي لصديقتي السيّدة روك لا يمكن أن يثير اهتمامي كثيراً. إنّها تحتفظ بالسيّدة واليس، من بناية مارلبوروغ[88]، وهي امرأة جميلة جدّا، دنيوية جدّا، حمقاء ومبذرة، ومن الطبيعي أنّها لن تستطيع أن تتحدّث عن شيء سوى الدانتيل والخرق. ومع ذلك، أريد

[88] Marlboroug-Buildings

أن أستفيد من السيّدة واليس. إنّها غنية جدّا، و أنا أريدها ان تشتري لي كلّ الأشياء الغالية التي املكها في الوقت الحالي.

كانت آن قد ذهبت إلى منزل صديقتها عدة مرات قبل أن يُعرف وجودها في كامبين بليس. في النهاية، كان لابد من القول. عاد السّير والتر وإليز ابيث والسيّدة كلاي ذات صباح من لورا بليس بدعوة غير متوقعة من اللّيدي دالريمف في نفس الأمسية التي كانت آن ستقضيها في منزل صديقتها. وكانت آن متأكدة من أن اللّيدي دالريمف قد دعتهم لإنّها كانت محتجزة في المنزل بسبب البرد، وكانت سعيدة جدّا بالاستفادة من القرابة التي فرضت عليها. واعتذرت آن عن الحضور قائلة: إنّها دعيت للبقاء مع صديقة لها من المدرسة الداخلية. وسألتها إليز ابيث والسّير والتر، اللذان لم يكن لهما اهتمام كبير بالموضوع، وعندما اكتشفا الأمر كله كانت إحداهما محتقرة والأخرى صارمة.

ويستجيت-بويلدنجز[89]،"مباني ويستجيت"، قال السّير والتر، "وتلك الآنسة اليوت ذاهبة الى هناك! !سيدة شميث! أرملة! و من كان زوجها؟ واحد من خمسة آلاف شميث الذي تقابله في كل مكان! و ما الذي يجذبها ؟ إنّها عجوزومريضة على كلمتي، آنسة آن إليوت، لديك ذوق غير عادي! أيّ شيء يثير اشمئزاز الآخرين: الصّحبة الوضيعة، المسكن البائس، الهواء الفاسد؛ أيّ شيء منفّر يجذبك. لكن بالتأكيد يمكنك

[89] Westgate-Buildings

تأجيل هذه العجوزحتى الغد؟ أليست قريبة من النّهاية بحيث لا يمكنها العيش ليوم آخر؟ كم عمرها؟ أربعون !

-واحد وثلاثون فقط. ولكنني لا أعتقد أنني أستطيع تأجيل زيارتي، لأن هذه هي الأمسية الوحيدة التي تناسبنا نحن الاثنين .

ستذهب إلى الحمّامات السّاخنة غدًا، وأنت تعلمين أننا مدعوون لبقيّة الأسبوع.

-ما رأي السيّدة راسل في هذا التعارف؟

-إنّها لا ترى فيه شيئاً يمكن توبيخه، بل على العكس، إنّها تستحسنه، وكثيراً ما أوصلتني إليه في عربتها .

- لا بد أن مباني ويستجيت-بيلدنجز قد فوجئت برؤية طاقم على أرصفتها"، كما علق السّيروالتر. صحيح أن أرملة السّيرهنري راسل ليس لديها تاج على شعار النبالة، وعلى الرغم من ذلك فهو طاقم جيد، ولا شك أنّه من المعروف أنّ فيه الآنسة إليوت. السيّدة الأرملة شميث التي تسكن في مباني ويستجيت، السيّدة شميث البسيطة هي صديقة الآنسة اليوت الحميمة، التي تفضّلها على أقاربها النّبلاء من إسكتلندا و إيرلندا؛ السيّدة شميث!" يا له من اسم!

عند هذه النقطة، رأت السيّدة كلاي أنّه من المناسب أن تغادر الغرفة. وكان بوسع آن أن تدافع عن صديقتها، ولكنها التزمت الصّمت احتراماً لوالدها. وتركته يتذكّر أن السيّدة شميث لم تكن الأرملة الوحيدة في

باث في الثلاثينات والأربعينات من عمرها، وهي في الثلاثينات والأربعينات من عمرها، وهي قليلة الثروة ولا تملك من النبالة شيئاً.

لقد أوفت بوعدها، وأوفى الآخرون بوعدهم. وغنيّ عن القول إنّها سمعت في اليوم التالي عن الأمسية المبهجة .

وقد سارع السّير والتر وإليز ابيث بدعوة اللّيدي راسل والسيّد اليوت نيابة عن سيادته. وقد ترك السيّد إليوت الكولونيل واليس ليأتي، والسيّدة راسل جاءت، على الرغم من إنّها كانت قد رتبت بالفعل أمسيتها بشكل مختلف. من خلالها، عرفت آن كل ما قيل .

وكانت صديقتها والسيّد إليوت قد تحدثا عنها. لقد كانت مرغوبة ومفتقدة؛ وكان سبب غيابها قد حظي بالمو افقة؛ وكان السيّد إليوت مسروراً بزيارتها اللطيفة والحنونة لرفيقة سابقة كانت مريضة وفقيرة. و اتفق مع اللّيدي راسل على أنّ آن كانت فتاة غير عاديّة، ونموذجاً للكمال في كلّ شيء.

ولم تكن آن لتعرف أن رجلاً شهماً يحترمها إلى هذا الحدّ دون أن تشعر بالعواطف التي كانت اللّيدي راسل تحاول أن تثيرها .

لقد كانت قد اتّخذت قرارها بشأن السيّد اليوت .

لقد كانت مقتنعة بأنّه يريد آن وتعتقد بأنّه جدير بها وكانت تحسب عدد الأسابيع المتبقية لها حتى تخرج من الحداد، ليتسنّى له أن يستعرض كل ما لديه من إغراءات.

لم تفصح عن رأيها إلا بنصف ما يدورفي خلدها، ولم تلمّح إلّا إلى إمكانية مثل هذا التحالف. استمعت آن وهي خجولة وهزّت رأسها بلطف .

قالت اللّيدي راسل: "آن لستُ خاطبة، كما تعلمين. أعرف جيّداً عدم اليقين في التنبّؤات البشرية. كل ما أقوله هو إنّه إذا سعى السيّد إليوت إلى الارتباط بكِ وكنتِ على استعداد لقبوله، فستكون هناك عناصر السّعادة.

-إن السيّد إليوت رجل ودود جدّا، و أنا أقدّره كثيراً، ولكنّنا لا نلائم بعضنا بعضاً ."

فما كان من اللّيدي راسل إلّا أن أجابت: "أعترف أنّ أعظم ما يسعدني أن أراكِ سيّدة كيلينش، اللّيدي إليوت المستقبليّة، تحتلّين مكان أمّك العزيزة، وتخلفينها في كلّ حقوقها، وفي كل شعبيتها، وفي كلّ فضائلها. أنت صورة أمّك يا عزيزتي آن جسدياً ومعنوياً، وإذا ما أخذتِ مكانها فإنّ تفوّقك الوحيد عليها هو أن تكوني أكثر تقديراً منها".

نهضت آن و انصرفت مبتعدة لتستعيد عافيتها من العاطفة التي أثارتها هذه اللّوحة في نفسها: لقد أغوت خيالها وقلبها .

كان لكلّ هذه الصّور سحر لا يقاوم. ولم تتفوّه اللّيدي راسل بكلمة، وتركت آن لتأملاتها، وفكّرت في أنّه لو كان السيّد إليوت يترافع في هذه اللّحظة عن قضيته...

باختصار، لقد صدّقت ما لم تصدّقه آن بعد. وفكرت الأخيرة في السيّد إليوت نفسه وهو يترافع عن قضيّتها، فوجدت نفسها فجأة قد اقشعرّت، وقالت لنفسها إنّها لن تقبله أبداً .

وعلى الرغم من أنّها كانت تقابله منذ شهر، إلا إنّها لم تستطع أن تقول إنّها تعرفه حق المعرفة، فقد كانت ترى أنّه رجل عاقل وودود يتكلم جيداً ويعلن آراءه الصّائبة. وكان لديه إحساس بالواجب، ولم تكن تستطيع أن تجد فيه عيباً في أيّ نقطة، ولكنّها مع ذلك لم تكن تريد أن تجيب عنه. كانت لا تثق في الماضي، إن لم يكن في الحاضر. وكانت بعض الكلمات التي نطق بها في بعض الأحيان تثير شكوكها؛ ومن ذا الذي يستطيع أن يجيب عن مشاعر رجل ذكيّ وحصيف ربّما تظاهر بما ليس فيه؟ ولم يكن السيّد إليوت رجلاً متفتّح الذّهن: فالصّواب أو الخطأ لم يكن يثير فيه أي دافع من دوافع السّرور أو السّخط. وكان هذا بالنّسبة لآن عيباً كبيراً: فقد كانت تحبّ الصّراحة والحماس.

وكانت تثق في إخلاص أولئك الذين ينطقون أحيانا بكلمة طائشة أكثر من ثقتها فيمن لا ينقصه حضور الذّهن، ولا يخطئ لسانه أبداً. وكان السيّد إليوت يعرف كيف يرضي الجميع؛ وقد تحدّث إليها بصراحة عن السيّدة كلاي، ومع ذلك فقد كان لطيفاً معها كما كان لطيفاً مع أيّ شخص آخر. أما السيّدة راسل فقد كانت ترى أكثر أو أقلّ من صديقتها الشابة، لأنّها لم تكن مرتابة. ولم تكن تستطيع أن تتخيّل رجلاً أكثر كمالاً

**من هذا الرّجل، ولم يكن هناك ما هو أحلى بالنسبة لها من أن ترى محبوبتها آن وهي تعطيه يدها في كنيسة كيلينش في الخريف القادم.**

# الفصل: 18

كان ذلك في بداية شهر فبراير. وكانت آن في باث منذ شهر، تنتظر بفارغ الصبر أخباراً من أبركروس و لايم. ولم تكن تتلقى أيّ أخبار منذ ثلاثة أسابيع، فقط أن هينريتا قد عادت إلى المنزل وأن لويزا لا تزال في لايم. وكانت تفكر في هذا الأمر أكثر من المعتاد ذات مساء عندما وصلتها رسالة من ماري تحمل تحيّات السيّد والسيّدة كروفت .

قال السّير والتر: "إن آل كروفت في باث"، وماذا أرسلوا لك؟

-رسالة من كوخ "أبركروس" يا أبتاه

-أوه، هذه الرسائل هي جوازات سفر ملائمة لتلقيها. ومع ذلك، كنت سأزور آل كروفت على أي حال. أعرف ما أدين به لمستأجرتي ".

"وجاء في الرسالة: "عزيزتي آن، أنا لا أعتذر عن صمتي، لأنّ المرء لا يحتاج إلى الاهتمام بالرسائل في باث. أنت سعيدة جدّا للتفكير في أبركروس. كان عيد الميلاد لدينا حزينًا جدّا، لم يقدّم آل ماسجروف عشاءً واحدًا و لا أحسب عائلة هايتر، انتهت الأعياد أخيرا. لم نحظ بعطلة طويلة كهذه عندما كنا أطفالاً. لقد أُخلي المنزل بالأمس ماعدا أطفال عائلة هارفيل و ستندهشين لسماعك أنّهم لم يأتوا لمنزلي مرّة واحدة، السيّدة "هارفيل" أم غريبة لا يمكن أن تفارقنا لفترة طويلة.

إنّهما ليسا طفلين جميلين، ولكن يبدو أن السيّدة ماسجروف تحبّهما بنفس القدر أو حتّى أكثر من طفلها .

"يا له من طقس فظيع هذا الذي كان لدينا! لعلّك لا تلاحظين ذلك في باث مع حصى نظيف أما في الريف فالأمر مختلف .

"لم يأتنا زائر واحد منذ الأسبوع الثاني من شهر يناير عدا "تشارلز هايتر" الذي كان يأتي إلى هنا كثيراً.

"بيننا، من المؤسف أن هينريتا لم تمكث في لايم كما مكثت فيها لويزا، كان من الممكن أن تبعدها عنها لقد غادرت السّيارة للتّو لتقل "لويزا" وعائلة "هارفيل" غداً لم تتم دعوتنا لتناول العشاء معهم حتى بعد غد، لأننا نخشى أن تكون لويزا متعبة من الرّحلة، وهو أمر مستبعد إذا فكرت في الرعاية التي تتلقاها. أفضّل تناول العشاء هناك غدا.

"أنا مسرورة جدّا لأنك تجدين السيّد "إليوت" لطيفاً جدّا، وأود أن أعرفه أيضاً. لكن من سوء حظي أن لا أكون متواجدة أبداً عندما يكون هناك أيّ شيء لطيف. أنا آخر من تبقى من العائلة التي يتم الاعتناء بها.

"يا له من وقت هائل تقضيه السيّدة "كلاي" مع "إليزابيث هل تنوي المغادرة؟ هل تعتقد بأننا سنكون مدعوين إذا تركت المكان شاغراً؟ يمكنني ترك أطفالي في البيت الكبير لمدة شهر أو ستة أسابيع.

"لقد سمعت بأن آل كروفت ذاهبون الى باث: لم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال عن أشيائي؛ إنّهم ليسوا مهذّبين جدّا! نحن بالكاد نراهم، وهذا استهتار كبير منهم.
"ينضمّ إليّ "تشارلز" في إرسال ألف تحيّة طيّبة لك .

"أختك الحنونة، ماري م."

"ملاحظة - يؤسفني أن أخبركم بأنني لست على ما يرام، وقد علمت جيماينا [90]للتو من الجزار أن الذبحة الصدرية هنا كثيرة .

أعتقد أنني سأصاب بواحدة منها، لأنّ التهاب حلقي دائماً أخطر من أي شخص آخر."
وهكذا انتهى الجزء الأول الذي أضيف إليه ما يلي :
"لقد تركت رسالتي مفتوحة لكي أخبرك كيف تحمّلت لويزا الرحلة؛ و أنا مسرورة جدّا بذلك، لأنّ لدي الكثير لأضيفه .
أولاً وصلتني بالأمس رسالة من السيّدة كروفت تسألني إن كان لدي ما أرسله إليك: رسالة جيدة جدّا وودودة جدّا، وموجهة إليّ كما ينبغي أن

[90] Jémina

تكون. الأدميرال لا يبدو مريضا جدّا، وآمل مخلصة أن يكون الحمّام جيّدا له. سأكون سعيدة جدّا عندما يعودون:

لا يمكننا الاستغناء عن مثل هذه العائلة الجميلة .

"الآن دعينا نتحدث عن لويزا: سوف تتفاجئين. لقد وصلت يوم الثلاثاء. في المساء، عندما ذهبنا للاطمئنان عليها، فوجئنا بعدم وجود بينويك هناك، لأنّه كان مدعواً أيضاً. وهل يمكنك تخمين سبب عدم وجوده هناك؟ إنّه يغازل لويزا، ولن يأتي حتى يتلقى ردّ السيّد ماسجروف على طلبه المكتوب. سأكون متفاجئة لو علمت بذلك لأني لم أسمع شيئاً عن ذلك. نحن سعداء جدّا، لأن هذا الزواج، على الرغم من إنّه ليس جيدا مثل زواج الكابتن وينتورث، أفضل مليون مرة من زواج تشارلز هايتر. السيّد ماسجروف أعطى مو افقته والكابتن بينيك منتظر.

"يتساءل تشارلز عمّا سيقوله وينتورث ولكنّك تذكرين أنّني لم أؤمن أبداً بتعلّقه بلويزا .

"وهنا ينتهي الافتراض بأن "بينويك" كان معشوقك."

"من غير المفهوم بالنسبة لي كيف استطاع "تشارلز" أن يدخل ذلك في رأسه"

لم تكن آن متفاجئة أكثر من ذلك الكابتن بينيك ولويزا ماسجروف! كان الأمر مدهشاً لدرجة يصعب تصديقها ،أراد السّير والتر أن يعرف ما إذا

كان آل كروفت يسافرون على أربعة خيول، وما إذا كانوا سيعيشون في حيّ جيد بما فيه الكفاية لنذهب لرؤيتهم .

"قالت إليز ابيث: "كيف حال ماري؟

ودون أن تنتظر جو اباً: "ما الذي أتى بآل كروفت إلى باث؟

-لأنّ الجنرال مصاب بالنقرس .

" -قال السّير والتر: "النقرس والعجز! مسكين هذا الرجل العجوز !"

- " وسألت إليز ابيث: "هل يعرفون أحداً هنا؟

-لا أعرف عن ذلك ولكن في سن الأدميرال، ومع مهنته، لا بدّ إنّه لا يوجد نقص في معارفه في مدينة مثل باث .

- قال السّير والتر بهدوء: "أعتقد أنّ الأدميرال سيكون معروفاً هنا كنزيل كيلينش" إليز ابيث، هل لنا أن نجرؤ على تقديمهم إلى لورا بليس؟

-لا أعتقد ذلك؛ نحن أبناء عمّ السيّدة دالريمف، ولا يجب أن نفرض عليها معرفة قد لا تو افق عليها. من الأفضل ان نترك آل كروفت مع من يساويهم .

كان هذا هو كل ما اهتمّت به اليزابيث برسالة ماري، وعندما استفسرت السيّدة كلاي بأدب عن السيّدة ماسجروف وأطفالها الفاتنين، تركت آن وحدها.

بمجرد وصولها إلى غرفتها، حاولت أن تفهم. لعل وينتورث أدرك أنّه لم يكن يحبّ لويزا فانسحب؟ لم تستطع تقبّل فكرة الهزل أو الخيانة.

الكابتن بينويك و لويزا ماسجروف !

لويزا المبهجة المفعمة بالحيوية و بينويك الحزين العاطفي آخر من بدا أنّهما يناسبان بعضهما البعض لكنّهما كانا معا منذ عدة أسابيع؛ لقد عاشا في نفس الدّائرة الصّغيرة.

كانت لويزا تتعافى من المرض أكثر إثارة للاهتمام، وكان بنويك أقل عزاءً. وبدلاً من أن تستخلص آن نفس الاستنتاجات التي استخلصتها ماري من الحاضر، فقد شكّت في أنّ بنويك كان لديه بعض الميل نحوها. لكنّها لم تفخر بذلك. كان بنويك ممتناً للتعاطف الذي أظهرته له. كان لديه قلب محب.

وكانت تظنّ أنّهما يمكن أن يكونا سعيدين: هو سيكتسب البهجة، وهي تتحمّس لبايرون أو لوالترسكوت. ولكن ذلك كان قد حدث بالفعل على الأرجح، فقد جمع الشّعر بين قلبيهما. وكانت فكرة أن تصبح لويزا أديبة وعاطفيّة فكرة مسليّة.

وقد يكون الحادث الذي وقع في لايم قد أثّر في صحّتها وشخصيتها كما أثّر في مصيرها.

كلا، لم يكن الندم هو الذي جعل قلب آن يخفق رغمًا عنها وخدّيها يحمرّان عندما فكّرت أنّ وينتورث حرّ طليق! كانت تخجل من تحليل مشاعرها. لقد كانت أشبه ما تكون بالفرح: فرح هائل.

استقرت عائلة كروفت في شارع جاي، ممّا أثار ارتياح السّير والتر التام. ومنذ ذلك الحين لم يكن يخجل من معرفتهم، وتحدّث عن الأدميرال أكثر ممّا ذكره من قبل. وجلب آل كروفت إلى باث عادتهم الريفيّة في التواجد مع بعضهم دائماً. وكان الأدميرال مأموراً بالمشي لعلاج النّقرس، وكانت آن تقابلهم في كلّ مكان. وكانوا بالنسبة لها صورة السّعادة. تتبعهم بعينيها لوقت طويل، و تسعد بتخيّل ما يقولونه وهم يسيرون جنباً إلى جنب سعيدين ومستقلين؛ أو لترى المصافحة الودّية التي كان الأميرال يصافح بها أحد أصدقائه، والمجموعة المفعمة بالحيوية التي كان يشكلها أحيانا مع بحارة آخرين .

وكانت السيّدة كروفت تبدو في وسطهم ذكية وفطنة كأي من الضباط المحيطين بها.

وذات صباح، كانت آن تعبر شارع ميلتون عندما قابلت الأدميرال، وكان بمفرده مشغولاً بالنظر إلى النقوش، فلم يرها في البداية .

وعندما لمحها قال لها بروحه المرحة المعهودة: "آه، إنّها أنتِ. تر اني و اقفا أمام هذه اللوحة: لا أستطيع المرور من هنا دون أن أتوقّف. ولكن هل هذا قارب؟

ألقِ نظرة. هل رأيت مثلها من قبل؟

إن رساميك مدهشون إذا ظنوا أنّ أحداً قد يرغب في المخاطرة بحياته في قشرة الجوز القديمة عديمة الشكل هذه."

ومع ذلك، ها هما شخصيّتان تبدوان مرتاحتان تماماً .
إنّهما ينظران إلى الصّخور والجبال كما لو أنّهما لن يتعرّضا للإسقاط، وهو ما سيحدث بالتأكيد. والآن، إلى أين أنت ذاهبة؟ هل يمكنني أن آتي معك، أو أفعل شيئاً من أجلك؟
-لا، شكراً لك، إلا إذا كنت تريد أن تركب معي .أنا ذاهبة للمنزل.
-بالتأكيد، من كل قلبي سنحظى بنزهة لطيفة، ولديّ شيء لأخبرك به. إمسكي بذراعي، لا أشعر بالراحة بدون ذراع امرأة .
-هل لديك شيء لتخبرني به؟
- نعم، لكن هذا صديق لي كابتن بريدجديم[91] أريد فقط أن أسأله كيف حاله بالمناسبة. إنّه مندهش لرؤيتي مع امرأة أخرى غير زوجتي. لقد علقت ساق المسكينة، وهناك بثرة في كعبها تكاد تكون بحجم قطعة من خمسة فرنكات. هل ترين الأدميرال برا اند قادم نحونا مع أخيه؟
ملابس رثة، كلاهما؛ أنا سعيد لأنهما على الجانب الآخر من الشارع. صوفي لا تطيقهم لقد لعبوا خدعة سيئة معي ذات مرة، سأخبرك عنها. هذا هو السّير العجوز آرتشيبالد[92] وحفيده أنظري، إنّه يرانا إنّه يرسل لك قبلة ويحسبك زوجتي آه، لقد حل السّلام مبكراً جدّا على هذا الشاب الصغير.

[91] Bridgdem

[92] Archibald

سير أرشيبالد العجوز المسكين.

"هل تحبين "باث" آنسة "إليوت؟ الحمّام يناسبني جدّا؛ دائما ما نلتقي بصديق قديم. ومن المؤكّد أننا سنحظى بحديث، وعندما نعود إلى المنزل نغوص في كراسينا ونكون مرتاحين كما كنا في كيلينش .

حثّته آن على أن يخبرها بما لديه ليقوله لها. ولكن كان عليها أن تنتظر، فقد كان الأدميرال قد آل على نفسه أن لا يتحدّث إلا في ميدان بلمونت.[93]

قال: "والآن، سوف تسمعين شيئاً مفاجئاً، ولكن أخبريني أوّلاً باسم أصغر فتيات ماسجروف. دائماً ما أنساها"

آن سمتها له.

"نعم، لويزا ماسجروف، هذا صحيح. لو لم يكن للفتيات أسماء جميلة كهذه، وكان اسمهن ببساطة "صوفي" أو"ماري"، لما أخطأت. حسنا، كنا نظنّ أن الآنسة لويزا ستتزوج فريدريك .

لقد كان يتودّد لها منذ فترة. كنّا نتساءل فقط لماذا كانا ينتظران عندما وقع الحادث في لايم. وبدلا من البقاء فيها، ذهب فريدريك إلى بليموث، ثم غادر لرؤية إدوارد، وهو لا يزال هناك .

[93] Belmont

لم نره منذ نوفمبر. صوفي" نفسها لا تفهم ولكن اليوم أخذت الأمور منعطفا غريبا، فهذه الآنسة الشّابة ماسجروف، بدلا من أن تتزوّج فريدريك، ستتزوج جيمس بينيك. هل تعرفين جيمس بينيك؟

- نعم، قليلا

-حسنا، يجب أن يكونا قد تزوّجا الآن، لأني لا أرى سببا للانتظار .

-الكابتن بينويك رجل ودود جدّا ويقال إنّه يتمتّع بشخصية ممتازة .

- نعم، ليس هناك ما يقال ضده. لقد كان في القيادة العام الماضي فقط، صحيح، وهووقت سيّء للترقية، لكني لا أعرف أيّ عيب آخرفيه. إنّه فتى ممتاز، هو ضابط نشيط و متحمّس، ربّما أكثر ممّا تعتقد، لأنّ سلوكه الهادئ لا ينصفه.

-أنت مخطئ يا سيّدي؛ فأخلاق القبطان لا تقودني إلى افتراض أنّه يفتقر إلى الطاقة. أجدها مقبولة جدّا، و الآنسة آن متأكّدة وو اثقة من أنّها ترضيه بشكل عام .

- حسنا، حسنا؛ السيّدات هنّ أفضل من يحكم؛ ولكن جيمس بنويك هادئ جدّا بالنسبة لي. ربّما هو تأثير تحيّزنا، لكني أنا و صوفي نفضّل أسلوب فريدريك.

-قالت آن بعد لحظة من التردّد: "لم يكن في نيتي أن أقارن بين الصديقين ."

ولكن الأدميرال قاطعها: "إنّ خبر الزواج صحيح بالتأكيد، وليس هناك أيّ نميمة. لقد عرفنا ذلك من فريديريك نفسه الذي كتب لأخته. أفترض إنّهم جميعاً في أبركروس؟

لم تستطع آن أن تقاوم إغراء القول: "أعتقد أنّهم جميعاً في أبركروس. "أرجو أيّها الأدميرال ألا يكون في رسالة الكابتن ما يزعجك .

فقد بدا أنّ هناك ارتباطاً بينه وبين لويزا في الخريف الماضي؛ ولكني أحب أن أعتقد أنّ هذا الارتباط قد ذهب من كلا الجانبين دون دمعة! آمل أن لا يكون لدى القبطان أيّ سبب للشّكوى من أيّ شخص.

-لا، بالتّأكيد لا؛ فريديريك ليس بالرّجل الذي يئن ويتذمر. لديه الكثير من الرّوح المعنوية لذلك. اذا كانت السيّدة الشابة تفضّل شخصا آخر فلتأخذه .

-انت على حقّ، أتمنى فقط ان لا يكون لدى الكابتن ما يتذمّر منه بشأن صديقه. سأكون في غاية الأسف إذا دمّرت صداقتهما، أو حتّى بردت بسبب شيء من هذا القبيل .

-نعم، نعم، أفهم ذلك. ولكن رسالته لا تذكر شيئا عن ذلك. حتى أنّه لم يظهر أدنى دهشة .

لم تكن آن مقتنعة مثل الأدميرال .

لكن لم يكن هناك فائدة من السّؤال أكثر من ذلك.

**مسكين فريديريك"، قال الأميرال: "عليه أن يبدأ من جديد. يجب أن تكتب له صوفي ليأتي، أعتقد أن هناك بعض الفتيات الجميلات هنا. سيكون من غير المجدي الذهاب إلى أبركروس الآن، لأنّ الآنسة ماسجروف الأخرى مطلوبة من قبل ابن عمّها الوزير الشاب. ألا تعتقدين آنسة اليوت أنّه من الأفضل أن يأتي الى باث؟"**

# الفصل: 19

وبينما كان الأدميرال يتحدّث عن وينتورث كان هو في طريقه بالفعل. رأته آن في المرّة الأولى التي خرجت فيها. كانت مع شقيقتها والسيّد إليوت والسيّدة كلاي؛ وكانتا تعبران شارع نيلسون، وكان المطر قد بدأ يهطل. وذهبت السيّدات إلى أحد المتاجر، بينما ذهب السيّد إليوت إلى السيّدة دالريمف الّتي كانت عربتها متوقّفة على بعد خطوات قليلة، وطلب منها أن تصطحب السيّدات.

ولكن لم يكن هناك سوى أربعة مقاعد في العربة، وكانت الآنسة كارتريت مع والدتها. وكان أحد المقاعد من حقّ الآنسة إليوت الكبرى؛ ولكن كان هناك نزاع مهذب بين السيّدة كلاي وآن على المقعد الثاني . لم تكن آن تمانع في المطر، مفضلة المشي؛ ولم تكن السيّدة كلاي تمانع في ذلك أيضا، وكان حذاؤها جيّدا.

ولكن الآنسة إليوت قالت إنّ السيّدة كلاي كانت قد أصيبت بالفعل بنزلة برد، وجادل السيّد إليوت بأنّ حذاء آن كان أكثر الأحذية ثباتاً، و انتهى النقاش. وفجأة رأت آن الجالسة بجانب النافذة وينتورث قادماً من الشّارع. لم يسعها إلا أن تجفل، على الرغم من أنّها قالت لنفسها أنّ ذلك كان سخيفاً. و لبضع دقائق لم تر شيئاً؛ فقد كان كلّ شيء حولها مشوّشاً.

تراجعت إلى الوراء عندما رأت الكابتن وينتورث نفسه يدخل مع عدد من السيّدات والسّادة. بدا أنّ رؤية آن قد باغتته؛ لقد احمرّ خجلاً للغاية. لأول مرة، أظهرت هي انفعالاً أقلّ ممّا أظهره هو. لقد كانت قادرة على تهيئة نفسها، وعندما استردّت عافيتها، كانت العربة لا تزال تنتظر، وكان السيّد إليوت على وشك القيام بمهمّة للسيّدة كلاي.

ذهبت آن إلى الباب لترى ما إذا كانت السّماء تمطر.

ما السّبب الآخر الذي يمكن أن يكون لديها؟ لا بدّ أنّ الكابتن قد غادر؟ التفتت إليه ومع ذلك كانت متأثرة.

قال لها بضع كلمات. لم يكن بارداً ولا ودوداً، بل كان محرجاً.

استطاعت آن أن ترى، بصعوبة ولكن بدون دهشة، أن إليزابيث لم تكن تريد أن تتعرف على السيّد وينوورث.[94] كان ينتظر فقط إشارة منها ليحيّيها، لكنها أشاحت بوجهها ببرودة جليديّة. وسرعان ما أعلن أحد الخدم عن عربة اللّيدي دالريمف.

وبدأ المطر يهطل مرّة أخرى، ودبّت حركة في الدكّان الصّغير دلّت الحاضرين على أن اللّيدي دالريمف قد جاءت لإحضار الآنسة إليوت.

التفت الكابتن إلى آن وعرض عليها خدماته بموقفه أكثر ممّا عرض عليها بكلماته.

[94] Wenworth

قالت له: "شكراً لك لن أركب العربة؛ لا يوجد مكان، و أفضل أن أمشي."

-لكنها تمطر

-أوه، قليلاً جداً، لا أمانع .

وبعد صمت، قال وهو يشير إلى مظلته: على الرغم من أنني وصلت بالأمس، فقد تجهزت بالفعل للذهاب إلى باث. خذيها إذا أردت أن تمشي، ولكن من الحكمة أن تدعيني أجد لك عربة .

فرفضت قائلة إنها ستنتظر.

إنها كانت تنتظر السيّد إليوت .

كانت لا تزال تتحدّث عندما دخل. وعرّفه وينتورث على أنّه الرجل الذي رآه في لايم، ووقف على الدرج ليعجب بآن. كانت تصرّفاته وسلوكياته هي تصرّفات أحد الأقارب أو صديق مميز. عرض عليها ذراعه. وفي طريقها للخروج، لم يكن في وسع آن إلا أن تلقي التحيّة على وينتورث مصحوبة بنظرة خجولة ناعمة.

ولما انصرفا بدأت السيّدات اللاتي كنّ مع القبطان في الحديث عنها.

"أعتقد أن الآنسة "إليوت" لا تغضب ابنة عمّها ؟

-هذا واضح بما فيه الكفاية يمكنك تخمين ما سيحدث إنّه دائماً معهم إنه يعيش نصف العائلة يبدو بخير حال .

-نعم، والآنسة أتكينسون[95] التي تناولت العشاء معه مرّة تقول إنّها لم تر رجلاً ألطف منه.

- عندما تنظرين للآنسة اليوت بشكل صحيح تظنّين أنّها جميلة أعترف بأني أفضّلها على أختها على الرغم من الرأي الشائع .

-وآن كذلك

-لا مجال للمقارنة لكن الرجال جميعهم متحمّسون للآنسة إليوت. آن حساسة جدا بالنسبة لهم.

آن كانت تود ألّا تتكلّم ابنة عمها، كانت مفعمة بالاهتمام، وتختار المواضيع التي تثير اهتمامها، إمّا مدحاً معقولاً وعادلا للسيّدة راسل، أو تلميحات ضد السيّدة كلاي. لكن كلّ ما كانت آن تفكر به في هذه اللحظة كان وينتورث .

لم تستطع أن تخمّن بماذا كان يفكر، ولم تستطع أن تكون هادئة. لقد تمنّت أن تكون حكيمة وعاقلة في الوقت المناسب، لكن للأسف، كان عليها أن تعترف لنفسها بأنها لم تكن كذلك بعد.

لو بقي في باث فلن تفشل السيّدة راسل في رؤيته هل ستتعرّف عليه؟ ماذا ستكون النتيجة؟ لقد اضطرّت بالفعل أن تخبر صديقتها بأن لويزا ستتزوج من بينويك، وقد أحرجتها دهشة اللّيدي راسل من عدم معرفتها بالموقف .

[95] Atkinson

في اليوم التالي، سارت آن في شارع بوليني[96] اللّيدي راسل، ولمحت وينتورث على الرصيف المقابل، ولم تغب عن ناظريها مرة أخرى.
وعندما اقتربت منها، نظرت إلى اللّيدي راسل ورأت أنها كانت تر اقب وينتورث باهتمام. واستطاعت آن أن تعرف من الصعوبة التي كانت تجدها في إبعاد عينيها عنه أنه كان يحمل نوعاً من السحر لليدي راسل.
و بدت مندهشة من أن السنوات الثماني التي قضتها في بلاد أجنبية وفي الخدمة العسكرية لم تأخذ شيئاً من وسامتها .
وفي النهاية أشاحت اللّيدي راسل برأسها بعيداً: لعلك تتساءلين ما الذي أبقى عينيّ كل هذا الوقت: لقد كنت أنظر إلى نافذة ذات ستائر أخبرتني عنها السيّدة أليس.
تنهدت آن وخجلت من الشفقة والازدراء على صديقتها أو على نفسها. وكان أكثر ما يغيظها أنها لم تستطع أن تتأكد ممّا إذا كان قد رآها .
ومضى يوم أو يومان دون أن تراه، وكانت آن تتخيّل نفسها أقوى ممّا كانت، وتطلعت إلى حفلة موسيقية أقيمت لصالح شخص ترعاه اللّيدي دالريمف. قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ حَفْلَة جَيِّدَة، وَوينتورث تحبّ الموسيقى بشغف. و أرادت أن تتحدّث إليه لبضع لحظات، وشعرت بالشّجاعة الكافية للتحدث إليه. ولم تكن اللّيدي راسل ولا إليز ابيث قد أرادت أن تعترف له بالجميل، وشعرت أنها مدينة له باعتذار .

[96] Pulleney

كانت قد وعدت السيّدة سميث بقضاء المساء معها. فدخلت للحظة، ووعدتها بزيارة أطول في اليوم التالي.

بالتأكيد"، قالت السيّدة شميث، "فقط ستخبريني بكل شيء عن ذلك. إلى أين أنت ذاهبة؟ "

أخبرتها آن ولم تتلق أي إجابة .

ولكن عندما خرجت، قالت لها السيّدة شميث بنظرة نصفها جاد ونصفها الآخر ذكي: "لا تنسي أن تأتي غداً. شيء ما يخبرني أنك لن تعودي قريباً.

# الفصل: 20

وكان السّير والتر و ابنتاه والسيّدة كلاي أوّل من وصلوا إلى الحفل، وجلسوا في انتظار اللّيدي دالريمف بجانب النار؛ ولم يكادوا يصلون حتى دخل الكابتن وينتورث .

كانت آن و اقفة عند الباب، فتقدمت إليه وقالت له مساء الخير. وبدأ يتحدّث معها على الرغم من نظرات والدها وأختها. ولم تستطع آن أن تراهما، ولكنها كانت تسمعهما يتهامسان، وعندما رأت وينتورث يلوح لها من بعيد، عرفت أن السّير والتر كان يريد أن يحيّيها تحيّة لطيفة. وبعد أن تحدث عن باث والحفل الموسيقي قال لها وهو يبتسم وقد احمر خجلاً قليلاً.

"بالكاد رأيتك منذ اليوم الذي قضيناه في لايم. أخشى أن تكوني قد عانيت من تلك العاطفة، لا سيما و أنك قد كتمتها ."

فأكدت له أنها لم تعاني.

"قال: (لقد كان وقتاً فظيعاً) ثم مرريده على عينيه كما لوكانت الذكرى لا تزال مؤلمة جداً، ولكنه سرعان ما أضاف مبتسماً: ولكن عو اقب ذلك اليوم لم تكن فظيعة. وعندما كان لديك من حضور الذهن ما جعلك تقترحين على بينويك أن يعثر على طبيب، لم يكن يخطر ببالك أنه هو الذي كان له الاهتمام الأكبر بشفاء لويزا.

-هذا أمر مؤكد. لكنني آمل أن يكون زواجاً سعيداً. كلاهما يتمتعان بمبادئ جيدة وشخصيّة قويّة .

-نعم، ولكن هنا ينتهي التشابه بينهما. أتمنى لهما السعادة من كل قلبي. لن يكون عليهما أن يتشاجرا ولن يكون بينهما نزوات أو معارضة أو تأخير. كل هذا أكثر بكثير من..." توقف .

"أعترف أنني أجد اختلافا كبيرا جدا في الروح بينهما. لويزا فتاة ودودة ولطيفة وذكية بما فيه الكفاية، ولكن بينويك أكثر من ذلك. إنه رجل مثقف، ذو عقل رقيق، وأعترف بأنني مندهش من اختياره. فلو كان قد فضلها وأحبها بدافع الامتنان لكان الأمر مختلفاً؛ ولكن يبدو لي على العكس من ذلك أن هناك تعلقاً مفاجئاً به، وهذا ما يدهشني. رجل مثله! قلب يكاد ينفطر! لقد كانت فاني هارفيل مخلوقاً راقياً، وقد أحبها حباً صادقاً. لا ينبغي للرجل أن يشفى، ولا يشفى من مثل هذا الحب لمثل هذه المرأة".

وتوقف مؤقتاً: لقد أحيت له ذكرى مفاجئة بعضاً من تلك العاطفة التي جعلت آن تحمر خجلاً وتبقي عينيها مغمضتين. عزّز صوته وواصل:

في لحظة واحدة، شعرت آن بألف إحساس من المتعة والارتباك. شعرت بقلبها ينبض بسرعة. وكان من المستحيل عليها أن تكمل، ولكنها شعرت بالحاجة إلى الكلام، فأخذت تلهو: "كم من الوقت كنت في لايم؟

-حوالي أسبوعين. لم أستطع المغادرة بينما كانت لويزا في خطر .

لقد كان لي نصيب كبير جداً في تلك المحنة من أن أترك وحدي.
لقد كان خطئي. ما كانت لتكون عنيدة جداً لو لم أكن ضعيفاً جداً. لقد استكشفت المنطقة المحيطة بـ لايم، وهي منطقة جميلة جدًا، وكلما رأيت المزيد، وجدت المزيد مما يثير إعجابي .
-أود أن أرى لايم مرة أخرى ."
- حقاً، لم أكن لأصدق ذلك. إن مشهد الخراب الذي كنت فيه والتعب وكبت الروح الذي عانيت منه كان يجب أن يثير اشمئزازك من لايم.
- لقد كانت الساعات القليلة الماضية مؤلمة بالتأكيد، ولكن ذكرى أحزان الماضي تصبح متعة، وهذه ليست الذكرى الوحيدة التي تركها لي لايم. لقد استمتعنا كثيراً هناك. لقد سافرت قليلاً لدرجة أن أي مكان جديد يثير اهتمامي. هناك جمال حقيقي في لايم. كل ما تبقى لي هو انطباعات ممتعة"، تقول وهي تحمر خجلاً قليلاً.
في تلك اللحظة انفتح الباب .
"اللّيدي دالريمف"، كانت صيحة الفرح، وتقدم السّير والتر و ابنته بلهفة للقائها. لقد انفصلت آن عن الكابتن وينتورث، لكنها علمت في عشر دقائق أكثر مما كانت تجرؤ على أن تأمله. لقد أخفت انفعالها وفرحها تحت تفاهات الحديث. كانت تشعر بالأدب واللطف، ومستعدة للإشفاق على كل من لم يكن سعيداً مثلها.

دخلنا قاعة الحفل. وكانت إليزابيث، وهي ممسكة بذراع الآنسة كارتريت، تنظر إلى ظهر الأرملة الفيكونتيسة الأرملة دالريمف العريض، وبدت في قمة سعادتها .

و آن؟ ولكن سيكون من الإهانة لسعادتها أن نقارنها بسعادة أختها .

كانت إحداهما متجذرة في الغرور الأناني، والأخرى في التعلق النبيل.

لم تستطع آن رؤية أي شيء حولها. كانت سعادتها داخل نفسها. كانت عيناها تلمعان، وخداها يحترقان، لكنها لم تكن تعرف شيئًا عن ذلك. كل ما كانت تفكر فيه هو النصف ساعة الماضية. لم تترك تعابير القبطان، والموضوع الذي اختاره، بل والأكثر من ذلك هواءه ونظراته، لم تترك لآن مجالاً للشك.

إن دهشته من بينويك، و أفكاره عن المودة الأولى، والجمل التي لم يستطع أن ينهيها، وعينيه اللتين كانتا تبتعدان: كلّ شيء كان يخبر آن أن هذا القلب قد عاد إليه أخيراً، وأن الغضب والاستياء لم يعودا موجودين، وأنهما قد حلّ محلّهما الحنان القديم .

أجل، لقد أحبّها؛ هذه الأفكار والصّور التي أوحت بها استحوذت عليه تماماً.

وعندما جلس الجميع، بحثت عن وينتورث لكنها لم تره، وبدأ الحفل الموسيقي. كان السيّد إليوت قد رتب للجلوس بجانب آن. وكانت الآنسة إليوت تجلس بين ابني عمها وموضع اهتمام الكولونيل و اليس وكانت

مسرورة جداً. وكانت آن في مزاج يسمح لها بالاستمتاع بالموسيقى، وكانت تشرح للسيّد إليوت خلال الاستراحة كلمات أغنية إيطالية. قالت: "هذا عن المعنى، لأنّ أغنية الحب يصعب ترجمتها، و أنا لست مثقفة بما فيه الكفاية."

- نعم، أستطيع أن أرى أنك لا تعرفين شيئًا، أنت فقط تترجمين بأمانة و أناقة هذه التقلبات والغموض في اللغة الإيطالية. لا تتحدثي عن جهلك بعد الآن، هنا هو الدليل الكامل.

-إنني أقبل ثناءك على سبيل المجاملة، ولكني لا أريد أن أتعرض لامتحان جدّي .

- أنا لم اكن في كامبين بليس منذ فترة طويلة دون ان تعجبني الآنسة آن اليوت. إنها أكثر تواضعا من أن يعرف العالم نصف كمالاتها، وفي أي امرأة أخرى سيكون هذا التواضع غير طبيعي.

-أرجوك توقف: هذا إطراء أكثر من اللازم. قالت وهي تنظر إلى البرنامج: "ماذا سنلعب الآن؟

" -قال السيّد إليوت وهو يخفض صوته: "ربما كنت أعرفك أكثر مما تعتقدين .

-حقاً! كيف يمكن ذلك؟ لا يمكن أن تكون قد عرفتني منذ أن جئت إلى باث .

- لقد عرفتك عن طريق الإشاعات قبل ذلك بوقت طويل. لقد تم وصفك لي، شخصك وذوقك ومواهبك كلها حاضرة في ذهني".

لم يكن السيّد إليوت مخطئاً في أمله في إثارة اهتمام آن. فثمة سحر غامض لا يقاوم في أن تكون معروفة لفترة طويلة دون أن تعرفه. لقد استجوبته، لكن دون جدوى. كان سعيداً باستجوابه، لكنه لم يشأ أن يقول شيئاً .

"لا، لا، ربما في وقت لاحق، ولكن ليس الآن .

قالت آن لنفسها إنه لا يمكن أن يكون السيّد وينتورث شقيق القبطان هو الذي ذكرها.

وأضاف: "لطالما اهتممت باسم آن إليوت منذ زمن طويل، ولو كنت أجرؤ على ذلك لأعربت عن رغبتي في ألا تغيّره أبداً ."

وفجأة لفت انتباهه صوت آخر .

كان والده يتحدث مع اللّيدي دالريمف .

قال: "إنه رجل وسيم جداً ."

-نعم"، قالت اللّيدي دالريمف. يبدو أفضل بكثير من الناس الذين تراهم عادة في باث .

أليس هو ايرلندي؟

-اسمه وينتورث، قبطان بحري .

شقيقته هي زوجة السيّد كروفت نزيلتي

في كيلينش، في مقاطعة سومرست .
تتبعت آن اتجاه نظرات والدها فرأت القبطان و اقفاً وسط مجموعة من الناس. وعندما التقت عيناهما بدا لها أنه كان ينظر بعيداً .
ولكن الموسيقى بدأت مرة أخرى، فاضطرت إلى أن تولها انتباهها. وعندما نظرت مرة أخرى، كان قد رحل.
وعندما انتهى الجزء الأول من الحفل، اقترح البعض أن نذهب لتناول الشاي. وبقيت آن جالسة إلى جانب اللّيدي راسل، وارتاحت من السيّد إليوت. وكانت مصممة على التحدث إلى وينتورث إذا ما صادف أن جاء إليها، على الرغم من وجود اللّيدي راسل التي رأته بالتأكيد. امتلأت الغرفة مرة أخرى، وكان على آن أن تستمع إلى ساعة طويلة من الموسيقى. وكانت مضطربة جداً، ولم تستطع أن ترتاح حتى تبادلت معه نظرة ودية.
وتعمدت أن تجلس في نهاية المقعد، وبجانبها مقعد فارغ .
وسرعان ما اقترب وينتورث ولكن بتردد، وبدا عليها الحزن؛ وكان التغيير لافتاً للنظر. ظنت أنه ربما يكون والدها أو السيّدة راسل قد آذاه...
وتحدث عن الحفل، وقال إنه كان يأمل في غناء أفضل، و إنه لن يتأسف لانتهاء الحفل. ولكنها دافعت عن المغنين دفاعاً حسناً، مع مراعاة رأي الكابتن بطريقة ساحرة، فأجابها بابتسامة وأشرق وجهه .

ثم بدا بعد ذلك أكثر ارتياحاً، بل إنه ألقى نظرة على المقعد ليأخذ مكانه بجانب آن. وفي تلك اللحظة شعرت بلمسة على كتفها، وكان السيّد إليوت يطلب منها أن تشرح لها اللغة الإيطالية مرة أخرى. أرادت الآنسة كارتريت أن تفهم ما كان يُغنى.

و لم يكن بوسع آن أن ترفض، ولكنها لم تقدم تضحية أكبر من هذه التضحية في سبيل الأدب .

وعندما عادت إلى القبطان، ودّعها على عجل .

قالت آن، وقد تحركت فجأة لتشجيع وينتورث: "ألا تستحق تلك الأغنية أن تبقى من أجلها؟

- لا"، قالها بنبرة منفردة. لا شيء يستحق البقاء هنا. وغادر.

لذلك كان يغار من السيّد إليوت. كان هذا هو السبب الوحيد المعقول هل كانت لتصدّق ذلك قبل ثلاث ساعات؟ لقد كانت لحظة بهجة رائعة ولكن، للأسف، كم كانت الأفكار التي أعقبت ذلك مختلفة! كيف يمكن تهدئة هذه الغيرة؟ كيف أمكنه أن يعرف مشاعر آن الحقيقية؟ لقد أذاقها السيّد إليوت معاناة رهيبة في ذلك المساء.

# الفصل: 21

وفي اليوم التالي تذكرت آن بسروروعدها للسيّدة شميث. كانت ستكون بعيدة عندما يأتي السيّد إليوت، لأن تجنبها له كان رغبتها الوحيدة الآن. ولكنها كانت تشعر بعطف كبير تجاهه، وكانت تدين له بالامتنان والتقدير .

أما وينتورث فقد كان لها وحدها، سواء اتّحدت به أو انفصلت عنه إلى الأبد، ولم يكن لها من أمرها إلاّ أن تكون وحدها. وربّما لم تمتلئ شوارع باث من قبل بمثل هذه الأحلام في الحبّ.

في ذلك الصباح، بدت صديقتها ممتنة بشكل خاص، حيث أنها لم تكن تتوقّع زيارتها. وسألت عن التفاصيل، وكانت آن سعيدة بإخبارها بكل شيء عن الأمسية. كانت ملامحها مفعمة بالحيويّة بسبب الذكرى. ولكن هذا لم يكن كافياً بالنسبة للسيّدة شميث الفضولية، التي طلبت تفاصيل محددة عن الناس.

"كان آل دوراند[97] الصغارهناك، و أفواههم مفتوحة لالتهام الموسيقى، مثل العصافيرالتي تطلب أن تنقرها. لم يفوتوا أي حفل موسيقي .

-لم أرهم. لكني سمعت أنهم كانوا في القاعة

[97] Durand

- والسيّدة العجوز ماكلين[98]؟ لابد أنها كانت بالقرب منك، لأنك بالتأكيد كنت في مقاعد الشرف، بالقرب من الأوركسترا، مع السيّدة "دالريمف"؟

-لا، هذا ما كنت أخشاه، ولكن لحسن الحظ أن اللّيدي دالريمف تحاول دائماً أن تكون بعيدة قدر الإمكان، ولا يبدو أنني رأيت الكثير .

- أوه، ما يكفي لتسليتك على ما أعتقد، وكان لديك أشياء أفضل للقيام بها. أستطيع أن أرى في عينيك أنك قضيت أمسية ممتعة. هل تحدثت خلال الاستراحات؟

ابتسمت آن قائلة: "ماذا ترى في عيني؟

-إن وجهك يخبرني أنك كنت بالأمس مع أكثر شخص تجدينه محبوباً من بين كل الناس، والذي يثير اهتمامك أكثر من الكون كله ."

انتشر احمرار خجل على وجنتي آن، ولم تستطع الإجابة.

وبما أن الأمر كذلك"، تابعت السيّدة شميث بعد صمت، "ستعرفين كم أقدر زيارتك. إنّه حقًا أمر جيد جدًا منك، أنتِ التي لديك الكثير من الدعوات الأخرى ".

أصاب تغلغل السيّدة "شميث" آن بالدهشة والارتباك؛ فلم تستطع أن تتخيل كيف عرفت أي شيء عن "وينتورث".

[98] Maclean

"وتابعت السيّدة شميث: "أخبريني" هل يعرف السيّد إليوت أنني في باث، و أنك تعرفينني؟

-السيّد إليوت!" قالت آن في دهشة، لكنها استردت نفسها في الحال، وأضافت غير مبالية: "هل تعرفينه؟

-لقد عرفته ذات مرة"، قالت السيّدة سميث في وقار: "لكن ذلك انتهى الآن

.- أنت لم تخبريني قط! لو فعلت، لكان من دواعي سروري أن أخبره عنك..

-في الحقيقة، قالت السيّدة سميث، وهي تستعيد هواءها المبتهج: "هذا بالضبط ما أتوسل إليك أن تسعديني به. ان السيّد اليوت يمكن أن يكون مفيدا جدا لي، واذا كان لديك الخير، عزيزتي الآنسة اليوت، لتبنّي قضيتي، فسوف تفوزين بها .

- فأجابت آن: أرجو ألا تشك في رغبتي في أن أكون مفيدة لك، ولكنك تفترضين أن لي نفوذاً أكثر مما لي. أنا قريبة للسيّد إليوت، وعلى هذا النحو فقط، لا ترددي في استخدامي.

نظرت إليها السيّدة شميث نظرة ثاقبة ثم قالت مبتسمة: "يبدو أنني كنت متسرعة بعض الشيء .

سامحيني، كان يجب أن أنتظر بيانا رسمياً. ولكن، عزيزتي الآنسة إليوت، أخبريني، كما تفعلين مع صديق قديم، متى سأتمكّن من الكلام.

هل سيسمح لي، في الأسبوع القادم، أنا أعتقد أنّ كل شيء قد حسم، وأن أبني خططي الأنانية على سعادة السيّد اليوت؟

-لا"، أجابت آن، "ليس الأسبوع المقبل، ولا أي أسبوع بعد ذلك. لا شيء مما تعتقدين أنه سيحدث. لا يجب أن أتزوج السيّد إليوت. من الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟ "

فنظرت إليها السيّدة شميث بتمعن ثم ابتسمت وهزت رأسها وقالت: "أعتقد أنك لن تكوني قاسية عندما يحين الوقت. حتى ذلك الحين، نحن النساء لا نريد أن نعترف بأي شيء. من المفترض أن يرفض أي رجل لم يطلب منا ذلك. دعيني أتوسل لصديقي القديم أين ستجدين زوجاً أكثر شهامة من هذا الزوج، رجل أكثر وداً؟ دعيني أوصي بالسيّد إليوت آن متأكدة من أنّ الكولونيل واليس قد أثنى عليه كثيرا، ومن يعرفه أفضل من الكولونيل واليس؟

-عزيزتي السيّدة سميث، لم يمر عام على وفاة السيّدة إليوت افتراضك غير مقبول.

- أوه، إذا كانت هذه اعتراضاتك الوحيدة"، قالت السيّدة شميث بخبث: "السيّد إليوت في أمان، وآن لا أهتم به بعد الآن. لا تنسيني عندما تتزوجين:

هذا كل ما في الأمر أخبريه بأني صديقتك، وسيجبرني على ذلك بسهولة أكثر مما يفعل الآن. آمل يا عزيزتي آنسة اليوت أن تكوني سعيدة جداً

السيّد اليوت لديه الحس الكافي ليقدر قيمة امرأة مثلكِ .سعادتك لن تتحطم مثل سعادتي أنتِ تملكين الثروة وتعرفين شخصية خطيبك لن يجره الآخرون إلى خرابه.

-قالت آن: "نعم، أستطيع أن أصدق كل الأشياء الجيدة عن ابن عمي. تبدو شخصيته حازمة، وأكنّ له احتراماً كبيراً .

لكني لم أعرفه منذ فترة طويلة، وهو ليس رجلاً يمكن التعرف عليه بسرعة .

ألا تفهمين أنه لا يعني لي شيئاً؟ لو طلب يدي لرفضت. أؤكد لك أنّ السيّد اليوت لم يكن له علاقة بالمتعة التي حظيت بها الليلة الماضية. لم يكن السيّد اليوت هو من..."

فتوقفت وخجلت خجلاً عميقاً، وندمت على أنها قالت الكثير. ثم أرادت أن تعرف لماذا تخيلت السيّدة شميث أنها ستتزوج من السيّد إليوت وهي غير صبورة على المزيد من الملاحظات.

"أولاً، لأنني رأيتكما معًا كثيرًا. اعتقدت مثل الجميع أن والديك وأصدقاءك أرادوا هذا الزواج .

لكنني لم أسمع به إلا منذ يومين فقط .

-حقا، لقد كان هناك حديث...

- هل نظرت إلى المرأة التي عرفتكما على بعضكما ليلة أمس؟ لقد كانت الحارسة السيّدة روك، التي، بالمناسبة، كانت متشوقة جداً لرؤيتك

وسعيدة جداً لوجودك هناك. هي من أخبرتني أنك ستتزوجين السيّد إليوت.

-لم تستطع آن تقول الكثير عن الضوضاء التي لا أساس لها من الصحة ."

لم ترد السيّدة شميث .

"هل أخبر السيّد "إليوت" أنك في "باث"؟

-لا، بالطبع لا. شكراً لكِ، لا تهتمي بي

- قلت أنك تعرفين السيّد إليوت منذ وقت طويل؟

-.نعم .ليس قبل أن يتزوج، بالتأكيد؟

-لم يكن متزوجاً عندما قابلته .

-وكنتِ قريبة جداً منه؟

-بشكل حميم .

-حقاً! إذاً أخبريني كيف كان في ذلك الوقت: أنا فضولية لمعرفة ذلك. هل كان كما هو اليوم؟

-أنا لم أره منذ ثلاث سنوات"، أجابت السيّدة شميث بصوت عميق لدرجة أنه كان من المستحيل الاستمرار في الموضوع .

ازداد فضول آن. ظل كلاهما صامتين؛ وأخيراً قالت السيّدة شميث:

"أستسمحك عذراً عزيزتي الآنسة إليوت، ولكني لم أكن متأكدة ممّا يجب أن أفعله، وقد قرّرت أن أعلمك بحقيقة شخصيّة السيّد إليوت.

أعتقد الآن بأنك لا تنوين القبول به. ولكن لا أحد يعلم ما قد يحدث؛ فقد تفكرين يوما ما بشكل مختلف. اسمعي الحقيقة:

"إن السيّد إليوت رجل بلا قلب أو ضمير؛ رجل حذر، ماكر، بارد، لا يفكر إلّا في نفسه، قد يرتكب القسوة أو الخيانة من أجل رفاهيته أو مصلحته إذا لم يجد في ذلك أيّ خطر. إنه قادر على التخلّي عن أولئك الذين قادهم إلى الهلاك دون أدنى تأنيب ضمير. ليس لديه أيّ إحساس بالعدالة أو الشفقة. أوه، ليس له قلب، وروحه سوداء .

توقفت، بعد أن رأت تعبيرات آن المندهشة، وأضافت بنبرة أكثر هدوءًا:

"لقد فاجأتك تعابيري؛ فعليك أن تأخذي دور المرأة الغاضبة التي لا ترضى عن سوء المعاملة، ولكنّي سأحاول أن أسيطر على نفسي. لا أريد أن أنتقده. سأخبرك فقط بما كان عليه بالنسبة لي .

"لقد كان قبل زواجي الصديق الحميم لزوجي العزيز الذي كان يعتبره صديقاً حميماً لي كما كان يعتبره هو نفسه. أنا أيضا أحببت السيّد إليوت كثيرا، وكنت أقدره كثيرا. فالشباب في التاسعة عشرة من العمر لا يعقلون كثيراً. وكنا نعيش في أريحية تامة: أما هو فقد كان أقلّ منّا ثراء، وكان يعيش في المعبد، وكان بالكاد يستطيع أن يعيل من رتبته.

ولكن منزلنا كان منزله، وكان مرحباً به فيه، وكنا ننظر إليه كأخ لنا. وكان هنري المسكين، الذي كان يتمتّع بأجمل وأكرم روح، يتقاسم معه كلّ قرش، و أنا أعلم أنه كثيراً ما كان يأتي لمساعدته .

- قالت آن: "لا بد أنه كان في ذلك الوقت قد تعرّف على أبي وأختي. ولم أفهم قط سلوكه معهما أو زواجهما؛ ولا يكاد يتناسب مع ما يبدو عليه اليوم.

" -أنا أعرف كل شيء!" صاحت السيّدة شميث. لقد تعرف إلى السّير والترقبل أن أعرفه، ولكنّه كان يتحدّث عنه كثيراً. أعلم أنّه رفض كلّ ما تقدّم به إليه. كما أعرف كل شيء عن زواجه. زوجته كانت ذات مكانة متدنية؛ عرفتها في السّنتين الأخيرتين من حياتها .

-قيل لي إنه لم يكن زواجًا سعيدًا". لكني أود أن أعرف لماذا رفض عرض والدي .

- وتابعت السيّدة سميث: "كان السيّد إليوت في ذلك الحين يرغب في تكوين ثروة سريعة عن طريق الزواج من ثرية. ولم يكن يخفي عني أي سر، فقد أخبرني بذلك، وكثيراً ما كان يحدّثني عن أبيك وأختك .

-قالت آن وقد راودتها فكرة مفاجئة: "ربما، "ربما كنتِ تحدّثينه عنّي أحيانا؟

-في كثير من الأحيان: كنت أتباهى بأنني أعرف عزيزتي آن، وكنت أقول إنك لا تشبهين كثيراً " ...و توقفت فجأة.

"هذا يفسر ما قاله لي السيّد إليوت الليلة الماضية. لم أفهم كلمة منه. ولكنني قاطعتك: إذن فقد تزوج السيّد إليوت من أجل المال؟ وربما هذا ما فتح عينيك على شخصيته؟ "

ترددت السيّدة شميث: "أوه، إن هذه الأشياء شائعة جداً بحيث لا يمكن أن تصدم الكثير من الناس. لقد كنت شابة جداً و مرحة وخالية من الهموم. لم أكن أفكر في شيء سوى المتعة. ولكن المرض والحزن أعطياني أفكاراً أخرى .

ولكني لم أرشيئاً خاطئاً فيما كان يفعله السيّد إليوت.

.بدا لي البحث عن ممتلكاته قبل كلّ شيء طبيعيًا بالنسبة لي .

-لكن ألم تكن زوجته ذات مكانة متدنية؟

- أجل، كان هذا اعتراضي لكنه لم يستمع لي. المال كان كل ما أراده. والدها كان زجّاجًا، وجدها جزّارًا. لكنّها كانت جميلة، ومتعلّمة، و أبناء عمها قد ربوها في المجتمع.

وبالصدفة قابلت إليوت ووقعت في حبه. أراد فقط أن يتأكد من ثروتها. لم يكن يعلق نفس الأهمية على رتبته كما يفعل اليوم .

سيأتي إليه كيلينش يوماً ما، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يهتم كثيراً بشرف العائلة. وكثيراً ما سمعته يقول إنه إذا اشترى بارونية فإنه يبيعها بألف فرنك، بما في ذلك شعار النبالة والشعار والاسم والكسوة. ولكن سيكون من الخطأ أن أسرد كل ما قاله في هذا الموضوع، ومع ذلك يجب أن أعطيك دليلاً على ذلك.

-لا أحتاج إلى ذلك: ما أخبرتني به يتناسب تمامًا مع كل شيء آخر سمعناه. أنا فضولية لمعرفة لماذا هو مختلف جدا الآن؟

- من أجل إرضائي، ابقي، وكوني لطيفة بما فيه الكفاية لتذهبي وتأخذي من غرفتي صندوقًا صغيرًا مرصعًا ستجدينه على رف الخزانة".

ففعلت آن ما أرادت صديقتها، ووضعت الصندوق أمام السيّدة شميث. تنهدت وهي تفتحه وقالت: "إنه مليء برسائل من السيّد إليوت إلى زوجي. إنني أبحث عن رسالة كتبت قبل أن أتزوج، وقد صادف أن تكون محفوظة. ها هي ذا، لم أحرقها لأني لم أكن راضية عن السيّد إليوت فأردت أن أحتفظ بدليل على علاقتنا الحميمة السّابقة:

"عزيزي سميث، لقد تلقيت رسالتك. إن لطفك يغمرني. كنت أتمنى لو أن قلوباً مثل قلبك أقل ندرة؛ ولكنني عشت ثلاثاً وعشرين سنة في هذا العالم ولم أرمثلها. لست بحاجة إلى المال في الوقت الحالي. هنئيني: لقد تخلصت من السيروالترو ابنته. لقد عادا إلى كيلينش، وكادا أن يجعلاني أقسم بأنني سأزورهما هذا الصيف. لكن عندما أذهب، سيكون ذلك مع شخص آخر مساح، لمعرفة أفضل طريقة لاستخدام العقار. قد يتزوج البارون مرة أخرى، فهو مجنون بما فيه الكفاية لذلك .

"إذا فعل ذلك، سيتركني في سلام، وهذا تعويض عن الميراث .

"أتمنى لو كان لديّ اسم آخر غير "إليوت لقد سئمت منه. لحسن الحظ أنني أستطيع أن أترك اسم والتر، و أتمنى ألا ترميه في وجهي أبداً، و أتمنى أن أقول لبقية حياتي.

"المخلص ويليام إليوت."

لم تستطع آن أن تقرأ هذه الرسالة دون أن تحمرّ خجلاً، وقد قالت السيّدة شميث عندما رأتها: "إن التعابير صفيقة إلى حد ما. إنها ترسم صورة للرجل. هل يمكن أن يكون أيّ شيء أكثروضوحًا؟

لقد استغرقت آن بعض الوقت لتتعافى من الاضطراب والإهانة التي تعرضت لها .

واضطرت أن تقول لنفسها، قبل أن تستعيد من رباطة الجأش اللازمة، أن هذه القراءة كانت انتهاكاً لسرية الرسالة، و أنه لا ينبغي الحكم على أحد بناء على مثل هذه الشهادة.

شكراً لك". هذا هو الدليل الكامل على ما أخبرتني به. ولكن لماذا ترتبطين بنا الآن؟

- لقد أريتك ما كان عليه السيّد إليوت قبل اثني عشر عاماً، وسأريك ما هو عليه الآن. لا يمكنني أن أعطيك دليلاً مكتوباً، ولكن يمكنني أن أعطيك شهادة شفهية حقيقية. إنه يريد حقاً الزواج بكِ، نو اياه صادقة جدا. مرجعي في هذا هو الكولونيل واليس.

-هل تعرفينه؟

-لا، لا أعرفه بشكل مباشر، لكن المصدر ليس أقل جودة. إنّ السيّد إليوت يتحدّث بصراحة عن خططه للزواج إلى الكولونيل واليس، الذي يبدو لي شخصية عاقلة وحكيمة ودقيقة الملاحظة .

ولكن لديه زوجة جميلة وغبية جداً، يخبرها بكل ما يفعله، وهي تكرر كل شيء لحارسها الذي يردد كل شيء على مسامعي، والذي يرددها لي أيضاً.

-عزيزتي السيّدة سميث، سلطتك مخطئة. أفكار السيّد اليوت عني لا تفسّر بأيّ شكل من الأشكال جهوده للصلح مع والدي. لقد كان على علاقة ودية عندما أتيت إلى باث...

-نعم، أعلم ذلك، ولكن اسمعيني فقط: ستتمكنين بعد قليل من الحكم على تصديق ذلك أو تكذيبه، وذلك بالاستماع إلى بعض التفاصيل التي يمكن أن تنقضها أو تؤكدها في الحال .

لقد كان قد رآك وأعجب بك قبل ذهابه إلى باث دون أن يعرفك، فهل هذا صحيح؟

-نعم، رأيته في لايم

- صحيح، جيّدة النقطة الأولى وصحيحة، لذا امنحي صديقي بعض الفضل. لقد رآك في لايم، وأعجب بك كثيرا لدرجة أنه كان مسرورا جدا عندما وجدك في كامبين بلايس[99]، تحت اسم الآنسة آن اليوت. منذ ذلك الحين، كان لزياراته دافع مزدوج. يقول مؤرّخي إن صديقة أختك كانت في باث منذ بداية شهر سبتمبر؛ وإنها امرأة داهية ماكرة؛ وهي امرأة جميلة وفقيرة و... ولا بد أنها تتمنى أن تدعى الآنسة إليوت؛ ويتساءل المرء بدهشة لماذا لا يبدو أن الآنسة إليوت لا ترى الخطر".

[99] Camben-Place

وهنا توقفت السيّدة شميث للحظة؛ ولكن آن بقيت صامتة، ثم واصلت حديثها :

"أولئك الذين يعرفون العائلة رأوا الأمور على هذا النحو قبل وصولك بوقت طويل. كان الكولونيل واليس، وهو صديق للسيّد إليوت، ير اقب والدك وكان يدرس باهتمام ما يجري هنا؛ وقد أخبر السيّد إليوت عن القيل والقال .

لقد غير السيّد إليوت رأيه تماماً بشأن الرتبة والصلات، والآن وقد أصبح غنياً فقد اعتاد أن يريح سعادته على بارونته المستقبلية.

لا يستطيع تحمّل فكرة عدم كونه السّير والتر. ولعلّك تخمنين أن الأخبار التي جاء بها صديقه لم تكن مريحة له. فعزم على أن يتخذ من باث مقراً لإقامته وأن يصادق العائلة ليتأكد من الخطر ويتحايل على السيّدة إذا لزم الأمر، ووعده الكولونيل بمساعدته. كان غرض السيّد إليوت الوحيد في البداية هو دراسة السيّدة كلاي والسّير والتر، ثم أضاف وصولك دافعاً آخر. لكن لا داعي للخوض في التفاصيل، ولعلك تتذكرين ما حدث بعد ذلك.

- قالت آن: نعم، إنّ ما تخبريني به يتّفق مع ما رأيته. هناك دائماً شيء مهين في المكر، ومناورات الأنانية والازدواجية مقززة؛ ولكن لم يفاجئني شيء مما سمعت، وكنت دائماً أفترض أن هناك دافعاً خفياً في سلوكه. أود أن أعرف ما هو رأيه في احتمال وقوع الحدث الذي يخشاه.

- وهو يظن أن السيّدة كلاي تعرف أنه يرى لعبتها، وأنها تخافه، وأن وجوده يمنعها من التصرف كما تشاء. ولكنه سيغادر عاجلا أو آجلا، ولا أرى كيف يمكن أن يكون في سلام طالما أنها تحتفظ بنفوذها. السيّدة واليس لديها فكرة مسلية بأن تضع في عقد زواجك من السيّد اليوت بأن والدك لن يتزوج من السيّدة كلاي. هذا لن يمنعه، تقول السيّدة روك، من الزواج من شخص آخر.

- وأنا سعيد جداً بمعرفة كل هذا؛ وقد يكون من الصعب عليَّ أن أكون معه، ولكني سأعرف كيف أتصرف بشكل أفضل. إن السيّد إليوت رجل دنيوي وماكر بلا ريب، ومبدأه الوحيد الذي يوجهه هو الأنانية.

ولكن السيّدة شميث لم تكن قد انتهت من أمر مستر إليوت، فقد كان قد قاد زوجها إلى خرابه؛ واستطاعت آن أن تقنع نفسها بأن مستر شميث كان ذا قلب محب ومزاج سهل غير مبالٍ وذكاء متواضع جداً؛ وأن صديقه كان مسيطراً عليه وربما احتقره. وكان السيّد إليوت الآن ثرياً هو نفسه، ولم يكن السيّد إليوت يهتم كثيراً بمشاكل صديقه المالية، وقد مات في الوقت المناسب حتى لا يعلم بخرابه. ولكنهما كآن في ورطة كافية ليعرف أن السيّد إليوت لا يمكن الاعتماد عليه.

غير أن السيّد شميث، بدافع من الثقة التي تشرف قلبه أكثر مما تشرف حكمه، عينه منفذاً لوصيته؛ فرفض ذلك على الرغم من توسلات السيّدة شميث، لأنه لم يكن يريد أن يتورط في مشاحنات لا طائل من

ورائها. بالنسبة لآن، كان هذا الجحود بمثابة جريمة. لقد استمعت إلى القصة، وفهمت أن ذلك كان مصدر ارتياح لصديقتها، ولم تستغرب سوى هدوئها المعتاد. فقد كانت السيّدة شميث عند علمها بزواج آن تأمل في الحصول على معروف من السيّد إليوت عن طريقها. وكان ذلك من أجل استرداد عقار في جزر الهند، كان دخله تحت الحجز؛ وقد اضطرت إلى التخلي عن هذا الأمل.

ولم يسع آن إلا أن تتعجب من حديث السيّدة شميث في البداية عن السيّد إليوت بهذا القدر من الاستحسان .

فأجابت: يا عزيزتي، لقد كنت أعتبر زواجك مؤكداً، ولم أستطع أن أخبرك بحقيقة الأمر؛ ولكن قلبي كان يتألم عندما تحدثت إليك عن السعادة. ومع ذلك فإن السيّد إليوت يتمتع بمميزات لا ينبغي أن ييأس مع امرأة مثلك. لقد كانت زوجته الأولى تعيسة، ولكنها كانت جاهلة وحمقاء، ولم يكن يحبها أبداً. تمنّيت من أعماقي أن يكون الأمر مختلفا معك. ارتجفت آن من التفكير فيما كانت ستعانيه لا قدّر الله. هل كان من الممكن أن تكون قد و افقت على أن تصبح اللّيدي إليوت؟ و أيهما كان يمكن أن يكون أكثر بؤساً، و الزمن سيكشف كل شيء، ولكن بعد فوات الأوان.

# الفصل: 22

وكانت تشعر بالارتياح لقدرتها على أن تحكم على السيّد إليوت بحرية، وأنها لم تعد تدين له بأي صداقة. وكانت قلقة من حزن اللّيدي راسل وخيبة أملها، ولكنها اضطرت أن تخبره بكل شيء وتنتظر بهدوء الخطوة التالية. وعندما وصلت إلى منزلها علمت أن السيّد إليوت قد حضر، ولكنّه سيعود في المساء .

قالت إليز ابيث بهيئة حاولت أن تجعلها غير مبالية: (لم أكن أفكر في دعوته) ولكنه كان متلهفاً جداً على المجيء، أو هكذا قالت السيّدة كلاي .

- نعم، بالفعل"، قالت السيّدة كلاي: "لم أره يطلب الدعوة بهذه الجدية. لقد شعرت حقاً بالأسف عليه، لأنّ أختك قاسية ويبدو أنها مصمّمة على أن تكون قاسية .

-وبكت إليز ابيث قائلة: "لقد اعتدت على هذه الأشياء حتى لا أتأثر .

ولكن عندما رأيت مدى ندمه على عدم مقابلة أبي، استسلمت، كلاهما يبدوان في أفضل حالاتهما عندما يكونان معاً. أخلاقهما مثالية جدا؛ والسيّد اليوت محترم جدا!

-هذا جميل"، قالت السيّدة كلاي وهي لا تجرؤ على النظر إلى آن. انهم مثل الأب و ابنه عزيزتي آنسة اليوت، ألا يمكنني قول ذلك؟

-أوه، أنا أترك لكل شخص أن يقول ما يحلو له؛ إذا كان هذا ما تريدين أن تفكري به! ولكن يبدو لي أن اهتمامها مثل اهتمام الجميع .

-عزيزتي الآنسة إليوت!" قالت السيّدة كلاي وهي ترفع يديها وعينيها إلى السماء، وتؤثر الصمت المدروس .

-عزيزتي بينلوبي[100]، لا تنزعجي .

لقد دعوته للدخول، ثم صرفته بابتسامة: لقد شعرت بالأسف عليه ."

وقد أعجبت آن بمراوغة السيّدة كلاي، التي بدت وكأنها تنتظر بسرور شديد أن يحبط أحد ما خططها. كان من المستحيل أن لا تكره السيّد إليوت، ومع ذلك كان عليها أن تتظاهر بالهدوء والامتثال وتظهر نفسها راضية بأن تكون مجرد صديقة للسير والتر، في حين أنها كانت تود أن تكون شيئاً آخر.

كانت آن تشعر بالحرج الشديد عندما رأت السيّد إليوت. أما الآن وقد رأت زيفه بوضوح، فقد كان احترامه للسير والتر وملاطفته بغيضة؛ وإذ كانت تفكر في سلوكه مع السيّد شميث لم تكن تستطيع أن تتحمل ابتساماته ومظهره اللطيف وتعبيره عن مشاعره المصطنعة. ولم تكن تريد أي تفسيرات أو قطيعة، بل أرادت أن تكون باردة بقدر ما تسمح به القرابة. وكانت سعيدة لسماعها أنه سيغادر باث لمدة يومين.

وفي اليوم التالي أعلنت آن عن نيتها قضاء الصباح مع السيّدة راسل .

---

[100] Pénélope

حسنا جدا، قالت اليزابيث، "أبلغيها تحياتي، هذا كل ما لدي لأقوله لها .

أعيدي لها الكتاب المملّ الذي أرادت أن تعيرني إياه لا يمكنني أن أشعر بالملل من قراءة كل القصائد والإحصائيات التي تظهر. السيّدة راسل لا تطاق مع منشوراتها الجديدة. أعتقد أنها بدت مروعة الليلة الماضية، ولكن لا داعي لتقولي لها ذلك. لقد ظننت أن لديها ذوقاً قليلاً، وكنت أخجل منها. مظهرها الرسمي المتأنق وجامدة جداً أبلغيها أطيب تحياتي، هذا غني عن القول.

-و أنا أيضاً"، أضاف السير والتر: "يمكنك أن تقولي إنني أنوي الذهاب لرؤيتها قريباً. كوني مهذبة. و لكنّني سأترك بطاقتي فقط - لا يجب أن تزور النساء العجائز في الصباح. إذا كانت ترتدي اللون الأحمر فقط، فلن تخاف من أن يراها أحد. في المرة الأخيرة التي ذهبتُ فيها إلى هناك، أُسدلت الستائر على الفور ".

وبينما كان يتكلم، دقّ الباب، ودُعي السيّد والسيّدة تشارلز ماسجروف للدخول. كانت المفاجأة كبيرة: لكن آن وحدها كانت مسرورة؛ أما الآخرون فكانوا غير مبالين.

غير أنه ما إن اتضح أنهما لا ينويان الاستقرار في المنزل، حتى أصبح السير والتر وإليزابيث أكثر وداً وتشرفا بخدمة المنزل. قادت إليزابيث ماري إلى غرفة رسم أخرى للإعجاب بروعتها .

وعلمت آن التي بقيت وحدها مع تشارلز أن هينريتا وبنويك قادمان. هكذا تقرر الأمر. كان لدى بينويك عمل في باث وعرض تشارلز الذهاب معه، لكن ماري لم تتحمل فكرة أن تكون وحدها وأرجأت الأمر برمته .
ولحسن الحظ، قررت والدة السيّدة ماسجروف أن تأتي إلى باث مع هينريتا لشراء ملابس الزفاف لابنتيها، وأخذت ماري معها.
وعلمت آن أن تشارلز هايتر قد حصل على علاج مؤقت، وأن العائلتين قد و افقتا على زواج ولديهما .
قالت آن: "أنا سعيدة جدًا لسماع أن الأختين اللتين تحبّان بعضهما البعض حبًا جمًا هما متساويتان في الفضل .
أتمنى أن يكون والدك ووالدتك سعيدين للغاية.
-يود والدي أن يكون صهره المستقبلي أكثر ثراءً، ولكن هذا هو عيبهم الوحيد. إن تزويج ابنتين في نفس الوقت ليس عملية مالية ممتعة للغاية؛ فهو يقلل من موارد والدي بشكل منفرد. أنا لا أقول إن أخو اتي لا يحق لهن ذلك: لطالما كان والدي متحرراً جداً تجاهي. لكن ماري لا تو افق على زواج هينريتا إلا نصف مو افقة: فهي لا تنصف هايتر، ولا تفكر بما فيه الكفاية في وينثروب. لا استطيع ان اقنعها بقبول قيمة الملكية .

انه زواج له مستقبل لقد أحببت تشارلز دائما، ولن أتوقف عن حبه الآن.

-آمل أن تكون لويزا قد شفيت تماماً؟

فأجاب متردداً: نعم، أعتقد أنها كذلك؛ ولكنها تغيرت تماماً، فلم تعد تراها تركض وتضحك وترقص .

وإذا ما أغلقت الباب بقوة، فإنها تنتفض وترتجف؛ ويجلس بنويك بجانبها يتحدث إليها بصوت منخفض ويقرأ لها الآيات طوال اليوم ."

لم تتمالك آن نفسها من الضحك:

"إنه لا يناسب ذوقك، لكنني أعتقد أنه شاب ممتاز .

- بالتأكيد، لا أحد يشك في ذلك، فأنا أحب بينويك كثيراً؛ وعندما تستطيع أن تجعله يتكلم، فإنه يتكلم جيداً. قراءته لم تضره، لأنه يقاتل برغبة كما يقرأ. يوم الاثنين الماضي كان لدينا صيد فئران شهير في حظيرة والدي، وقد لعب دوراً رائعاً في ذلك مما جعلني أحبه أكثر.

وكان تشارلز مضطراً للذهاب وإبداء الإعجاب بالمرايا والخزف الصيني، ولكن آن كانت قد سمعت ما يكفيها لتعي ما يجري وتفرح. ومع ذلك فقد تنهدت، ولكنها لم تكن تنهيدة حسد، فقد كانت تود أن يكون لها نصيب من السعادة مثل الآخرين دون أن ينقص ذلك من سعادتهم.

ومرت الزيارة مبتهجة؛ وكانت ماري في حالة معنوية جيدة، وكانت مسرورة جداً بالرحلة في عربة حماتها ذات الأربعة خيول لدرجة أنها

كانت مستعدة للإعجاب بكل ما عرضوه عليها. وتعززت أهميتها الشخصية بهذه الشقة الجميلة.

ورأت إليزابيث أنه يجب دعوة آل ماسجروف إلى العشاء، ولكنها لم تستطع أن تتحمل فكرة أن يروا تخفيضاً في عدد الخدم والتمثيل، فهم أدنى من آل إليوت في كيلينش! لقد كانت معركة بين اللباقة والغرور. وكانت الغلبة للأخير، وكانت إليزابيث راضية. وقالت لنفسها: "هذه أفكار قروية قديمة عن الضيافة. من المعروف أننا لا نقيم حفلات العشاء؛ لا أحد هنا يفعل ذلك، وآن متأكدة أنّ الدعوة لن تكون لطيفة للسيّدة ماسجروف: إنها محرجة معنا، وخارجة عن عالمها. سأدعوهم لمساء الغد، سيكون ذلك طريفاً وممتعاً: لم يسبق لهم أن رأوا صالونين كهذين الصالونين. سيكونون مسرورين، سيكون تجمّعاً صغيراً مختاراً. وكانت ماري سعيدة تماماً بقبول الدعوة، فقد كان من المقرر أن تتعرف إلى السيّد إليوت و أبناء العمومة اللامعين، ولا شيء يمكن أن يكون أكثر قبولاً لها من ذلك. خرجت آن مع تشارلز وزوجته. وكانت تتطلع لرؤية أصدقائها في أبركروس مرة أخرى، وقد لقيت ترحيباً حاراً.

كانت هينريتا، التي كانت روحها مملوءة بالسعادة لطيفة وكريمة. وكانت السيّدة ماسجروف ممتنة لخدمات آن. لقد كان ذلك توسعاً ودفئاً وإخلاصاً أسعدها أكثر لأنها كانت محرومة منها في البيت. لقد كانت مدعوة، أو بالأحرى مطلوبة، كفرد من أفراد العائلة، وفي المقابل كانت

تستأنف عاداتها في تقديم المساعدة، فتستمع إلى قصة لويزا وهينريتا، وتعطي رأيها في المشتريات، وتوصي ببعض المحلات التجارية، وتقاطع نفسها لتساعد ماري في حساباتها، أو لتبحث عن مفاتيحها، أو لتحاول إقناعها بأنها لم تخدع أحداً، لأن ماري، بينما كانت تلهو بالنظر من النافذة إلى المارة، لم تستطع أن تترك لخيالها العنان.

إن وصول رفقة كبيرة إلى الفندق يجلب معه الكثير من الضوضاء والحركة؛ ولم تكد آن تمضي نصف ساعة على وصولها حتى امتلأت الغرفة الواسعة نصفها بالصناديق والطرود؛ ثم جاء أصدقاء السيّدة ماسجروف، وبعدهم بقليل هارفيل ووينتورث. وبدا لآن أنه كان في نفس الحالة الذهنية التي كان عليها يوم الحفل، و أنه كان يريد أن يتجنبها.

حاولت أن تكون هادئة ومنطقها كالتالي: "إذا كنا لا نزال نحب بعضنا بعضاً، فإن قلوبنا ستفهم بعضنا بعضاً؛ إن القدر لم يجمعنا معاً حتى نتخاصم. آن"، صاحت ماري، "ها هي السيّدة كلاي تقف تحت الرواق وبجانبها رجل نبيل. يبدو أنهما يتحدثان بحميمية. ما اسمه؟ تعالي وأخبريني يا إلهي، أتذكر أنه السيّد إليوت.

-لا"، صرخت آن بحدة، "لا يمكن أن يكون هو. كان عليه أن يغادر باث هذا الصباح في الساعة التاسعة، ولن يعود قبل الغد .

وشعرت آن بنظرات وينتورث إليها مما أثار حفيظتها وأحرجها وجعلها تندم على ما قالت .

وأخذت ماري تتكلم عن الشبه العائلي بين ابن عمها وماري، ورغبت في أن يفترض أنها تعرف ابن عمها، وأكدت أنه السيّد إليوت، ودعت آن مرة أخرى لتنظر بنفسها. ولكن آن لم ترد غير أن قلقها ازداد عندما رأت الابتسامات والنظرات الذكية المتبادلة بين سيدتين أو ثلاث سيدات، كما لو كنّ يعتقدن أنهنّ كن على علم بالسّر. كان من الواضح أنهنّ كنّ يتحدّثن عنها .

وصرخت ماري قائلة: "تعالوا و انظروا"، فتفرقوا وتشابكت الأيدي. ألم تتعرفوا على السيّد اليوت؟ يبدو أنكم نسيتم لايم."

و لإخفاء إحراجها، أسرعت آن إلى النافذة. وتأكدت من أنها السيّدة كلاي والسيّد إليوت، وكتمت دهشتها، وقالت بهدوء: "نعم، إنه السيّد إليوت. لقد غيّر موعد مغادرته، هذا كل ما في الأمر؛ أو ربّما أكون مخطئة .

وعادت إلى مقعدها وقد بدا عليها التأمل المعزّي أنها بدت غير مبالية.

و انصرفت السيّدتان؛ وقال تشارلز بعد أن لعن زيارتهما:

"أمي، لقد فعلت شيئًا سيسعدكِ، لقد استأجرت صندوقًا للغد، ودعوت وينتورث، أنا متأكدة أنّ آن لن تمانع في القدوم معنا. ألم أفعل الشيء الصحيح؟

- يا للسماء"، صاحت ماري. ماذا فعلت؟ هل نسيت أننا مخطوبان في كامبين بليس و اننا سنقابل اللّيدي دالريمف والسيّد اليوت و من أقارب العائلة الرئيسيين هناك؟

-حسناً، أجاب تشارلز: "ما هي الأمسية؟ يمكن لوالدك أن يدعونا إلى العشاء إذا أراد رؤيتنا. افعلي ما يحلو لك، سأذهب إلى العرض .

-أوه يا تشارلز، سيكون هذا بغيضاً، وقد وعدتني .

-لا، لوحت له و ابتسمت وقلت له: سعيد جدا! هذا ليس وعداً .

- ستذهب يا تشارلز؛ سيكون من غير المعقول ألا تذهب. يجب أن نتعرف على بعضنا البعض؛ فآل دالريمف و آل دالريمف لطالما كانت بيننا علاقة رائعة. والسيّد إليوت هو وريث والدي، وعلى هذا النحو يستحق بعض الاهتمام.

-لا تكلمني عن الورثة"، فصرخ تشارلز: "لست من أولئك الذين يهملون السلطة الحاكمة لينحنوا أمام النجم الجديد. إذا لم أذهب من أجل والدك فسيكون من المخزي أن أذهب من أجل وريثه .

ما هو السيّد إليوت بالنسبة لي ".

أنعش هذا التعبير الخالي من الهموم آن، التي رأت القبطان ير اقب ويصغي باهتمام. وعند كلمات تشارلز الأخيرة نظر إليها.

استمر تشارلز وماري في مناقشة العرض المقترح، لكن السيّدة ماسجروف تدخلت .

"سيكون من المؤسف أن نفترق، ونخسر الآنسة آن أيضاً. لم تكن معنا، فلا آن ولا هينريتا نهتم بالعرض ."

فأبدت آن امتنانها الصادق لهذه الكلمات، وقالت بلهجة حازمة: "لو كان الأمر بيدي يا سيدتي لما كان في الأمسية التي في البيت أدنى عائق. أنا لا تسرني هذه المقدمات، وسأكون سعيدة جداً بالذهاب معك إلى المسرح".

كانت تشعر بأنها مراقبة ولم تجرؤ حتى على النظر إلى أعلى لترى تأثير كلماتها. تم الاتفاق يوم الثلاثاء. واكتفى تشارلز بممازحة زوجته بقوله إنه سيذهب إلى العرض بمفرده إذا لم يرغب أحد آخر في الذهاب. غادر الكابتن وينتورث مقعده وتوقف أمام آن كأنها مصادفة.

قال: "أنت لم تمكثي في باث لفترة طويلة بما فيه الكفاية لتستمتعي بالحفلات هناك" .

-آن لا أحبها، فآن لست مقامرة.

-أعلم أنك لم تكوني كذلك ذات مرة، ولكن الزمن يحدث تغييرات كبيرة .

-قالت: "لم أتغير كثيراً"، ثم توقفت خوفاً من بعض التأويلات .

وبعد لحظات قليلة، قال كما لو كانت فكرة مفاجئة: "منذ قرن من الزمان، حقاً: ثماني سنوات ونصف!"

ولم تدر آن ما إذا كان سيقول أكثر من ذلك؛ وطلبت هينريتا أن ترحل، وأخفت آن انزعاجها؛ وظنت أنه لو علمت هينريتا لأشفقت عليه، وهي التي كانت و اثقة من مودة خطيبها .

وجاء السير والتر وإليز ابيث ليقاطعا استعداداتهما للمغادرة، وكان حضورهما يبعث في نفس آن قشعريرة عامة. فشعرت بالاضطهاد، ورأت الانطباع نفسه من حولها. لقد اختفت الرفاهية والحرية والبهجة؛ وحلت البرودة، واستقبلها والدها وأختها بصمت جامد ومحادثة غير جادة. كم كان ذلك مخزياً بالنسبة لها !

ومع ذلك فقد كان لها ما يرضيها: فقد استقبلت أختها الكابتن وينتورث بترحاب أكثر من المرّة الأولى. وجدّدت إليز ابيث دعوتها إلى جميع آل ماسجروف (أمسية حميمة) كما قالت، ووضعت خطابات الدعوة التي أحضرتها معها على المنضدة، و ابتسمت لـ وينتورث وهي تقدم له إحداها. و كانت تظن أن رجلاً في مثل مظهره سيبدو جميلاً في غرفة رسمها، وكانت على استعداد لنسيان الماضي .

وعندما غادر السير والتر وإليز ابيث، كان المزاج مفعماً بالحيوية والبهجة مرة أخرى، باستثناء آن. فقد فكرت في الطريقة المريبة التي شكر بها وينتورث الدعوة بدلاً من أن يقبلها، مظهراً دهشته أكثر من سروره. وكانت تعلم أنه لا يمكن أن يعتبر هذه الدعوة عذراً لما مضى. لقد أمسك البطاقة في يده بعد أن غادرا، كما لو كان يفكر في كل شيء.

فكّر فقط في أنّ إليز ابيث قد دعت الجميع"، همست ماري بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعه الجميع. أنا لست مندهشة من سعادة الكابتن. يمكنك أن ترى أنه لا يستطيع التخلي عن بطاقته ".

أمسكت آن بنظرات وينتورث؛ ورأت وجنتيه تحمران، وفمه يعبر عن ازدراء.

التفتت بعيدًا حتى لا ترى المزيد .

افترقنا. طلب من آن البقاء لتناول العشاء، لكنها رفضت. لقد احتاجت للهدوء والسكينة بعد إثارة اليوم .

وفي كامبين بليس كان عليها أن تستمع إلى كل خطط إليز ابيث والسيّدة كلاي للأمسية وكل تفاصيل الزينة وقائمة الضيوف، وكل ما من شأنه أن يجعلها أكثر الأمسيات أناقة في باث. وفي هذه الأثناء، كانت تستحوذ عليها فكرة واحدة: هل سيأتي؟ لم تستطع أن تخمن ما إذا كان سيأتي أم لا. ونسيت انشغالها للحظة وأخبرت السيّدة كلاي أنها رأتها تتحدث مع السيّد إليوت.

وخيل إليها أنها رأت بعض الارتباك في وجهه، وربما كان السّبب في ذلك لوم السيّد إليوت أو ملاحظاته .

غير أنها صاحت بطبيعة الحال: "أوه، هذا صحيح يا عزيزتي. هل تصدّقين يا آنسة إليوت أنني قابلت السيّد إليوت في شارع باث؟ لم أكن مندهشة أكثر من هذه الدهشة؛ لقد خطونا بضع خطوات معاً. وكان

**شيء ما قد منعه من المغادرة؛ ولا أذكر ما هو، فقد كنت في عجلة من أمري ولم أستطع الانتظار... لقد كان يريد أن يعرف في أيّ وقت يمكن أن نستقبله في الغد، ولم يكن يفكر إلا في أمسيتك، وكذلك كنت أنا، وحتى منذ أن عدت إلى البيت؛ ولولا ذلك لما انزلق هذا اللقاء من ذاكرتي تماماً".**

# الفصل: 23

وكانت آن قد وعدت بالذهاب إلى آل ماسجروف، فأجلت زيارتها لليدي راسل إلى اليوم التالي. وقد منحت يوماً آخر للسيّد إليوت سمعة طيبة مثل السلطانة شهرزاد في ليالي ألف ليلة وليلة .

ولكن سوء الأحوال الجوية جعلها تتأخر، وعندما وصلت إلى منزل ماسجروف وجدت السيّدة كروفت و هارفيل و وينتورث. ولم تكن ماري وهينريتا قد انتظرتاها، ولكنهما نصحتا السيّدة ماسجروف أن تبقيها حتى عودتهما. فاضطرت إلى الامتثال، وسرعان ما انغمست في كلّ الاضطر ابات الّتي يمكن أن تجلبها السّعادة القصوى والحزن الشّديد .

وبعد دقيقتين من وصوله قال وينتورث لهارفيل:

"سنكتب الرسالة يا هارفيل، إذا أعطيتني ما أحتاج إلى كتابته .

جهّز كل شيء، و اقترب من الطاولة وأدار ظهره للجميع، واستغرق في رسالته .

كانت السيّدة ماسجروف تخبر السيّدة كروفت كيف تقرر زواج ابنتها، بذلك الهمس الذي لا يطاق والذي يسمعه الجميع. لم تستطع آن أن تمنع نفسها من الاستماع إلى بعض التفاصيل والهراء الذي لا طائل من ورائه، والذي كانت السيّدة كروفت تستمع إليه باهتمام متعاطف. تمنّت آن ألا يسمعه وينتورث.

قالت السيّدة ماسجروف: "لقد رأينا أنه من المستحسن ألا ننتظر أكثر من ذلك؛ فقد كان تشارلز هايتر يموت من نفاذ صبره. أنا لا أكره شيئا أكثر من الارتباطات الطويلة؛ ستة أشهر أو سنة على الأكثر، ولكن ليس أكثر من ذلك .

- هذا هو بالضبط ما كنت سأقوله لك، خاصة عندما لا تعرف ما إذا كانت هناك أية عقبات.

وأرى أنه أمر غير حكيم، ويجب على الآباء والأمهات أن يمنعوه بقدر ما يستطيعون. إنّني أفضّل أن أرى الشباب يتزوجون بدخل صغير، ويصارعون صعوبات الحياة على أن يكونوا مقيّدين لفترة طويلة قبل ذلك ."

وجدت آن هذا الأمر مثيراً للاهتمام بشكل غير متوقع فطبقت نفسها على هذه الكلمات، وشعرت برعشة تسري في جسدها كله، ونظرت لا إرادياً إلى الطاولة. كان الكابتن قد توقّف عن الكتابة: لقد استمع إليها والتفت لينظر إليها نظرة سريعة وعميقة.

واستمرت السيّدتان في تكرار نفس الحقائق، وعززتاها بالأمثلة .

ولكن آن لم تسمع إلا أصواتاً متقطعة؛ وكان كل شيء مشوّشاً في ذهنها .

و اقترب هارفيل، الذي لم يكن قد سمع شيئاً، من النافذة وبدا أنّه يدعو آن للانضمام إليه .

ونظر إليها بابتسامة ثم قام بحركة صغيرة برأسه قال لها: "تعالي، لديّ شيء أريد أن أقوله لك."

اتجهت آن نحوه، فارتسمت على وجهه تعابير الجديّة والتأمّل المعتادة.

قال: "انظري"، ثم فتح علبة في يده وأشار إلى صورة مصغّرة.

هل تعرفي هذا الشخص؟

-بالتأكيد يا كابتن

-ويمكنك تخمين لمن هذه اللوحة. لكن، قالها بخطورة لم ترسم لها آنسة إليوت، هل تتذكرين مسيرنا إلى لايم؟ كنا قلقين بشأنه لم أعتقد ذلك حينها لكن لا يهمّ اللوحة رسمت في كيب تاون التقى هارفيل هناك بفنان ألماني شاب، ووفاءً بوعد قطعه لأختي المسكينة رسمها وأعادها لها لقد تم تكليفي الآن بإعطائها لامرأة أخرى.

يا له من تكليف بالنسبة لي! ولكن من كان يمكن أن يفعل ذلك؟ قال وهو يشير إلى وينتورث: "آن لست غاضباً في الحقيقة أن أتركها لشخص آخر. سيهتم الكابتن بالأمر؛ لهذا السّبب هو يكتب. وأضاف بشفة مرتعشة: "مسكينة فاني! لم تكن لتنساه في عجلة من أمرها!

-"لا"، قالت آن بصوت متغلغل: "يمكنني أن أصدق ذلك بسهولة.

-لم يكن ذلك من طبيعتها: لقد عشقته.

- المرأة التي تحبّ بصدق هي كذلك.

-وعلى افتراض (وهو ما لا أفترضه) أن تأكيدك صحيح، فإنه لا ينطبق على بينويك. إنّه لم يكن مجبراً على العمل؛ لقد جلبه السّلام إلى الشاطئ في تلك اللحظة، وعاش معنا منذ ذلك الحين .

-هذا صحيح جداً"، قالت آن: "كنت قد نسيت .

ولكن ماذا ستقول في ذلك يا كابتن؟ إذا كان التغيير لا يأتي من الظروف الخارجية، بل يأتي من الداخل، من طبيعة الرجل، فلا بد أن يكون هذا هو الحال مع الكابتن بينويك.

- لا، لا، لا أعتقد أن من طبيعة الرجال أكثر من النساء نسيان من يحبّون أو أحبوا أكثر من النساء. أعتقد العكس. هناك تشابه حقيقي بين أجسادنا وعقولنا؛ فحيثما يكون الجسد أقوى، يكون الشعور كذلك: إنه قادر على تحمل محنة أقوى، كما هو قادر على تحمل طقس أسوأ.

-تقول آن: "قد تكون مشاعركم هي الأقوى، ولكن نفس روح التشبيه تخولني أن أقول إن مشاعرنا هي الأكثر رقة. إن الرجال أكثر قوة من النساء، ولكنهم لا يعيشون أكثر من النساء، وهذا ما يفسر أفكاري عن طبيعة عواطفهم. ولو كان الأمر على خلاف ذلك لكان الأمر قاسياً جداً بالنسبة لك ."

عليك أن تواجهي الأخطار والمعاناة، وأن تعملي وتضيعي وقتك؛ وصحتك وحياتك ليست ملكاً لك. سيكون الأمر قاسيًا حقًا (قيل هذا بصوت مرتجف) إذا أضيفت مشاعر النساء إلى كل هذا.

-لن نتفق أبداً على ذلك"، بدأ هارفيل في الكلام، عندما لفت انتباهه ضجيج خفيف. كانت ريشة وينتورث قد سقطت من يده، وجفلت آن عندما أدركت أنه كان أقرب مما كانت تظن .

-هل أنهيت رسالتك؟

- ليس بعد، بضعة أسطر فقط: سأنتهي بعد خمس دقائق.

-قال وهو يبتسم لآن: (لا داعي للعجلة؛ فأنا راسخ هنا رسوخاً جيداً) وقال مبتسماً: (أنا مخزون جيد؛ لا ينقصني شيء. حسناً، آنسة إليوت"، قالها وهو يخفض صوته، "كما قلت لك، لن نتفق أبداً على هذا؛ لا رجل ولا امرأة يستطيع، ولكن دعيني أخبرك أن التاريخ ضدك، نثراً وشعراً. لو كانت ذاكرتي جيدة مثل ذاكرة بينويك لأتيت بخمسين اقتباساً لدعم أطروحتي. لا أعتقد أنني فتحت كتاباً واحداً في حياتي لم يتحدث عن عدم ثبات المرأة. الأغاني والأمثال كلها تتحدث عن ذلك. ولكن، قد تسأل، هل كتبها رجال؟

-نعم، من فضلكم، دعونا لا نتخذ الكتب حكماً. إن الرجال، في كتابة التاريخ، لهم كلّ ميزة علينا، فهم أكثر منّا علماً، والقلم في أيديهم. أنا لا أعترف بأن الكتب تثبت أي شيء .

-ولكن أي دليل سيكون لدينا؟

- لن يكون لدينا أي دليل. كل منّا يبدأ بتحيّز لجنسه، ونضيف إليه كلّ ما نجده من الأدلّة التي تؤيّده، وهذا الدليل بالتّحديد لا يمكن أن يقدّمه أحد دون أن يفشي سراً.

- آه!" وهتف هارفيل بنبرة متأثرة بعمق: "لو استطعت أن أجعلك تفهمين كل ما يشعر به الرجل عندما يلقي النظرة الأخيرة على زوجته وأولاده ويتابع بعينيه القارب الذي يقلّهم بعيداً، ويتساءل عمّا إذا كان سيراهم مرة أخرى. ليتني أستطيع أن أخبرك عن الفرحة التي تغمر روحه عندما يراهم مرة أخرى بعد غياب طويل؛ عندما يحسب وقت عودتهم، فيراهم يصلون قبل يوم، وكأن السّماء قد أعطتهم أجنحة!

لو استطعت أن أخبرك بكل ما يستطيع الإنسان أن يفعله ويتحمله، وبكل ما يستطيع أن يتباهى به من أجل كنوزه العزيزة! أنا لا أتحدّث إلا عمّن له قلب! قال وهو يضع يده على صدره.

- آه!" قالت آن بسرعة. أنصف مشاعرك ومشاعر الرجال الذين هم مثلك. سأستحقّ الازدراء إذا تجرأت و افترضت أن المودة والثقة الحقيقيتين تخصان النساء فقط. لا، آن أؤمن بأنك قادرة على كل الأشياء العظيمة والنبيلة في الزواج. أعتقد أنك قادرة على تحمل الكثير طالما... (دعني أقولها)، طالما لديك هدف. أعني طالما أن المرأة التي تحبها موجودة وتعيش من أجلك. إنّ الامتياز الوحيد الذي أطالب به لجنسها

(وهو امتياز لا تُحسد عليه، لا تغار) هو أن تحب لفترة أطول عندما لا تبقى حياة أو أمل". لم تستطع أن تقول المزيد، فقد كان قلبها ممتلئًا جدًا، وصدرها مظلومًا جدًا.

-أنتِ روح طيبة"، صرخ القبطان واضعاً يده بمودة على ذراعها. لا يوجد شجار معك. ينعقد لساني عندما أفكر في بينويك ."

كان انتباههم قد انصرف إلى مكان آخر: كانت السيّدة كروفت تغادر .

"سنفترق هنا على ما أعتقد يا فريدريك آن ذاهبة للمنزل، و أنت لديك موعد مع صديقك. هذا المساء سيكون من دواعي سرورنا جميعاً أن نلتقي في حفلتك"، قالت لآن. لقد تلقينا دعوة أختك بالأمس، وقد فهمت أن فريديريك مدعو أيضاً. أنت متفرغ، أليس كذلك يا فريديريك؟

وكان وينتورث يطوي رسالته على عجل، فلم يستطع أو لم يشأ أن يجيب على ذلك .

قال: "نعم، إننا سنفترق؛ ولكننا سنتبعك قريباً، يا هارفيل، إذا كنت مستعداً، أنا في دقيقة؛ و أنا أعلم أنك لن تأسف على الخروج".

وبدا وينتورث، بعد أن ختم رسالته بسرعة، في عجلة من أمره للمغادرة. لم تستطع آن فهمه. ودعه هارفيل وداعاً ودياً، لكنها لم تسمع أو ترى كلمة واحدة من وينتورث، عندما غادر .

لم يكن لديها الوقت الكافي للاقتراب من الطاولة عندما فُتح الباب ودخل هو. فاعتذر قائلاً إنّه نسي قفازيه، ثم اقترب من المنضدة وسحب خطاباً من تحت الأوراق الأخرى ووضعه أمام عيني آن وهو ينظر إليها في توسل، ثم غادر قبل أن يتاح للسيّدة ماسجروف الوقت الكافي لترى إن كان قد دخل.

كانت آن مضطربة للغاية .

كانت الرسالة المعنونة بـ"الآنسة أ. إ." بالكاد مقروءة، وهي الرسالة التي طواها بسرعة. كنا نظن أنه كان يكتب إلى بينويك، وكانت الرسالة لها! حياة آن كانت تعتمد على محتويات تلك الرسالة! لكن أي شيء كان أفضل من الانتظار كانت السيّدة ماسجروف مشغولة في مكان آخر، وتمكنت آن من قراءة ما يلي دون أن يلاحظها أحد:

"لا يمكنني السكوت أكثر من ذلك. يجب أن أكتب لك. أنت تخترقين قلبي! لا تقولي لي إنّ الأوان قد فات! و أنّ هذه المشاعر الغالية قد ضاعت إلى الأبد. إنني أعرض نفسي عليك بقلبٍ ينتمي إليك أكثر مما كنتُ أعرضه عليك عندما حطّمته قبل ثماني سنوات.

لا تقولي إنّ الرجل ينسى أسرع من المرأة، وأنّ حبّه يموت أسرع من المرأة. آن لم أحب أحدًا غيرك أبدًا. ربّما كنتُ ظالماً، وربّما كنتُ ضعيفاً وحاقداً، ولكني لم أكن متقلّباً أبداً. لقد جئت إلى باث من أجلك وحدك، ومن أجلك وحدك كنت أفكّر؛ ألم ترين ذلك؟ ألم تفهمي رغباتي؟ إنّني

لم أكن لأنتظر عشرة أيّام لو كنت أعرف مشاعرك كما أعتقد أنّك خمّنت مشاعري. بالكاد أستطيع الكتابة. أسمع كلمات تغمرني .
أنت تخفضين صوتكِ، ولكنّني أسمع أصواتاً تضيع على الآخرين. يا لك من مخلوق طيب جداً ومخلوق مثالي جداً! لقد أنصفتنا في الحقيقة حين آمنت بأنّ الإنسان قادر على الثبات. آمنوا بهذا الشعور الذي لا يتغير.

ف.و.

"يجب أن أرحل وإن كنت غير متأكد من مصيري: ولكنني سأعود إلى هنا، أو سألحق بك. كلمة واحدة أو نظرة واحدة تكفي لتخبرني ما إذا كان عليّ أن أدخل بيت أبيك الليلة أو لا أدخله أبداً ."
بعد هذه القراءة، استغرقت آن وقتاً طويلاً لتستعيد. وكانت كل لحظة تزيدها إثارة، كانت كأنها غارقة في السّعادة، وقبل أن تتمكن من الخروج من هذه الحالة العنيفة عاد شارل وماري و هينريتا.
حاولت أن تكون هادئة، لكنها لم تستطع أن تفهم كلمة واحدة مما كانوا يقولونه. اضطرت للاعتذار والقول إنها ليست على ما يرام. لاحظوا أنّها كانت شاحبة جدًا، وأنّها بدت مضطربة ومشغولة البال، ولم يرغبوا في المغادرة بدونها. كان ذلك قاسياً! ليتهم انصرفوا وتركوها في هدوء

وسكينة في تلك الغرفة! لكن رؤية الجميع من حولها أصابها بالدوار وأصابها باليأس. قالت إنها تريد العودة إلى المنزل.

بالتأكيد يا عزيزتي، قالت السيّدة ماسجروف، اذهبي بسرعة، واعتني بنفسك حتى تكوني بخير هذا المساء. تشارلز، اطلب عربة؛ فهي لا تستطيع المشي .

كان الذهاب بالعربة أسوأ شيء، أن تضيع فرصة قول كلمتين للقبطان! لم تستطع تحمل الفكرة. لقد احتجت لقد تركوها تذهب أخيرا .

قالت وهي تغادر: (كوني طيبة بما فيه الكفاية يا سيدتي) وأضافت: (أخبري هؤلاء السّادة أننا نأمل أن نحظى بهم جميعاً هذا المساء، وخاصة الكابتن بينويك والسيّد وينتورث."

لقد خشيت أن يكون هناك سوء تفاهم قد يفسد سعادتها. أراد تشارلز مر افقتها، وكان ذلك قاسياً، لكنها لم تستطع الرفض .

عندما وصلا إلى شارع أونيون[101]، سمعت خطوة سريعة مألوفة خلفهما. كان لديها الوقت الكافي لتهيئة نفسها لرؤية وينتورث. و انضمّ إليهما، ثم بدا متردداً فيما يجب أن يفعله؛ وظل صامتاً ونظر إليها. أمسكت بنظر اته و هي تحمر خجلاً. توقف تردّد وينتورث وسار بجانبها. قال تشارلز وقد داهمته فكرة مفاجئة: "أيها النقيب، إلى أين أنت ذاهب؟ إلى شارع جاي، أم إلى مكان أبعد؟

[101] Union

-لا أعرف"، قالها وينتورث المندهش وكرّرها: "لا أعرف."

-هل أنت ذاهب بالقرب من شارع كامبين بليس؟ إذن لا أجد غضاضة في أن أطلب منك أن تأخذ مكاني وتعطي ذراعك لآن. إنّها مريضة قليلاً هذا الصباح، ولا يجب أن تذهب بمفردها إلى هذا الحد، ويجب أن أذهب إلى صانع الأسلحة. لقد وعدني بأن يريني بندقية رائعة سيرسلها إلي، وإذا لم أذهب في الحال فسيكون قد فات الأوان .

ولم يكن لدى وينتورث أي اعتراض على ذلك، فأسرع بالقبول وكتم ابتسامة وفرحاً جامحاً.

وبعد دقيقة كان تشارلز في نهاية الشارع، وكان وينتورث وآن في طريقهما إلى المتنزه الهادئ، ليتحدثا بحرية في تلك الساعة المباركة التي سيظلان يتذكرانها دائماً بسعادة. وهناك تبادلا مرة أخرى تلك المشاعر والوعود التي كانت تربطهما بمستقبلهما، والتي أعقبتها سنوات طويلة من الفراق واللامبالاة. واستعادا ذكريات الماضي وهما أكثر سعادة مما كانا عليه في أي وقت مضى، وأكثر رقة وأكثر اختباراً وأكثر يقيناً بإخلاص كل منهما للآخر وتعلقه به; أكثر رغبة في التصرف، وأكثر تبريرًا في القيام بذلك .

صعدا ببطء على المنحدر الوديع، ولم يريا شيئًا حولهما، ولا المارة الذين يتنطعون عليهما. وكانا يشرحان ويحكيان لبعضهما البعض، ولم يملّا من الأيام السّابقة .

لقد كانت الغيرة هي التي حرّكت سلوك وينتورث كلّه، ولكنّه لم يحب أحداً سواها قط. لقد أراد أن ينساها، وظنّ أنه نجح في ذلك. لقد كان يظن نفسه غير مبالٍ، في حين أنه لم يكن إلا غاضباً؛ وكان غير منصف لصفات آن لأنه كان يعاني منها .

أما الآن فقد كانت بالنسبة إليه كمالاً مطلقاً، ولكنه أدرك أنه لم يتعلم أن ينصفها إلا في أبركروس، و أنه لم يبدأ في لايم إلا أن يعرف نفسه. وكان إعجاب مستر إليوت بآن قد أيقظ عاطفته، وكانت الحوادث التي وقعت في كوب وما بعدها قد أثبتت تفوق آن عليه.

وكان قد بذل جهوداً لا طائل من ورائها في التعلق بلويزا، دون أن يشك في أن امرأة أخرى قد استحوذت على قلبه. لقد تعلم الآن أن يميز ثبات المبدأ من العناد وحب الذات، والعقل الحازم المتزن من العقل المتهور. و كان كل شيء قد ساهم في رفع قدر المرأة التي فقدها في نفسه؛ وبدأ يتأسف على الكبرياء والحماقة اللذين منعاه من استعادتها عندما كانت في طريقه. كان عقابه قد بدأ. ولم يكد يتحرّر من ندمه ورعبه من حادث لايم حتى أدرك أنه لم يعد حراً .

قال: "لقد اكتشفت أن هارفيل اعتبرني مخطوباً للويزا .

وقد أمرني الشرف أن أتزوجها بما أنني كنت غير حكيم. ولم يكن لي الحق في أن أجرب أن أرتبط بإحدى هاتين الفتاتين الصغيرتين، مخاطراً بنشر إشاعات مؤسفة. لقد أخطأت وكان علي أن أتحمل العو اقب. وقررت

أن أترك لايم، فقد كنت أود أن أضعف بكل الوسائل الممكنة المشاعر التي أوحيت بها. وذهبت لرؤية أخي وحدثني عنك وسألني إن كنت قد تغيرت. لم يشك في أنك في نظري لم تتغيري أبداً.

فابتسمت آن، لأنه من الجميل أن تكون في الثامنة والعشرين من العمر وأن يقال لك إنك لم تفقدي شيئاً من مفاتن الشباب. وقارنت هذا الثناء بكلمات أخرى قالها، واستلذت هذا الثناء، واستطعمته كثيرا.

فها هو ذا يرثي عمى بصيرته وكبرياءه حين جاءه الخبر المدهش السعيد بزواج لويزا فأعاد إليه حريته .

"وكان ذلك نهاية لأعظم عذاباتي، لأن الطريق إلى السعادة كان منذ ذلك الحين مفتوحاً أمامي؛ ولكن الانتظار في تقاعسي عن العمل كان سيكون أمراً فظيعاً جداً .

ذهبت إلى باث. هل تسامحينني على وصولي بأمل ضئيل؟ لقد كنت أعلم أنك رفضت رجلاً أغنى مني؛ ولكن أن أراك محاطة بأناس مغرضين لي؛ وأن أرى ابن عمك يتحدث ويبتسم، وأن أعرف أن كل من كان له تأثير عليك يرغب في هذا الزواج، ولو كنت غير مبال أو نافراً، ألم يكن ذلك كافياً لأن يدفعني إلى الجنون؟

-ما كان يجب أن تشك فيّ"، قالت آن: " وإذا كنت مخطئة في استسلامي للإقناع في الماضي، فتذكر أنني كنت أمارسه لمصلحتي، فقد كنت مستسلمة للواجب."

ولكن هنا لم يكن بالإمكان التذرع بالواجب لإرغامي على الزواج من رجل لم يكن مبالياً بي .

- لم أستطع أن أفكر هكذا. كنت فريسة لتلك المشاعر القديمة التي عانيت منها كثيراً. و تذكرت فقط أنك تخليت عني مؤمناً بغيري لا بي، و أنك في النهاية ما زلت مع نفس الشخص الذي كان يرشدك في تلك السنة من المحنة.

-قالت آن: "هل كنت أظن أن أسلوبي كان يمكن أن يوفر عليك كل هذا الحزن؟

-لا؛ لقد كنتِ تتصرفين في سهولة كمن هو مشغول في مكان آخر، ومع ذلك فقد كنت مصممة على رؤيتك مرة أخرى ."

عادت آن إلى المنزل أكثر سعادة مما يمكن أن يتخيله أي شخص هنا. كانت كل مشاعر الصباح المؤلمة قد تبددت: كانت سعادتها عظيمة إلى درجة أنها اضطرت، لكي تحتوي فرحتها، أن تقول لنفسها إنها لا يمكن أن تدوم. فأغلقت الباب على نفسها في غرفتها حتى تتمكن من الاستمتاع بها بهدوء أكثر بعد ذلك.

جاء المساء وامتلأت الصالونات. كانت أمسية عادية، كثيرة جداً بحيث لا يمكن أن تكون حميمية، ولم تكن مفعمة بالحيوية .

ومع ذلك، لم تشهد آن أمسية أقصر من هذه الأمسية. فقد كانت جميلة وخجولة من العاطفة والسعادة، وكانت تحظى بإعجاب الجميع .

ولم تجد هناك سوى أناس غير مبالين أو متعاطفين معها، أما الأولون فقد تركتهم؛ وتجاذبت أطراف الحديث بمرح مع الآخرين، ثم تبادلت بضع كلمات مع وينتورث، وشعرت أنه كان هناك! وفي لحظة من هذه اللحظات الوجيزة قالت له:

"لقد حاولت أن أحكم على نفسي بنزاهة، وأعتقد أنني قمت بواجبي من خلال السماح لنفسي بالتأثر بالصديقة التي كانت بمثابة أمي ومكانتها. و مع ذلك، لا أريد أن أقول إنها لم تكن مخطئة: فقد أثبت المستقبل خطأها. أمّا بالنسبة لي، فما كنت لأرغب أبدًا في فرض رأيي في مثل هذه الظروف. ولكنني لو كنت قد عصيت لأصابني عذاب الضّمير؛ أما اليوم فليس لدي ما أؤنّب نفسي عليه، وأعتقد أنّ الإحساس بالواجب ليس أسوأ حظ للمرأة في هذا العالم."

ونظر إلى آن، ثم إلى اللّيدي راسل: "إنني لم أسامحها بعد، ولكني آمل أن أكون بخير معها في المستقبل ."

-لقد تساءلت أيضاً إن لم أكن ألدّ عدوّ لنفسي. أخبريني، لو كنت قد كتبت إليك عندما عُينت قائداً لسفينة لاكونيا، هل كنت ستجيبينني؟ هل كنت ستسعدينني بأن تضعي يدك في يدي؟

- أجل، كنت سأفعل!" كان ردّها، ولكن لهجتها كانت حاسمة.

- "يا إلهي!" وبكى، وقال: " لقد فكرت في الأمر وتمنيت أن يكون تتويجاً لكل نجاحاتي، ولكني كنت أكبر من أن أسألك مرة ثانية. لو أردت أن

**أفهمك وأن أنصفك لوفرت عليَّ ست سنوات من الجبر والمعاناة! هذا نوع جديد من الألم بالنسبة لي. لقد اعتدت على الاعتقاد بأنني أستحق كل ما حدث لي، كغيري من الرجال العظماء الذين عانوا من النكسات"، وأضاف مبتسمًا، يجب أن أجاهد لأخضع عقلي لقدري. يجب أن أتعلّم أن أجد نفسي أكثر سعادة ممّا أستحق".**

# الفصل: 24

**من يستطيع أن يشك في بقية القصة؟**

**عندما يشرع شابان في الزواج، فهما على يقين من أنهما بالمثابرة سيحققان غايتهما، مهما كانا فقيرين وغير حكيمين. قد تكون هذه عبرة خطيرة، ولكني أعتقد أنها العبرة الحقيقية، وإذا ما نجحا في ذلك فكيف لا يستطيع كابتن وينتورث وآن إليوت بكل ما يتمتعان به من نضج العقل ووعي القانون والثروة المستقلة أن يتخطيا كل العقبات؟**

**و لم يلقوا في الو اقع الكثير، إذ لم يكن لهم من معارضة سوى قلة البشاشة والمودة .**

**ولم يبد السير والتر أي اعتراض، واكتفت إليز ابيث بالظهور بمظهر البرود واللامبالاة. ولم يعد الكابتن وينتورث بمز اياه الشخصية ومبلغ 25000 جنيه استرليني صفراً.**

**وقد وجد جديراً بالبحث عن ابنة بارون مبذّر، عبثي وسخيف، لم يكن له من العقل ما يكفي ليحافظ على نفسه في المركز الذي وضعته فيه العناية الإلهية، ولم يكن في وسعه أن يعطي ابنته إلا جزءاً يسيراً من العشرة آلاف جنيه التي كانت تأتيه من أمها.**

**وكان السيروالتر، على الرغم من غروره، أبعد ما يكون عن التفكيرفي أن هذا الزواج كان زواجاً سيئاً. بل على العكس، فعندما رأى وينتورث أكثر**

في ضوء النهار(وقد نظر إليه جيداً) أدهشه حسن مظهره، وشعر أن هذا التفوق الجسماني يمكن أن يوزن بمكانة ابنته.

كل هذا، بالإضافة إلى الاسم الحسن، جعل السّير والتر يهيّئ قلمه بكل لباقة لإدراج الزّواج في كتاب الشّرف .

الشخص الوحيد الذي كان من الممكن أن تسبب معارضته قلقا جديا هي اللّيدي راسل .

كانت آن تعلم أن هذه السيّدة ستواجه بعض الصعوبة في التخلي عن السيّد إليوت وأن عليها أن تبذل جهداً في إنصاف وينتورث .

وكان عليها أن تعترف بأنها كانت مخطئة خطأ مضاعفاً؛ ذلك أن أخلاق وينتورث لم تكن تناسب أفكارها، وأنها تسرعت في أن تنسب إليه طابعاً من التهوّر الخطير؛ وأن أخلاق مستر إليوت قد أسعدتها بدقّة استقامتها و أناقتها وأدبها ولطفها، وأنها تسرعت في أن تتعرف فيها روحاً متّزنة.

كان عليها أن تبدع في إمداد جديد من الآراء و الآمال .

فهناك في بعض الناس فطنة طبيعية لا تستطيع التجربة أن تعادلها.

لقد كانت اللّيدي راسل أقلّ موهبة من صديقتها الشابة؛ ولكنها كانت امرأة ممتازة، وإذا كانت قد تظاهرت بحسن الرّأي فقد كانت تريد قبل كل شيء سعادة آن .

ولما انقضت لحظة الانزعاج الأولى بدأت تحبّ كالأم الرجل الذي كان يضمن لها سعادة طفلتها. من بين جميع أفراد العائلة، كانت ماري على

الأرجح الأكثر رضاءً. فقد زاد هذا الزواج من تقديرها، وكان في وسعها أن تطري نفسها بأنها ساهمت في ذلك بإبقاء آن معها خلال الخريف. لقد كانت سعيدة جداً لأن وينتورث كانت أغنى من بينويك أو هايتر، لأن أختها يجب أن تكون أعلى من أخوات زوجها.

وكان عليها أن تعاني ربما لترى آن تستعيد حقها في المجتمع، وأن تراها صاحبة عربة جميلة؛ ولكن كان لها مستقبل لم يكن لآن. فقد كان زوجها الابن الأكبر، وهو الذي سيرث أبركروس؛ ولو أنها استطاعت أن تمنع وينتورث من أن يصبح باروناً لما أرادت أن تتغير مع آن .

ومن المأمول أن تكون الأخت الكبرى راضية بنصيبها بنفس القدر، لأن التغيير غير محتمل. لقد شعرت بالخزي لرؤيتها السيّد اليوت يتقاعد، ولم يتقدم لها أحد يمكن أن يعطيها أدنى أمل.

كان خبر زواج آن حدثاً غير متوقع بالنسبة للسيّد إليوت. فقد أفسد عليه خططه للسعادة الزّوجية وأمله في إبقاء السير والتر أعزب، وذلك بمر اقبته عن كثب. وعلى الرغم من حيرته وخيبة أمله، إلاّ أنه استطاع أن يفعل شيئاً من أجل سعادته ومصلحته فغادر باث، وأشيع أن السيّدة كلاي بعد مغادرته بقليل قد استقرت في لندن تحت حمايته. ثم تبيّن له بعد ذلك أنه قد لعب لعبة مزدوجة، وصمّم على منع هذه المرأة الماكرة من الإطاحة به.

لقد تغلّبت العاطفة في السيّدة كلاي على المصلحة؛ ولكنها كانت ماكرة كما كانت عاطفية؛ ويتساءل المرء الآن من سيكون الأذكى من الاثنين: هل السيّد إليوت بعد أن منعها من الزواج من السّير والتر، لن يدفعه ذلك إلى أن يجعلها زوجته .

لا شك في أن السّير والتر وإليزابيت شعروا بالإهانة عندما اكتشفوا ازدواجية السيّدة كلاي. و صحيح أنه كان لديهما ابنة عمّهما العظيمة لتعزيتهما، ولكنّهما سرعان ما شعرا بأن وظيفة رجل البلاط لم تكن دائماً وظيفة ممتعة.

ولم يعكّر صفو سعادة آن إلا إدراكها أن لا أحد في عائلتها يستحقّ وينتورث. إنّ عدم التّناسب في الثروة لم يؤسفها لحظة واحدة؛ ولكن عدم قدرتها على أن ترحّب بزوجها ترحيباً لطيفاً من أسرة محترمة، في مقابل التّرحيب الحار من إخوة زوجها وأصهاره، كان مصدر حزن لها .

ولم يكن لها في العالم سوى صديقتين تضافان إلى صديقات زوجها: السيّدة راسل والسيّدة شميث؛ وكان يميل إلى الأولى ميلاً تاماً، وكان على استعداد للاعتراف بكلّ صفاتها الأخرى شريطة ألا يضطرّ إلى القول بأنّها كانت على حقّ في التّفريق بينهما.

أما السيّدة شميث فقد كانت محبوبة لما قدّمته لآن من خدمات جليلة. فقد اكتسبت صديقين بدلاً من صديق واحد، وكانت أوّل من زارتهما. وقد ردّ لها القبطان الجميل باستعادة أملاكها في الهند .

وكانت هذه الزيادة في الدخل، إلى جانب تحسن صحتها ورفقة هؤلاء الأصدقاء الطيبين، تبقيها مرحة مفعمة بالحيويّة، وكانت تتحدّى أعظم الثروات أن تزيدها قناعة؛ ولكن مصدر سعادتها كان في نفسها وفي شخصيتها كما كان في شخصيّة آن في قلبها المحبّ. كانت آن كلّها حنان، وكان وينتورث يحبها بقدر ما كانت جديرة به. كان الخوف من الحرب هو الظل الوحيد على سعادتها. فقد كانت تفتخر بأنّها زوجة بحّار، ولكن هذا المجد كان لا بد أن تدفع ثمنه من الإنذارات التي توجبها هذه المهنة، حيث الفضائل المنزلية ربما كانت أكثر سطوعاً من الفضائل الوطنية.

## ترجمة الأمجد العثماني[102]

## سوسه / تونس

[102] Cet ouvrage que j'ai traduit est le 708e publié dans la collection À tous les vents par la Bibliothèque électronique du Québec.

**تمت بحمد الله**